



الجزء الثاني

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة





النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء الحادي عشر

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب
مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

الأمير مَلِكْتَمر الخازندار، وأنْعم على كل منهما بتقدمة ألف وأنعم على تُلَكْتَمُر بن بَرَكَة بتقدمة ألف عوضًا عن خليل بن قَوْصون، وكان ذلك فى سادس عشر صفر.

ثم أصبح السلطان من الغد فى يوم الثلاثاء[1] سابع عشر صفر قَبَض على يلبغا المنصورى المذكور ورَفِيقه تُلَكْتَمُر المحمدى لأنهما أرادا الإفراج عن مماليك يلبغا وقَصَد يلبغا المنصورى أن يسكن بالكَبْش فمسكهما الملك الأشرف وأرسلهما إلى الإسكندرية. ثم أرسل السلطان بطلب الأمير مَنْكَلى بغا الشمسى نائب حلب إلى الديار المصرية، فحضرها بعد مدّة وأخلع عليه السلطان خِلْعة النيابة بديار مصر، فأبى أن يكون نائبا، فأنعم عليه بتقدمة ألف وجعله أتابَك العساكر وتولى نيابة حلب عِوضَه طَيْبُغَا الطويل، وكان أخرجه من سجن الإسكندرية قبل ذلك.

ثم زوّج السلطان أخته[2] للأمير منكلى بُغا الشمسى المذكور فتزوجها وأولدها بنتا[3] تزوّجها الملكُ الظاهر بَرْقُوق وعاشت بعد الملك الظاهر الى أن ماتت فى سنة ثلاث وثلاثين بقاعتها بخُطّ[4] الكعكيين من القاهرة، ثم رسم الملك الأشرف أن يفرج عن طُغَيْتَمُر النظامى وأيدمر الخطائى وأَلْجاى اليُوسفى وكانوا محبوسين بالإسكندرية فحضروا إلى بين يدى السلطان وقبّلوا الأرض بين يديه وخلَع على

(١) فى الأصلين: «يوم الاثنين». وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٦١ (أ)).

(٢) هى خوند سارة بنت حسين بن محمد بن قلاوون (عن السلوك ج ٣ و ٤ ص ٦٦ (أ)).

(٣) هى هاجر بنت منكلى بغا الشمسى.

(٤) ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ح ١ ص ٣٧٣) فقال فى كلامه على الشارع الأعظم وهو قصبة القاهرة: من باب زويلة بعد حارة الجودرية ثم يسلك أمامه إلى سوق الحلاويين فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه إلى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانين وسكنى الأساكفة.

وأقول: إن الكعكيين هم الذين يبيعون الكعك؛ وسوق الكعكيين هو الذى يسمى الآن شارع الكحكيين أحد الشوارع المتفرعة من شارع المعز لدين الله فيما بين باب زويلة وشارع الأزهر بالقاهرة، ولا يوجد الآن لهذا الشارع أثر بالقاعة المذكورة.

بَكْتَمُر المؤمنى وآستقرّ أمير آخور كبيرا بتقدمة ألف وهو صاحب المصلاة[(١)] والسبيل بالرُّمَيلة ثم رسم السلطان بإحضار الأمير آقتمر عبد الغنى . فلما وصل آقتمر إلى مصر أخلع عليه السلطان بآستقراره حاجب الحجّاب بالديار المصرية ، وكان آقتمر هـذا قد ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، قبل نيـابة الشام وتولى نيابة دمشق بعده
٥ بَيْـدَمُر الخُوارَزْمىّ قليلا ، ثم عُزِل وآستقرّ عوضه فى نيابة دِمَشق منجك اليوسفى نائب طرابُلُس وآستقرّ فى نيابة طرابلس بعد مَنْجَك أَيْدَمُر الآنوكى .

---

(١) ذكر مؤلف هذا الكتاب فى وفيات السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان وهى سنة ٧٧١هـ أن الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى الأمير الكبير مات فى تلك السنة قال : وهو صاحب المصلاة بالرميـلة والسبيل المعروف بسبيل المؤمنى ، ومن هـذا يتضح أن السبيل عرف بالمؤمنى نسبة الى منشئه ،
١٠ ولكن آبن إياس ذكره فى تاريخ مصر (ص ٢١١ ح ١) بآسم سبيل المؤمنين . وورد كذلك بهذا الآسم فى كتاب وقف السلطان قانصوه الغورى الخاص بهذا السبيل ، ثم ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ص ١٢٣ ج ٥) بآسم جامع المؤمنين ، وإنى أرى أن الاسم الصحيح هو سبيل المؤمنى ، وأما كلمـة المومنين فهى تحريف الأصل ، ودلنى البحث على أن هذا السبيل أنشئ حوالى سنة ٧٦٥هـ .

ويستفاد من كتاب وقف السلطان الغورى المدرج صورته فى الخطط التوفيقية (ص ١٢٤ ج ٥) :
١٥ أنه فى سنة ٩٠٩ هـ جدّد العمارة المستجدّة الإنشاء التى تشتمل على المصلى وسبيل المؤمنين والمزملة والميضاة ومغسل الموتى بالرميلة تحت القلعة ، وكان لكل مكان منها باب خاص به ، وأن هذه العمارة كانت تشرف من جهتها البحرية على الرميلة (ميدان صلاح الدين الآن) ومن جهتها الغربيـة على الرميلة كذلك (شارع السيدة عائشة الآن) .

وبمعاينة هذه العمارة تبين لى أنها تقع على يسار الداخل بأول شارع السيدة عائشة من جهة ميدان صلاح
٢٠ الدين ولم يبق منها الآن إلا المصـلى وهى عبارة عن مسجد بمحرابه مبنى بالحجر النحيت ويشتمل على رواقين بثلاث بوائك ويعرف الآن بجامع الغورى . وأما السبيل والمزملة فقـد هدما وأقامت وزارة الأوقاف فى مكانهما العمارة المطلة على ميدان صلاح الدين ورأس شارع السيدة عائشة ، وأما الميضاة ومغسل الموتى فكانا واقعين قبلى المسجد ومكانهما أرض فضاء وكذلك وجهة تلك الأماكن المشرفة على شارع السيدة عائشة قد هدمت وأقيم عليها دكاكين ولم يبق منها إلا الطرقة التى توصل إلى المسجد الواقع خلف تلك الدكاكين .
٢٥ وقام بعض سكان تلك الجهة بعمل دورة مياه حديثة للمسجد ووضعوا فيه منبرا بسيطا من الخشب لجعله مسجدا جامعا وسلموه لوزارة الأوقاف للصرف عليه وهو مقام الشعائر .

وأما الرميلة فسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ١١١ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم أخلع السلطان على الأمير الأكز الكشلاوى بآستقراره شادّ الدواوين ، عوضا عن بهادُر الجمالى . ثم أفرج عن الأمير أرْغون طَطَار وأخلع عليه وآستقر أمير شِكار بتقدمة ألف . ثم رسم بإحضار قطلوبغا الشعبانى من الشام لحضر بعد مدّة .

[ثم فى ثامن عشر جُمَادى الآخرة[1] آستقر الأمير آقتمر الصاحبى دوادارا عوضا عن آقبغا بن عبد الله بإمرة طبلخاناة وآستقر طُغَيْتَمُر العثمانى شادّ الشراب خاناه وآستقر بَشْتَك العُمَرى رأس نوبة ثانيا] .

ثم أخلع الملك الأشرف فى تاسع عشرين شهر رمضان على الأمير أرغون الأزقى بآستقراره رأس نوبة كبيرا عِوضا عن تُلُكْتَمُر بن بركَة وآستقر تلكتمر المذكور أمير مجلس عوضا عن طُغَيْتَمُر النظامى .

ثم آستقر الأمير أُلْجَاى اليوسفى أمير سلاح برانيًّا عوضا عن أَزْدَمُر العِزّى . وآستقر آقبغا بن عبد الله دوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه . ثم استقر الأكز أستادارا عوضا عن أَلْطُنْبُغَا بحكم وفاته .

وفى سابع شوّال آستقر الأمير عمر بن أرغون النائب فى نيابة الكرك ، عوضا عن ابن القَشْمرى وآستقر طيدمر البالسىّ فى نيابة الإسكندرية ، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرّام وآستقر خليل بن عرّام حاجبا بثغر الإسكندرية . ثم استقر أيدمر الشيخى فى نيابة حمَاة عوضا عن عمر شاه ، وأخلع على شمس الدين ابن المقسىّ بآستقراره ناظر الخواص الشريفة بالقاهرة عوضا عن آبن أبى شاكر

(١) وردت هذه العبارة فى الأصلين بعد الكلام الذى بعدها وقد أثبتناها فى مكانها ليستقيم الكلام ويصح التاريخ .

فى ثالث عشر ذى القعدة . وآستقرّ العلامة سراجُ[1] الدين عمر بن إسحاق الغَزْنَوِىّ الهنـدىّ الحنفىّ قاضى قُضاة الحنفية بالديار المصرية ، بعـد موت قاضى القضاة جمال الدين التُّركمانى[2] وآستقرّ الشيخ سِراج عمر بن رَسْلان بن نُصَيْر بن صالح الكِنانى[3] البُلقينى الشافعى فى قضاء دِمشق عوضًا عن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب السُّبْكىّ ، فلم تَطُل مدّة البُلقينى فى قضاء دمشق وعُزِل وأُعيـد تاجُ الدين السُّبْكى وآستقرّ القاضى بدر الدين محمـد آبن القاضى علاء الدين على آبن القاضى مُحيى الدين يحيى بن فضـل الله العُمَرى فى كتابة السر بالديار المصرية بعد وفاة والده وآسـتقرّ فتحُ[4] الدين محمـد بن الشهيد فى كتابة سِرّ[5] دمشق عوضا عن جمال الدين بن الأثير .

ثم وقَع الوباء بالديار المصرية حتى بلغت عدّةُ الموتى فى اليوم أكثرَ من ألف نفس وأقام نحو الأربعة أشهر وآرتفع .

وفى هذه السنة أيضا وهى سـنة تسع وستين وسبعمائة قصدت الفرنج مدينـة طرابُلُس الشام فى مائة وثلاثين مَرْكبا من الشوانى والقَرَاقير[6] والغِرْبان والطرائد وصحبتهم صاحب قُبْرُس وهو المقدّم ذكرُه عليهم وكان نائبها وأكثر عسكرها غائبين

(١) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٣ هـ . (٢) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٦٩ هـ .

(٣) فى بعض المصادر : «الكنانى» بالتاء بدل النون . (٤) هو القاضى فتح الدين أبو بكر محمد ابن القاضى عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبى الكرم محمد الدمشقى الشافعى المعروف بآبن الشهيد كاتب سر دمشق سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٣ هـ وانظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (ج ٦ ص ٣٢٩) . (٥) جمال الدين بن الأثير هو عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبى ، أحد أفراد الأسرة المعروفة بكتابة السر فى مصر والشام وأصحاب حكر ابن الأثير فى بولاق ، وقد ذكر المقريزى فى السلوك خبر توليته كتابة سر دمشق عوضا عن فتح الدين بن الشهيد فى حوادث سـنة ٧٦٨ هـ . كما ذكر عوده للقاهرة فى ٧٦٩ هـ انظر السـلوك (ج ٣ و ٤ ص ٥٣ (أ) وص ٦٣ (أ) قسم ثان) . (٦) القراقير : جمع قرقور وهو ضرب من السفن وقيل هى السفينة العظيمة أو الطويلة (انظر لسان العرب مادة قرر) .

عنها ، فاغتنمت الفرنج الفُرْصة وخرجوا من مراكبهم إلى الساحل فخرج لهم من طرابُلُس بقية عسكرها بجماعة من المسلمين فترامَوْا بالنّبال ثم اقتتلوا أشدّ قتال وتقهقر المسلمون ودخل المدينة طائفةٌ من الفرنج فنهبوا بعضَ الأسواق . ثم إن المسلمين تلاحقوا وحصل بينهم وبين الفرنج ،وقائعُ عديدةٌ استُشْهِد فيها من المسلمين نحوُ أربعين نفرًا وقُتِل من الفرنج نحوُ الألف وألقَى الله تعالى الرُّعْبَ فى قلوب الفرنج فرجعوا خائبين .

وفى هذه السنة قوى أمرُ الملك الأشرف فى السلطنة وصار تدبيرُ مُلْكه إليه يعزل ويُولّى من غير مَشورة الأمراء وصار فى المُلْك من غير مُنازِع ولا مُعانِد وحسُنت سيرتُه وحبّته الرعية إلى الغاية وصار يقصد المقاصدَ الجميلةَ مما سيأتى ذكرُه .

ثم فى أوّل جُمادى الآخرة عزَل الأشرفُ أسَنْبُغا بن الأبو بكرى عن نيابة حلب بالأمير قَشْتَمُر المنصوريّ . ثم قبض السلطان على أرغون العجميّ الساقى أحد المماليك السلطانية بسبب أنه سَرَق أحجارًا مثمّنة من الخزانة السلطانية وباعها على الفرنج ، وفيها حجرٌ يُعرف بوجه الفَرَس فجاء به الفرنج الى مَنْجَك اليُوسُفى نائب الشام فعرفه وأرسله الى السلطان وأخبره بخبر أرْغون العجميّ وكيف باعه للفرنج فصفَح السلطانُ عنه ونفاه الى الشام .

ثم فى يوم السبت العشرين من شهر رمضان نَفى السلطان الأميرَ آقْتَمُر الصاحبيّ الدوادار الكبيرَ إلى الشام لأمر وقَع بينه وبين الأمير أَلْجاى اليُوسفيّ .

وفى تاسع عشر ذى القعدة أحضر الأميرُ بَيْدَمُر الخُوارَزمى المعزول عن نيابة الشام قبل تاريخه وأُدخِل الى قاعة الصاحب[1] بقلعة الجبل وطُلب منه ثلاثمائة ألف

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

دينار وكان متولّى أمره علىّ بن محمـد بن كلبك التُّركمانى فعُصر يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى القَعْـدة ، ثم أفرج عنه ونُفِى الى طرابُلُس بعد أن اخذ منه مائة ألف دينار .

ثم قَدِم الخبرُ على السلطان بقتل الأمير قَشْتَمُر المنصورى نائب حلب ، وخبرُه أنه لمـا ولى نيابة حلب فى جمادى الآخرة من هذه السنة وتوجّه إلى حلب فلم يُقِم بهـا إلا يسيرًا وخرج منها وكَبَس أمير آل فضل بعَربه بتل السلطان فركب العربُ وقاتلته فقُتل فى المعركة هو وولده محمـد بن قشتمر وكان الذى قتله حيّار أمير آل فضـل وولده نُعَيْر بن حيّار وكان ذلك يوم الجمعة خامس عشر ذى الحجة ولمـا بلغ المـلكَ الأشرفَ عَظُم عليه وأرسل تقليدا للامير اشِقْتَمُر المـارديِنى بنيابة حلب على يد الأمير قطلوبغا الشعبانى وعزل حيّارا عن إمرة العرب وولّاها لزامل[1] .

ثم أنعم الملك الأشرف فى هذه السنة على ألوف بتقادم وطبلخانات وعشرات ، فمن أنعم عليهم بتقدمة ألف الأمير بهادر الجمالى و بشتك العمرى وممن أنعم عليـه بإمرة طبلخاناه صَراى الإدريسى ، و بيبغـا القوصونى وأحمـد بن آقتَمُر عبد الغنى وأحمد بن قنغلى وخليل بن قمـارى الحموى وطُغَيْتَمر الحُسَيْنى وحسين بن الكورانى وأرغون شاه الأشرفى .

وكان أمير الحاج فى هذه السنة بهادُر الجمالى ، وحجّت فى هذه السنة أيضا خَوَنْد بركة والدة السلطـان الملك الأشرف صاحب الترجمـة بتجمُّل زائد ورَخْت[2] عظيم و بَرْك هائل وفى خدمتها من الأمراء الألوف بشتَك العُمرى و بهـادر الجمالى

(١) هو زامل بن موسى بن عيسى بن مهنا . (٢) البرك والرخت لفظان فارسيان معناهما المتاع الخاص من ثياب وقماش الأمراء وسلاطين المماليك . وفى كتابنا هذا أمثلة كثيرة لاستعمال هذين اللفظين . انظر معجم دوزى وسلاطين المماليك لكترمير (ج ١ ص ٢٩) والسلوك تحقيق الأستاذ زيادة (ج ١ ص ١٣٤ ، ١٩٠) .

أمير الحاج ومائة مملوك من المماليك السلطانية الخاصّكية وكان من جملة ما معها بدرب الحجاز كوسات وعصائب سلطانية وعِدّة مِحفّات بأغطية زَرْكَش وعدّةُ محاير[1] كثيرة بأفخر زينة وحُمِل معها أشياء كثيرة يطول الشرح فى ذكرها من ذلك: قطر جمال عليها مَزْروع خضر وغير ذلك وحجّت وعادتْ إلى الديار المصرية، بعد أن آحتفل جميع أمراء الدولة إلى ملاقاتها، ولما وصلت إلى القلعة أثنتْ على بهادر الجمالى فأخلع السلطانُ عليه.[2]

ثم بعد مدّة فى يوم حادى عشرين المحرّم من سنة إحدى وسبعين وسبعمائة آستقرّ به أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير بَكْتَمُر المؤمنى بعد موته وآستقرّ الأميرُ تُلُكْتَمُر [من بَرَكَة][3] أستادارا عوضًا عن بهادُر [الجمالى][4] المذكور وآستقرّ أرغون شاه الأشرفى أمير مجلس عوضا عن تلكتمر المنتقل الى الأستادارية ثم نُقِل أرغون شاه المذكور بعد مدّةٍ يسيرةٍ من وظيفة أمير مجلس إلى وظيفة رأسُ نَوْبة النُّوب، بعد موت بَشْتَك العُمَرى وآستقرّ أرغون [الأحمدى][5] اللّالا أمير مجلس عوضا عن أرغون شاه المذكور.

ثم أنعم السلطان على الأمير طَيْنَال المارديني بتقدمة ألف وعلى عَلَم دار أيضا بتقدمة ألف وآستقرّ أستادار العالية عوضا عن تُلُكْتَمُر.

ثم فى سنة آثنتين وسبعين آستقرّ الأمير طَشْتَمُر العلائى دَوادارا كبيرا بإمرة طبلخاناه، انتقل إليها من الجندية عوضًا عن مَنْكُوتَمُر من عبد الغنى وآستقرّ يَلْبُغا الناصرى اليَلْبَغاوى خازندارا كبيرا، عوضا عن يعقوب شاه.

(١) المحاير، جمع محارة وهى مرادفه للمحفة، صندوقان يشدان إلى جانب الرحل كالهوادج. وكان للمحاير سوق خاص بالقاهرة اسمه سوق المحايرين اشتهر تجاره بتحديد أثمان بضائعهم بغير مساومة. ومكانه قرب الجامع الأقمر وآستحدث آخر قرب الجامع الطولونى على عهد المقريزى. انظر الخطط المقريزية (ج ٢ ص ١٠١، ١٠٢) والسلوك تحقيق الأستاذ زيادة ص ٢٣٣ ح ٢. (٢) يراد به: الأمير بهادر الجمالى المقدّم ذكره. (٣) تكملة عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٦٨ (أ) قسم ثان. (٤) تكملة عن السلوك المصدور المتقدّم. (٥) تكملة عن السلوك (ج٣ و٤ ص ٦٨ (ب) قسم ثان.

قلت : والناصرى هــذا هو صاحب الوقعــة مع الملك الظاهر بَرْقُوق الآتى ذكرها فى ترجمة الظاهر المذكور .

ثم فى سنة ثلاث وسبعين عَزَل السلطان الأمير اِشِقْتَمُر المــاردينى عن نيــابة حلب بالأمير عز الدين أيدمر الدوادار .

قلت : وإشِقْتَمُر الماردينى هذا ومَنْجَك اليوسفى نائب الشام وبَيْدَمُر الخُوارزمى هؤلاء الثلاثة لا أعلم أحدا فى الدولة التركيّة وَلِى ولا يَتهم من الأعمال والوظائف ولا طال مُكْثُه فى السعادة مثلهم على ماذكرناه فيما مضى وما سنذكره فيما يأتى إن شاء الله تعالى على أن اشقتمر هذا طال عمره فى السعادة حتى ولى نيابة الشام عن الملك الظاهر برقوق ، و برقوق يومئذ فى خدمة منجك اليوسفى نائب الشام ، وإلى الآن لم يتصل بخدمة السلطان ولا صار من جُملة الممـاليك السلطانية وقد تقدّم أنّ اشِقْتَمُر وَلِى الأعمال الجليلة من سلطنة الملك الناصر حسن الأولى وكان يَلْبُغَا العمرى أستاذ بَرْقوق يوم ذاك خاصّكيًّا ، فانظُر إلى تقلّبات هذا الدهر ونَيْل كلّ موعود بما وُعِد . انتهى .

وفى سنة ثلاث وسبعين المذكورة رَسَم السلطان الملك الأشرف أنّ الأشرافَ بالديار المصرية والبلاد الشامية كلّهم يَسِمُون عمائِمَهم بعلامة خَضْراء بارزة للخاصّة والعامّة إجلالا لحقّهم وتعظيمًا لقَدْرهم ليُقَابَلُوا بالقَبول والإقبال و يمتازوا عن غيرهم من المسلمين ، فوقَع ذلك ولَبِسوا الأشرافُ العلائمَ الخُضْر ، التى هى الآن مستمرّة على رُءوسهم ، فقال الأديب شمس الدين محمــد بن إبراهيم الشهير بالمزيِّن فى هــذا المعنى : [الكامل]

أطرافُ تيجانٍ أتَتْ مِن سُنْدُس * خُضْرٍ كأعلامٍ على الأشرافِ

والأشرفُ السلطان خصّصهم بها * شرفا لِنعرِفهم مِنَ الأطرافِ

وقال أيضا فى المعنى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسى : [الكامل]

جَعَلُوا لأبْناءِ الرَّسولِ علامةً * إنّ العلامَةَ شأنُ مَنْ لم يُشْهَرِ
نُورُ النُّبُوَّةِ في كريمِ وُجُوهِهِمْ * يُغْنِي الشَّرِيفَ عن الطِّرازِ الأخْضَرِ

وقال أيضا في المعنى الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي : [الرجز]

عمائمُ الأشرافِ قد تميّزت * بخُضْرةٍ رقَّت وراقتْ مَنْظَرا
وهذه إشارةٌ أنّ لهم * في جنّةِ الْخُلْدِ لِباسًا أخضرا

وقال ولده أبو العِزّ طاهر بن حسن بن حبيب في المعنى أيضا : [الطويل]

ألا قُلْ لِمن يَبْغِي ظهور سِيادةٍ * تملَّكها الزُّهْرُ الكِرامُ بنو الزَّهرا
لئِن نَصبوا لِلفخرِ أعلامَ خُضْرةٍ * فكم رَفَعوا لِلمجدِ ألْويةً حُمرا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة التِّلِمْسانيّ الحنفي — تغمده الله تعالى — في المعنى أيضا : [الطويل]

لآلِ رسولِ اللهِ جاهٌ ورِفْعَةٌ * بها رُفِعت عنّا جميعُ النوائبِ
وقد أصبحوا مثلَ الملوكِ بِرَنْكِهِم(١) * إذا ما بَدَوْا لِلناسِ تحت العصائبِ

قلتُ : وبهذه الفعلة يُدَلُّ على حُسن اعتقاد الملك الأشرف المذكور في آل بيت النبوّة وتعظيمه لهم ؛ ولقد أحدث شيئا كان الدهرُ محتاجا إليه ولا ألهم الله تعالى الملوكَ ذلك من قبله ؛ ولله درّ القائل : « كم ترك الأوّلُ للآخر » .

وفي أوّل سنة أربع وسبعين وسبعمائة استقرّ الأميرُ أُلْجاي اليُوسُفي أمير سلاح أتابك العساكر بالديار المصرية عِوَضًا عن مَنْكَلِي بُغَا الشمسي بحكم وفاته — إلى رحمة الله تعالى — وأخلع عليه أيضا بنظر البِيمارِستان(٢) المنصوري؛ فعند ذلك عَظُم قَدْرُ

(١) الرنك : كلمة فارسية ، معناها الشعار .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

أُلجاى المذكور من كونه زَوْج أمّ السلطان وصار أَتَابَك العساكر ، وبهذا آستطال الجاى فى المملكة .

فإنه قبل زواجه بأمّ السلطان خَوَنْدَ بَرَكَة كان من جملة الأمراء المقدّمين لا غير انتهى .

ثم أخلع السلطان على الأمير بُجُك من أرطق شاه باستقراره أمير سِلّاح برانياً عوضا عن أُلجاى اليُوسفى المذكور وآستقرّ يَلْبُغا الناصرىّ شادّ الشراب خاناه عوضا عن بجك وآستقرّ تَلَكْتَمُر الجمالى خازندارا عوضا عن يلبغا الناصرى .

ثم توجّه السلطان الى سَرْحة الأهرام بالجيزة وعاد بعد أيام وعند عَوْده الى قلعة الجبل أخلع على الطَّواشى سابق الدين مِثْقال مقدَّم المماليك السلطانية قَبَاء حرير أزرق صاف بطَرْز زركش عريض أسوة بالأمراء الخاصّكيّة وهذا شىء لم يلبسه مقدّم قبله ، وكان السلطان الملك الأشرف قبل ذلك قد آستجدّ فى كلّ سنة عند طلوعه من هذه السَّرحة وهى توجّه السلطان إلى ربيع الخيل أن يُلْبِس الأمراءَ الخاصّكية مقدّمى الألوف أَقبِيَة حرير بفرو سَمُّور بأطواق سَمُّور بطُرُز زَرْكَش والطَّبلخانات والعشرات أَقْبِيَة حرير بطُرُز زَرْكش منها ما هو بفَرْو قَاقِم ومنها ما هو بِفَرو سنجاب .

ثم بعد ذلك نَزَل السلطان فى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة سنة أربع وسبعين ووالدتُه معه وهى متمرّضة إلى الرَّوْضة(١) تُجاه مصر القديمة بمَنْظَرَة الأمير طَشْتَمر الدّوادار ، فأقام فيها يوم الثلاثاء والأربعاء وصحبتُه جميع الأمراء وطلع يوم الخميس إلى القلعة وآستمرّت أمُّ السلطان متمرّضة الى أن ماتت فى ذى الحجّة وهى فى عصمة

(١) روضة مصر القديمة هى بذاتها جزيرة الروضة وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٧٢ بالجزء الخامس من هذه الطبعة . وأما منظرة الأمير طشتمر فقد اندثرت وليس لها اليوم أثر بهذه الجزيرة .

أَلْجاى اليُوسفِي وصلّى عليها ٱبنها السلطان الملك الأشرف ودُفِنَت بمدرستها[1] التي عمّرتها بخُطّ التّبّانة خارج القاهرة بالقُرب من باب الوزير ووَجِد عليها ولدُها الملك الأشرفُ وجْدًا عظيماً، لأنها كانت من خِيار نساء عصرها دِيناً وخيرًا وصَدَقةً ومعروفاً.
ومن الاتفاق العجيب بعد موتها البيتان اللذان عمِلهما الأديبُ شهاب الدين السعدي الأعرج وتفاءل بهما على ألجاى اليوسفي وهما : [الكامل]

(١) هذه المدرسة ذكرها المقريزي في خططه بأسم مدرسة أم السلطان (ص ٣٩٩ ج ٢) فقال :
هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل ، يعرف خطها بالتبانة وموضعها كان قديما مقبرة لأهل القاهرة ، أنشأتها الست الجليلة الكبرى بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ٧٧١ هـ وعملت بها درسا للشافعية ودرسا للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل وهي من المدارس الجليلة ، وقبرها موجود بقبة هذه المدرسة التي دفن فيها كذلك ابنها الملك الأشرف بعد قتله .
وهذه المدرسة لا تزال قائمة إلى اليوم باسم جامع أم السلطان بشارع باب الوزير الذي أصله من خط التبانة وهو عامر بإقامة الشعائر الدينية . وبوابة هذه المدرسة مرتفعة ذات حجر كبير مربع بها مكسلتان وسقف البوابة من أجمل وأبدع العقود المكونة من المقرنصات المتنوعة ذات الدوالي وكانت مطلية بالنقوش المذهبة .
ويستفاد من الكتابة المنقوشة في الحجر سواء أكانت بأعلى بوابة المدرسة تحت المقرنصات أم بأعلى سباك السبيل أن الذي أمر بإنشاء هذه المدرسة والسبيل لوالدته هو الملك الأشرف شعبان بن حسين في شهور سنة ٧٧٠ هـ والظاهر أنه بدأ في العمارة في سنة ٧٧٠ هـ وأقيمت فيها الصلاة في سنة ٧٧١ هـ كما ذكر المقريزي لأن المدرسة كبيرة ولا بد أن عمارتها استغرقت شهورا من السنتين المذكورتين .
وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بترميم وإصلاح بعض أجزاء هذه المدرسة في سنة ١٣٢٤ هـ ، ولا زالت تواليها بالعناية . ويستفاد مما ذكره المقريزي أن الملك الأشرف شعبان دفن بعد قتله مع والدته في قبة هذه المدرسة ولكن ابن إياس ذكر في كتاب تاريخ مصر (ص ٢٣٤ ج ١) أنه بعد قتل هذا السلطان رموا جثته في بئر عند باب الزعلة ثم نقلوها بعد أيام إلى مدرسة والدته وبعد غسلها هناك كفنوه وصلوا عليه ثم دفنوه في القبة التي تجاه المدرسة .
ومن هذا يتبين أنه لم يدفن في القبة التي دفنت فيها والدته بمدرستها وإنما دفن بقبة أخرى تقع تجاهها .
وبالبحث تبين لي أنه يوجد إلى اليوم تجاه المدرسة المذكورة بقايا قبة قديمة بجوار زاوية الهنود بشارع باب الوزير ومن المحتمل أنها هي القبة التي دفن فيها السلطان شعبان ، كما ذكر ابن إياس .

فى مستَهَلّ العشْرِ من ذِى الحجـةِ * كانتْ صبيحةُ مَوْتِ أُمّ الأشرفِ

فاللهُ يرحمهـا ويُعْظِـمُ أجـرَه * ويكون فى عاشورَ موتُ اليُوسفِى

فكان الأمر على ما ذُكِر، وهذا من الاتفاق الغريب وهو أنه لمّا ماتت خَوَنْد بركة المذكورة، وآستهلت سنة خمس وسبعين وقع بين الملك الأشرف و بين زَوْج أمّه أُلجاى اليوسفى كلامٌ من أجل التركة المتعلقة بخَوَنْد بركة المذكورة وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس المحرّم من السنة المذكورة؛ وكثُر الكلام بين السلطان و بين أُلجْاى اليُوسفى حتى غَضِب أُلجاى وخرَج عن طاعة الملك الأشرف ولبِس هو ومماليكه آلةَ الحرب ولبِست مماليكُ السلطان أيضا وركِب السلطان بمَنْ معه من أمرائه وخاصّكيّته . وباتوا الليلة لابسين السّلاح إلى الصّباح ، فلما كان نهارُ الأربعاء سابع المحرّم كان الوقعة بين الملك الأشرف شعبان وبين زَوْج أمّة أَتابَك أُلجاى اليُوسفى فتواقعوا إحدى عشرة مرة وعَظُم القتال بينهما حتى كانت الوقعة الحادية عَشْرة انكسر فيها أُلجاى اليوسفى وآنهزم إلى بركة الحَبَش[1] .

ثم تراجع أمرُه وعاد بمَنْ معـه من على الجبل الأحمر إلى قُبّـة النّصر، فطَلَبه السلطان الملك الأشرف فأبى فأرسل إليه خِلْعة بنيابة حماة فقال : أنا أروح بشرط أن يكون كلّ ما أملكه وجميع مماليكى معى ، فأبى السلطان ذلك وباتوا تلك الليلة فهرَب جماعةٌ من مماليك أُلجاى فى الليل وجاءوا إلى الملك الأشرف .

فلما كان صباحُ يوم الخميس ثامن المحرّم أرسـل السلطان الأمراء والخاصّكية ومماليكَ أولاده و بعضَ المماليك السلطانية إلى قُبّة النصر إلى حيث أُلجاى ، فلمّـا

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

رآهم أُلجاى هرَب فساقوا خلْفه إلى الخرقانية[1]، فلما رأى ألجاى أنه مُدْرَك رمى بنفسه وفَرسه إلى البحر، ظنًّا أنه يُعدّى به إلى ذلك البرّ، وكان ألجاى عَوّاما فثقُل عليه لُبسه وقماشه فغَرِق فى البحر وخرج فرسُــه وبلَغ الخبرُ السلطانَ الملكَ الأشرف فشقّ عليه موتُه وتأسّف عليه . ثم أمر بإخراجه من النيل فنزل الغوّاصون وطلعوا به وأحضروه إلى القلعة فى يوم الجمعة تاسع المحرّم فى تابوت وتحته لُبّاد أحمر فغُسّل وكُفّن وصَلّى عليه الشيخ جلال الدين التّبانى ودُفن فى القُبّــة التى أنشأها بمدرسته[2] برأس سُوَيْقة[3] العِزّى خارج القاهرة والمدرسة معروفة وبها خُطبة . وكان ألجاى من أجلّ الأمراء وأحسنها سيرة .

ثم قبض السلطان على مماليك أُلجاى ونُودى بالمدينة أنّ كل من لَقِى أحدا منهم يحضره إلى السلطان ويأخذ له خِلْعة . ثم أخذ السلطان أولاد أُلجــاى وهم إخوته

(١) الخرقانية هى من القرى القديمة وهى الآن إحدى قرى مركز قليوب بمديرية القليوبية بمصر، وردت فى نزهة المشتاق للادريسى : « الخرقانية » بين يسوس (باسوس) وشلقان ، قال : وهى قرية عامرة لها مزارع وضياع وبساتين كثيرة للملك ، ووردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى باسم الخاقانية من أعمال الشرقية ، لأنها كانت تابعة لها فى ذلك الوقت ولعل اسمها الأصلى : (الخاقانية) نسبة للفتح بن خاقان . وفى التحفة السنية لابن الجيعان : «الخاقانية» وجزائرها من أعمال القليوبية ، ثم حرفت إلى الخرقانية وهو اسمها الحالى .

ومما يلفت النظر أنها وردت فى نزهة المشتاق وفى معجم البلدان لياقوت بهذا الاسم المحرف ، فى حين أنهما أقدم من قوانين ابن مماتى ، ومن التحفة السنية لابن الجيعان . وفى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سنة ١٢٢٤ هـ باسم الخاقانية وهى الخرقانية بولاية قليوب ، ومن تلك السنة استمرت باسمها الحالى . والخرقانية بلدة زراعية تبلغ مساحة أراضيها حوالى ١٥٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٣٠٠٠ نفس .

(٢) هذه المدرسة تعرف الآن بجامع ألجاى اليوسفى بشارع سوق السلاح . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) هذه السويقة تعرف الآن بشارع سوق السلاح وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

لأمّه ورتّب لهم ما يكفيهم واحتاط على سائر موجود أُلْجاى وأخذ جميع مماليكه وصَفَح عنهم وجعلهم فى خدمة ولديه : أمير علىّ وأمير حاج .

ثم قَبَض السـلطان على جماعة من الأمراء ممن كان يَلُوذ بالأمـير أُلْجاى وهم صَرَاى العلائىّ وساطان شاه بن قراجا وطَقْتَمُر الحَسَنى وعلىّ بن كلبك (١) وصادره . ثم أمسك يَبْغًا القَوْصُـونى وخليل بن قُمارِى الحَمَـوى فشفَع فيهما الأمـير طَشْتَمُر الدوادار .

ثم فى آخر صفر رَسَم السلطان بنفى جماعة إلى البلاد الشامية، وهم محمـد شاه دوادار أُلْجـاى وخليل بن عَرّام المعزول عن نيـابة الإسكندرية وعلىّ بن كلبك وأَقْبُغَا البَشْمَقْدار خازندار أُلْجاى وكان السلطان فى تاسع المحرّم رَسَم لبُورِى الحلبى الخازندار أن يتوجّه الى طرابُلُس لإحضار نائبها الأمير عزّ الدين أَيْدَمر الدوادار الناصرى الى مصر، فتوجّه بورى اليه وأحضره، فلمّا مَثَل بين يدى السلطان أخلعَ عليـه باستقراره بأتابَك العساكر بالديار المصرية، عوضا عن ألجاى اليوسفى وتولّى عِوضَه نائب طرابلس الأمير يعقوب شاه، وبعد موت ألجاى أنعم السلطان على جماعة من الأمراء بإقطاعات ووظائف فأَخْلَع على الأمير صَرِغَتْمش الأشرفى باسـتقراره أمير سلاح خاصّكيا يجلس بالإيوان (٢) فى دار العدل وٱستقرّ ارغون الأحمـدى الّلالا أمير كبير برانيّا وأُجلِس بالإيوان، قاله العينى فى تاريخه ووافقه غيره .

قلت : فيكون على هـذا الحكم تلك الأيام أمير كبير خاصّ وأمير كبير برّانى وأمير سلاح خاص وأمير سلاح برّانى وهذا شىء لم يُسمَع بمثله . انتهى

---

(١) كذا فى الأصلين . ورواية السلوك (ح ٣ و ٤ ص ٧٧ (أ) قسم ثان : « ابن كلفت » وسيتكرر فى السلوك فيما بعد باسم : « ابن كلفت » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثم أنعم السلطان على قُطْلُوبُغا الشعبانى بتقدمة ألف وٱستقرّ رأس نوبة ثانيا.

قلتُ : وهذه الوظيفة الآن هى وظيفة رأس نوبة النُّوَب ورأسُ نَوْبةِ نُوب تلك الأيام قد بَطَلت من الدولة الناصرية فرَج بن بَرْقُوق . وكانت تسمى رأس نوبة الأمراء وآخِرُ مَنْ وَلِيَها آقْبَاىَ الطُّرُنْطاوى الحاجب .

ثم أخْلَع على جماعة وأنعَم عليهم بإمرة طبلخانات وهم : أحمد بن يَلْبُغا العُمَرى الخاصّكى وآقْتَمُر الصاحبى وتَمُرْباى الحَسَنى و إينال اليُوسفى وعلى بن بهادُر الجمالى وبلُّوط الصَّرِغتْمشى ومُختار الطواشى الحسامى مقَدّم الرَّفْرف[1] .

قلتُ : وأيضا هذا شىءٌ لم يُسْمَعْ بمثله من أن يكون بعضُ خُدّام الأطباق أميرَ طبلخاناه ، وأغربُ من ذلك أنّ مقدّم المماليك فى زماننا هذا إقطاعُه إمرةُ عشرة ضعيفة . انتهى . وعلى أُلْجيبغا المحمدى وحاجى بك بن شادِى . وأنعم على اثنين بعشرات وهم أَلْطُنْبُغا من عبد الملك وطشْتَمر الصالحىّ .

ثم فى عاشر شهر ربيع الآخر ٱستقرّ أحمد بن آل مَلَك فى نيابة غزة عوضا عن طَشْبُغَا المُظفَّرِى وأنعم على مُبارك الطّازِى بتقدمة ألف وعلى سُودون جَرَكَس المنْجكى بتقدمة ألف وٱرتجع السلطان من طَيْنال الماردينى تقدمته وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة . ثم استقر مَنْكلى بُغا البلدى الأحمدى فى نيابة الكَرَك واستقر ناصر الدين محمد بن آقْبُغا آص أستادارا بتقدمة ألف . ثم أنعم السلطانُ على أَلْطُنْبُغا طَطَق العثمانى بتقدمة ألف واستقر أمير سلاح برانيا عِوضًا عن طَيْدَمُر البالِسى وأنعم على

(١) الرفرف من جملة دور القلعة ، عمره الملك الأشرف خليل بن قلاوون وجعله عاليا حتى إنه كان يشرف على الجيزة كلها و بيضه وصوّر فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد و زخرفها ، وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك فيه ، حتى هدمه الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٠ هـ وعمل بجواره برجا بجوار الإسطبل ، نقل اليه المماليك . والمعنى واضح من أن مختار الطواشى الحسامى كان مقدّما لمماليك الرفرف . (انظر خطط المقريزى) ج ٢ ص ٢١٣ و ٢١٤) .

طُغَيْتَمُر اليلْبغاوى الدوادار الثـانى بإمرة طبلخاناه وهـو أوّل من لَبِس[1] الدوادارية الثانية . ثم نُقِلَ مَنْكَلى بغا البلدى من نيابة الكَرَك الى نيابة صَفَد واستقرّ آقْتَمُر عبد الغنى النائب بديار مصر فى نيابة طرابُلُس وقـد تقدّم أن آقتمر هذا كان ولى نيابة الشام سنين .

وفى رابع عشرين ذى القعدة اسـتقرّ يَلْبُغَا الناصرى اليَلْبُغَاوى صاحب الوقعة مع برقوق الآتى ذكرها حاجبا ثانيـا بإمرة مائة وتقدمة ألف . ثم عزل السلطان سابِق الدين مِثقالًا الآنُوكى مقدّم المماليك وأمَره أن يَلْزم بيتَه واستقرّ عوضَه فى تقدمة المماليك الطواشى مختار الحُسامى مقدّم الرَّفْرَف[2] المقدّم ذكرُه .

ثم نَدبَ السلطانُ الأميرَ يَلْبُغا الناصرى للسفر الى دِمَشق لإحضار نائبها الأمير مَنْجك اليُوسـفى فسار من وقته الى أن وَصَـل الى دمشق وأحضر الأمـير منجك المذكور، ووصل مَنْجك الى الديار المصرية وصحبته أولاده ومملوكه جَرَكْتَمر وصهره آرُوس المحمودى بعد أن احتَفَل أهلُ الدولة لملاقاته وخَرجَت اليه الأمراءُ الى بين الحوضين[3] خارج قُبّة النصر[4] وطَلع الى القلعة من باب السرّ وسائرالأمراء والخاصكيّةُ مُشاةٌ بين يديه فى ركابه، مثل أَيدَمُر الدوادار ومَنْ دُونه بإشارة السلطان، فلمـا

---

(١) فى : « ف » : « أوّل من ولى الدوادارية » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء . (٣) دلنى البحث على أن هذين الحوضين كانا من البناء وأنهما كانا مخصصين لشرب الناس والدواب و بجوارهما بئر للئهما بالماء العذب وكانا واقعين فى المكان الذى به اليوم سراى الزعفران بأوّل شارع الخليفة المأمون بجهة العباسية البحرية بالقاهرة .

وكانت الأرض الواقعة بين قبة النصر السابق التعليق عليها فى الحاشـية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة و بين هذين الحوضين أرض فضاء . ولأن قبة النصر كانت أقرب مكان مبنى لهذين الحوضين فى ذلك الوقت فقد اعتبرها المؤلف نقطة ثابتة بالنسبة للحوضين المـذكورين اللذين كانا بقرب الأراضى الزراعية فى تلك المنطقة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

دخَلَ منْجك على السلطان وقبّل الأرض أقبل عليه السلطانُ إقبالا كليًّا وخَلَع عليه باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية خاصّكيًّا عوضا عن آقتمر عبدالغنى المُنتقِل الى نيابة طرابُلُس وفوّض اليه السلطان النظر فى الأحباس والأوقاف والنظر فى الوزارة، فإنه كان وليها بعد موت أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدّم ذكرُه والنظر على ناظر الخاص وقُوِىَ تقليدُه بالإيوان[1]، وأن السلطان أقامه مُقام نفسه فى كل شىء وفوّض إليه سائر أمور المملكة، وأنه يُخرِج الإقطاعات التى عبْرتُها[2] سبعمائة دينار إلى ما دونها، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة، وأنه يُخرِج الطبلخانات والعشرات بسائر المماليك الشامية، ورسم للوزير أن يجلس قُدّامه فى الدركاه مع الموقّعين .

ثم بدأ الغلاء بالديار المصرية فى هذه السنة وتزايد سعرُ القمح إلى أن أبيع بتسعين درهما الإردب، وزاد النيل بعد أن نقَص فى شهر هاتور، وهذا أيضا من الغرائب، وهذه السنة تسمى سنة الشراقى كما سنبينه فى حوادث السنين من سلطنة الملك الأشرف هذا .

ثم فى أوّل سنة ست وسبعين عَزَل السلطان الأمير آقتمر عبد الغنى عن نيابة طرابُلُس بالأمير مَنْكَلِى بغا البلدى نائب صَفد وولّاه نيابة صفد .

قلت : درجة إلى أسفل .

ثم مَرِض الأمير منجك اليوسفىّ النائب فنزل السلطان لعيادته، ففرَش منجك تحت رجلى فرسه الشُّقَق الحرير وقدّم له عشرة مماليك وعشرة بقج وعدّة خيول فقبلها السلطان ثم أنعم بها عليه، وكان ذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشرين ذى الحجة ومات منجك بعد يومين .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

ثم ورد الخبر على السلطان بأن القان حسين آبن الشيخ أويس آبن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان[1]، تولى مملكة تبريز[2] و بغداد بعد وفاة أبيه[3] .

وفى هذه السنة فتحت سيس[4] — وهى كرسى الأرمن — على يد الأمير إشقتمر الماردينى نائب حلب، بعد أن نازلها مدّة ثلاثة شهور حتى فتحها وآنقرضت منها دولة الأرمن — ولله الحمد — فدقّت البشائر لذلك وفـرح الملك الأشرف فرحا عظيما بهذا الفتح العظيم .

وفى هـذه السنة — أيضا وهى سـنة ست وسبعين المذكورة — وقع الفناء بالديار المصرية من نصف جمادى الآخرة وتزايد فى شعبان، ثم فى شهر رمضان حتّى صار يموت فى كلّ يوم من الحشريّة[5] نحـو خمسمائة نفس ومن الطّرحى[6] نحـو الألف، فأبيع كلّ فرّوج بخمسة وأربعين درهما، وكل سفرجلة بخمسين درهما، وكل رمّانة بعشرة دراهم، والعشرة دراهم يوم ذاك كانت أزيد من نصف دينار، وكل رُمّانة حُلْوة بستة عشر درهما، وكلّ بطيخة صيفية بسبعين درهما .

ولمـا توفّى منجك شغرت نيابة السلطنة بديار مصر الى العشرين من شهـر ربيع الأوّل استقر فيها الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى .

---

(١) فى الأصلين : «ابن أبغا» وهو تحريف تصحيحه عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٨٧ (ب) قسم ثان والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٠ (ب) والدرر الكامنة (ج ١ ص ٤١٩) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٣) هكذا فى الأصلين : وفى السلوك ج ٣ و ٤ ص ٨٧ (ب) قسم ثان) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٠ (ب) أنه تولى الحكم فى حياة والده . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) هم الذى توفوا ولم يكن لهم وارث شرعى، فترد أموالهم إلى ديوان المواريث الحشرية لعدم وجود وارث شرعى لهم . (راجع قوانين الدواوين لابن مماتى ص ٦ ، ٣٠٣ و ٤٥٢) (٦) جمع طريح وهو المتروك المهمل .

وفى محرّم سنة سبع وسبعين ختَن السلطان أولادَه وعَمِل المهمّ سبعة أيام .

وفى العشر الأوسط من صفر هذه السنة آبتدأ الملك الأشرف بعمارة مدرسته التى(١) أنشأها بالصوه تُجاه الطبلخاناة السلطانية(٢) التى موضعها الآن بيمارستان(٣) الملك المؤيد شيخ وهو كلا شيء، فاشترى الملك الأشرف بيت الأمير شمس الدين سنقر الجمالى وشرع فى هدمه . ٥

(١) ذكر آبن إياس فى كتاب تاريخ مصر عند الكلام على سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن محمد بن قلاوون (ص ٢٣٠ و ٢٣١ ج ١) أنه فى سنة ٧٧٧ ﻫ كملت عمارة المدرسة الأشرفية التى أنشأها الأشرف شعبان فى رأس الصوة تجاه الطبلخاناه وقرر بها حضورا من بعد العصر وصوفية (أى أنه قرر حضور الطلبة لتلقى الدروس بعد العصر وجعل بها مكانا للصوفية) ثم قال ابن إياس : وكانت هذه المدرسة من محاسن الدنيا فى البناء والزخرفة وقد هدمت فى دولة الملك الناصر فرج بن برقوق . ١٠

ولما تكلم المقريزى فى خططه على مدرسة الأمير جمال الدين الأستادار (ص ٤٠١ ج ٢) قال : وكان بمدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسين التى كانت بالصوة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل بقية من داخلها فيها شبابيك من نحاس مكفت بالذهب والفضة وأبواب مصفحة بالنحاس البديع الصنعة المكفت ومن المصاحف والكتب فى الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم جملة، فاشترى ذلك الأمير جمال الدين من الملك الصالح المنصور حاجى بن الأشرف شعبان بمبلغ ستمائة دينار وكانت قيمتها عشرات أمثال ذلك، ١٥ ونقلها إلى داره وكان مما فيها عشرة مصاحف، طول كل مصحف منها أربعة أشبار إلى خمسة فى عرض يقرب من ذلك، ولها جلود فى غاية الحسن معمولة فى أكياس الحرير الأطلس . ومن الكتب النفيسة عشرة أحمال جميعها مكتوب فى أوّله الإشهاد على الملك الأشرف بوقف ذلك ومقره فى مدرسته .

ولما تكلم المقريزى فى خططه على المارستان المؤيدى (ص ٤٠٨ ج ٢) قال : إن هذا المارستان أقيم فى مكان مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى كانت فوق الصوه تجاه الطبلخاناه بقلعة الجبل وهدمها ٢٠ الملك الناصر فرج بن برقوق .

ومما ذكر يتبين أن هذه المدرسة كانت من أفخر المدارس وكان بها مكتبة من أكمل المكتبات الزاخرة بالكتب النفيسة، إلا أنه للأسف لم تطل مدّة بقاء هذه المدرسة فاندثرت، وأقيم فى مكانها المارستان المؤيدى الذى جعل مسجدا جامعا لا يزال باقيا بسكة الكومى المتفرعة من شارع المحجر بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة . ٢٥

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هذا البيمارستان (المستشفى) ذكره المقريزى فى خططه باسم المارستان المؤيدى (ص ٤٠٨ ج ٢) فقال : إنه فوق الصوه تجاه طبلخاناة قلعة الجبل، حيث كانت مدرسة الأشرف شعبان بن حسين التى هدمها الناصر فرج بن برقوق =

وفى هـذه السنة تزايد الغلاء بالبلاد الشامية ، حتى جاوز الحـدّ وجعل الغنى فقيرا ، وأُبيع فيه الرطل الخبز بدرهمين ، وفى هـذا المعنى يقول بدر الدين بن حبيب : [الخفيف]

لا تُقيمنّ بِى على حلب الشّهـ * ـباءِ وآرحلْ فأخضرُ العيشِ أدهمْ

كيف لِى بِالمُقامِ والخبزُ فيها * كلُّ رطلٍ بِدرهمينِ ودرهـم

وفى سنة ثمان وسبعين عَزَل السلطان الملك الأشرف آقتمر الصاحبيّ الحنبلىّ عن نيابة السلطنة بالديار المصرية وآستقرّ به أتابك العساكر وعَزَل الأمير آقتمر عبد الغنىّ عن نيابة صَفَد وآستقرّ به أمير(1) مائة ومقدّم ألف بالقاهرة .

= أنشاء الملك المؤيد شيخ المحمودى فى مدّة أوّلها جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ وآخرها رجب سنة ٨٢٣ هـ ونزل فيه المرضى فى نصف شعبان من تلك السنة وعملت مصاريفه من جملة أوقاف الجامع المؤيد المجاور لباب زويلة ، فلما مات الملك المؤيد فى ثامن المحرم سنة ٨٢٤ هـ تعطل المارستان ، ثم سكنه طائفة من العجم المستجدين فى ربيع الأوّل منها وصار منزلا للرسـل الواردين من البلاد إلى السلطان . ثم عمل فيـه منبر وجعل مسجدا جامعا ورتب له خطيب و إمام ومؤذنون و بواب وقومـة (خدم) وأقيمت به الجمعـة فى شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٥ هـ . ومن ذلك التاريخ استمر جامعا تصرف معاليم (مرتّبات) أرباب وظائفه المذكورين من وقف الجامع المؤيدى .

و بمعاينة هذا البناء تبين لى أنه خرب من قديم وآعتدى بعض الناس عليه وأحدثوا مساكن فى وسطه . وفى سـنة ١١١٢ هـ أنشأ الخواجة أحـمد بن على بن إبراهيم السكرى الصولى الشهـير بأبى غالية مسجدا فى الحوش البحرى للبيمارستان المذكور .

ولما رأت إدارة حفظ الآثار ما وقع لهـذا البيمارستان من الخراب ، فى حين أنه من المبانى الأثرية الجميـلة التى يجب المحافظة على بنائها القديم برسمـه الأصلى البديع ، قامت الإدارة المذكورة بإزالة كل ما استجد من المبانى الحديثة داخل البيمارستان وفى حرمه ، ثم شرعت فى بناء وجهته البحرية فأتمتها على أحسن شكل وأبدع مثال ، ولا زالت العمارة جارية فيه إلى اليوم حتى يعود إلى حالته الأولى .

ولهـذا البناء بابان أحدهما وهو العمومى بالوجهة البحرية التى يتوصـل إليها من شارع الكومى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، والثانى يتوصل إليه من درب المـارستان المتفرع من سكة المحجر بخط القلعة .

(1) رواية السلوك (جـ ٣ ب ٤ ص قسم ثان) : « وخلع على الأمير آقتمر عبد الغنى وآستقر حاجب الحجـاب » .

ثم فى العشرين من شهر ربيع الآخر غَرِقت الحُسينية[1] خارج القاهرة وخرب فيها أزيدُ من ألف بيت، وكان سببُ هذا الغرق أنّ أحمد بن قايماز أستادار محمد ابن آقْبُغا آص آستأجر مكانًا خارج القاهرة بالقرب من آخر الحسينية وجعله بِركة وفتح له مَجْرى[2] من الخليج فتزايد المـاءُ وغَفِلوا عنه فطَفَح على الحسينية فغرقها فقبَض السلطانُ بعد ذلك بمدّة على محمد بن آقبغا آص وصادره وعَزَله عن الأستادارية ؛ هذا والسلطان فى تأهُّب سَفَر الحجاز .

فلما كان يومُ الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان[3] سَفَّر السلطان إخوتَه وأولاد أعمامه إلى الكرك صُحبةَ الأمير سودون الفخرى الشيخونى ليُقيم عندهم بالكرك مدّة غَيْبة السلطان فى الحجاز، كلُّ ذلك والسلطان متضعِّف وحركة الحجاز عَمّالة وحواشيه وخواصّه يَنْهَونه عن السفر فى هذه السنة وهو لا يلتفت إلى كلامهم .

ثم توجه السلطان الى سِرْياقُوس[4] على عادته فى كل سنة وعاد وقد نصـل عن ضعفه إلى يوم السبت الثـانى عشر من شوّال خرجت أطلاب[5] الأمراء المتوجّهين صحبة السلطان إلى الحجاز .

وفى الأحد ثالث عشر خرجَ السلطان بتجمّل زائد وطُلْب عظيم إلى الغاية جُرّ فيه عشرون قِطارا من الهُجُن الخاص بقماش ذهب وخمسة عشر قِطارا بقماش حرير وقطار واحد بلبس خليفتىّ وقطار آخر بلبس أبيض برسم الإحرام ومائة فرس مُلبسة

(١) هى إحدى الحـارات الكبيرة التى يخـترقها اليوم شارع الحسينية بالقاهرة وسـبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٠ بالجزء الثامن وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٢) رواية السلوك (جـ ٣ و ٤ ص ٩٣ (أ) قسم ثان) أن السد انقطع أوائل شهر ربيع الأول وحصل الغرق فى يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الأوّل .

(٣) فى السلوك (جـ ٣ و ٤ قسم ثان) . « شـعبان » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة

(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وبَكَاوَتان(١) بأغشية زَرْكش وتسع مِحفّات، غِشاء خمس منهن زَرْكش وستة وأربعون زَوْجا من المحاير وخِزانةٌ عشرون جمَلا وقطاران من الجمال مُحمّلة خضر مزروعة كالبَقْل والشّمار والنّعناع والسلق والكُسبرة وغير ذلك. وأما أحمالُ المطاعم والمشارب والمـآ كل فلا تدخل تحت حَصْر كثرة: منها ثلاثون ألف عُلْبة حلاوة فى كل عُلْبة خمسة أرطال كلُّها معمولة من السكر المكرر المصرى وطُيِّبت بمـائة مِثقال مسك، سـوى الصَّنْدل والعُود، هذا خلاف ما كان للأمراء والخاصّكِية وإنمـا كان هذا للسلطان خاصّــة نفسه وأشياء من هذا النَّمُوذَج كثيرة ومع هذا كلّه لم يتغيّر سـعرُ السكّر بمصر.

وسار السلطان بأمرائه فى أُبّهة عظيمة حتى نزل سِرْياقوس فاقام بهـا يوما، وفى هــذا اليوم أخلع السلطان على الشـيخ ضياء الدين القِرمى الحنفىّ باسـتقراره شيخ شيوخ المدرسة التى أنشأها بالصُّوة وقــد أشرفت على الفراغ وجاءت من أحسن البناء.

ثم رحل السلطان من سِرْياقوس حتى نزل بالبركة(٢) على عادة الحُجّاج فأقام بهـا إلى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شوّال ورَحل بعساكره وأمرائه إلى جهــة الحجاز وكان الذى صَحِبــه من أمراء الألوف تسـعة وهم: الأمير صرغتمش الأشرفى وأرْغُون شاه الأشرفى ويَلْبُغا الشامىّ وهـؤلاء الثلاثة أشرفيّة مماليكُه والأميرُ بهـادُر الجمالىّ وصَرَاى تَمُر المحمدىّ وطَشْتَمُر العلائى الدوادار ومُبارك الطازى وقُطْلُقتَمُر العلائى الطويل وبَشْتَك من عبــد الكريم الأشرفىّ أيضا. ومن أمراء الطبلخانات خمسةٌ وعشرون أميرا وهم: بُورى الأحمدىّ وأيدَمر الخطائىّ من صديق وعبد الله بن

(١) الكجاوة: هودج النساء فارسية (عن استنجاس).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

بكتمر الحاجب وبلوط الصرغتمشي وآروس المحمودي ويلبغا المحمدي ويلبغا الناصري، على أنه كان أنعم عليه بتقدمة ألف، غير أنه أضيف إلى الطبلخانات كونه كان حاجبا ثانيا وأرغون العزي الأفرم وطغيتمر الأشرفي ويلبغا المنجكي وكزل الأرغوني وقطلوبغا الشعباني وأمير حاج بن مغلطاي وعلي بن منجك اليوسفي ومحمد ابن تنكزبغا وتمرباي الحسني الأشرفي وأسندمر العثماني وقرابغا الأحمدي وإينال اليوسفي وأحمد بن يلبغا العمري وموسى بن دندار بن قرمان ومغلطاي البدري وبكتمر العلمي وآخر. ومن العشرات خمسة عشر أميرا وهم: آقبغا بوز الشيخوني وأبو بكر بن سنقر الجمالي وأحمد بن محمد بن بيبرس الأحمدي وأسنبغا التلكي وشيخون ومحمد بن بكتمر الشمسي و[محمد بن](1) قطلوبغا المحمدي وخضر بن عمر ابن أحمد بن بكتمر الساقي وجوبان الطيدمري وألطنبغا من عبد الملك وقطلوبغا البزلاري وطوغان العمري الظهيري وتلكتمر العيسوي ومحمد بن سنقر المحمدي.

وعين الملك الأشرف جماعة من الأمراء ليقيموا بالديار المصرية، عين الأمير: أيدمر الشمسي نائب الغيبة بالقلعة وأميرين أخر تسكن بالقلعة أيضا وعين الأمير آقتمر عبد الغني نائب الغيبة وأن يسكن بالقاهرة لحكم بين الناس وعين أيضا للاقامة بالديار المصرية من الأكابر: الأمير طشتمر اللفاف وقرطاي الطازي وأسندمر الصرغتمشي وأينبك البدري.

وسافر السلطان وهو متوعك في بدنه، بعد أن أشار عليه جماعة من الصلحاء والأعيان بتأخير الحج في هذه السنة فأبى إلا السفر لأمر يريده الله تعالى، وأمر السلطان لنائب الغيبة وغيره أن يطلعوا القلعة في كل يوم موكب ويدخلوا إلى (2) ...

(1) التكلة عن السلوك (جـ ٣ و ٤ ص ٩٦ (أ) قسم ثان).

(2) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

السّتارة ويخرجُ الأسيادُ أولاد السلطان الملك الأشرف ساعةً ثم يعود كلُّ واحد إلى محلّه فآمتثلوا ذلك، فكانوا لما يَطلعون إلى القلعة ويَخرُج عليهم الأسياد وأكبرهم أميرُ علىّ يقوم الأمراء ويَبوسون أيديَهم ويقعدون ساعةً لطيفةً فيقوم أمير علىّ ويُشير بيده أمرًا باسم الله فيقومُ الأمراء وينصرفون بعد أن يُسْقَوْن مشروبًا ووقع ذلك فى غَيبة السلطان مدّةً يسيرة .

فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة آتفق طَشْتَمُر اللفّاف وقُرطاى الطازى وأسَنْدَمُر الصرغتمشى وأَيْنَبَك البدرى وجماعةٌ من المماليك السلطانية وجماعةٌ من مماليك الأسياد أولاد السلطان الملك الأشرف وجماعة من مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان الملك الأشرف ولَبِسوا السلاح وآتفق معهم مَنْ بالأطباق من المماليك السلطانية وهجموا الجميع القلعة وقَصدوا باب السّتارة فغَلَق سابق الدين مثقال الزِّمام باب الساعات ووقف داخل الباب ومعه الأمير جُلْبان اللّالا، لَالا أولاد السلطان وآقبغا جَرْكَس اللّالا أيضا، فَدقّت المماليك الباب وقالوا : أعطونا سيّدى أمير علىّ، فقال لهم اللّالا : مَنْ هو كبيرُكم حتى نسلم لهم سيّدى علياً ! وأبى أن يسلمهم سيدى عليًّا ، وكثُرَ الكلام بينهم ومِثقال الزِّمام يُصمِّم على منع أمير علىّ فقالوا له : السلطان الملك الأشرف مات : ونُريد أن نُسلطن ولده أميرَ علىّ ، فلم يلتفت مثقالٌ الى كلامهم، فلما عَلِموا المماليك ذلك، طَلَعوا جميعا وكسَرُوا شُبّاك الزِّمام المُطلّ على باب الساعات، ودخلوا منه ونَهبوا بيتَ الزمام وقماشَه، ثم نزلوا إلى رَحْبة باب السّتارة ومسكوا مثقالًا الزِّمام وجُلْبان اللّالا وفتحوا الباب ، فدَخَلت بقيّتُهم وقالوا : أخرجوا أمير علىّ، حتى نسلطنَه فانّ أباه تُوُفّى إلى رحمة الله تعالى، فدخل الزمام على رغم أنفه وأخرج لهم أمير علىّ فأقعد فى باب الستارة، ثم أُحضِر الأميرُ أيدمر الشمسى فبوّسوه الأرض لأمير علىّ، ثم أركبوا أمير علىّ على بعض خيولهم

وتوجّهوا به إلى الإيوان الكبير وأرسلوا خلف الأمراء الذين بالقاهرة، فركبوا إلى سوق الخيل وأبَوْا أن يطلعوا إلى القلعة فأنزلوا أمير علىّ إلى الإسطبل السلطانى، حتى رأوه الأمراء فلما رأوه طلعوا وقبّلوا له الأرض وحلفوا له، غير أنّ الأمير طَشْتَمُر الصالحى وبلاط السّيفى أُلجاى[1] الكبير وخَطَط رأس نَوْبة النُّوَب لم يوافقوا ولا طلعوا، فنزلوا إليهم المماليكُ ومَسكُوهم وحبسوهم بالقصر وعقدوا لأمير علىّ بالسلطنة ولقّبوه بـ «الملك المنصور» على ما يأتى ذكره فى محله، ونسوق الواقعة على جليّتها.

ثم نادَوْا بالديار المصرية بالأمان والبيع والشراء، بعد أن أخذوا خطوطَ سائر الأمراء المقيمين بمصر فأقاموا ذلك النهارَ وأصبحوا يوم الأحد رابع ذى القَعْدة من سنة ثمانٍ وسبعين وسبعمائة وهم لابسون آلةَ الحرب واقفون بسوق الخيل يتكلمون فى إتمام أمرهم، وبينما هم فى ذلك جاءهم الخبرُ أنّ شخصا يُسمَّى قازان اليَرْقَشِىّ كان مسافرًا صحبةَ السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز الشريف وجدوه متنكّرا فمسكوه وأتَوْا به إلى الأمراء فسألوه عن خَبَر قدومه وعن أخبار السلطان، فأبَى أن يُخبرهم بشىء وأنكر أنه لم يتوجّه إلى الحجاز، فأوهموه بالتوسيط فأقرّ وأعلمهم الخبرَ بقدوم السلطان الملك الأشرف شعبان وكَسْرته من مماليكه بالعَقَبة فقالوا له: وما سببُ هزيمة السلطان من عقبة أيْلا[2]؟ قال: لما نزل السلطان الملك الأشرف بمن معه من أمرائه وعساكره إلى العقبة وأقام بها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء سَلْخ

(١) هكذا فى الأصلين. ورواية السلوك (جـ ٣ ق ٤ قسم ثان ص ١٩٧): «والأمير بلاط الكبير السيفى» ويظهر أن كلمة: «ألجاى» مقحمة. (٢) هى البلدة التى تعرف اليوم باسم العقبة لوقوعها فوق عقبة عالية من جبل. وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة.

شوّال فطلب المماليك السلطانية العليق، فقيل لهم اصبروا إلى منزلة الأزلم[١]: فغضبوا وامتنعوا من أكل السّماط عصر يوم الأربعاء واتفقوا على الركوب، فلما كانت ليلة الخميس المــذكورة ركبوا على السلطان ورءوسهم الأمير طَشْتَمُر العلائى ومُبارك الطازى وصَرَاى تَمُـر المحمدى وقُطْلُقْتَمُر العلائى الطويل وسائر ممـاليك الأسياد وأكثر الممـاليك السلطانية، فلمـا بلغ السلطانَ أمرُهم ركب بأمرائه وخاصّكيتـه وتواقعوا فانكسر السلطان وهَرَب هو ومَنْ كان معه من الأمراء وهم: صرغتمش الأشرفى وأُرْغُون شــاه الأشرفى وبَيْبُغا الأشرفى وبُشْتَك الأشرفى وأُرْغُون كَتَك ويلبغا الناصرى وصار السلطان بهؤلاء إلى بركة عجرود[٢]، فنزلَ بها وهو مقيمٌ به،

(١) منزلة الأزلم كانت محطــة من محطات الحجاج فى الطريق بين القاهرة ومكة المشرفــة، ذكرها على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ص ٢٦ جـ ٩) بين محطة سلمى ومحطة إصطبل عنتر فى الطريق بين المويلح والوجه. وقال: إن محطة الأزلم بهـا قلعة خربة وآبار غير صالحة للشرب ويباع عندها الحشيش لغذاء الدواب والسمن والغنم والسمك وغير ذلك مما تجلبه العرب. وبالبحث عن منزلة الأزلم التى كانت واقعة على شاطئ البحر الأحمر بين بلدتى المويلح والوجه: تبين لى أن هذه المنزلة تعرف اليوم بمنزلة دمرا أو منزلة دمرها. وفى شمالها محطة وادى سلمى الذى يعرف بالشرم وفى جنوبها محطة إصبطل عنتر التى تعرف برأس مرغة على شاطئ البحر من أرض إقليم تهامة أحد أقاليم بلاد الحجاز والمملكة السعودية العربية ببلاد العرب بقارة آسيا. (٢) يقصد من قوله: «بركة عجرود» المنطقة الصحراوية الواقعة عند محطة عجرود إحدى محطات الحاج القديمة على الطريق ما بين القاهرة والسويس. ويستفاد ممـا ذكره على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية عند الكلام على عجرود (ص ٧ جـ ١٤) أن هذه المحطة تقع فى الجهة البحرية الغربية من السويس على بعــد عشرين كيلو مترا وأن أرضها جبلية على ارتفاع ١٠٥ متر من سطح البحر المـالح وبها بئر نقرت فى الحجر عمقها سبعون مترا وماؤها مر وعليها ساقية تخرج المـاء فى حوض لمنافع الحجاج.

وفى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ الحاج آل ملك الجوكندار خانا للسافرين وبه بئر وساقية ماؤها مر زعاف وأنشأ الملك الناصر حسن بجوار هذه الساقية أربع فساق تملأ بالمـاء.

وفى سنة ٩١٥هـ جدد السلطان أبو النصر قانصوه الغورى الخان السابق ذكره وأنشأ به مسجدا بمئذنة ثم أنشأ بجوار الخان قلعة بها حرس للمحافظة على الطريق وجددت هذه القلعة فى أيام محمد على باشا الكبير والى مصر.

وقــد اندثرت تلك المبانى ولم يبق منها إلا آثار أطلالها التى تقع على السكة الصحراوية الحالية الموصلة من القاهرة إلى السويس قبل الوصول إلى السويس بمسافة عشرين كيلو مترا، وعند نقطة عجرود المعروفة بالبرج رقم ١٤ تقترب السكة الصحراوية المذكورة من السكة الحديدية الموصلة ما بين القاهرة والسويس ويسيران بجوار بعضهما إلى السويس.

فقالوا له : كَذَبْتَ قل لنا حقيقةَ أمره ، فامتنع وحلَف، فأرادوا توسيطَه حقيقة ، فقال : أطلقونى أنا أدلُّكم عليهم، فأطلقوه فأخذهم وتوجّه بهم إلى قُبّة النصر خارج القاهرة إلى محل كان الأشرف نزل فيه بجماعته فوجدوا بالمكان أرْغُون شاه وصرغتمش و بيبُغا و بَشْتَك وأرْغُون كَتَك وكان الذى توجّه مع قازان اليَرقشى من القوم أسَنْدَمُر الصرغتمشى وطُولُو الصرغتمشى ومعهما جماعةٌ كبيرة من المماليك الذين ثاروا بالقاهرة، فقَبَضوا على الأمراء المذكورين وسألوهم عن الملك الأشرف، فقالوا : فارَقَنا وتوجّه هو ويَلْبُغا الناصرى إلى القاهرة ليختفى بها ، فقتلوا الأمراء المذكورين فى الحال وحزوا رءوسهم وأتَوْا بها إلى سوق الخيل ففَرِح بذلك بقيّةُ الأمراء الذين هم أصلُ الفتنة وعلموا أنّ الأشرف قد زال مُلْكُه .

وأمّا الملك الأشرف فإنه لما وصل إلى قُبّة النصر توجّه منها نحو القاهرة ومعه يلبغا الناصرى واختفى عند أستادار يَلْبُغا الناصرى، فلم يأمن على نفسه فتوجّه تلك الليلة من عند أستادار يلبغا الناصرى الى بيت آمنة زوجة المشتولى(1) فاختفى عندها ، فقَلِق عند ذلك الأمراء الذين أثاروا الفتنةَ وخافوا عاقبةَ ظهور الأشرف وهم : قُرطاى الطازى وطَشْتَمُر اللفّاف وأسندمر الصرغتمشى وقُطْلُوبغا البدرى وأُلْطُنْبُغا السلطانى وبَلاط الصغير ودِمُراش اليُوسفى وأَيْنَبَك البدرى ويَلْبُغا النظامى وطُولو الصرغتمشى وهؤلاء الأمراء، وأمّا الأجناد فكثير فاشتد قلقُهم .
و بيناهم فى ذلك فى آخر نهار الأحد يوم قتلوا الأمراء المذكورين بقُبّة النصر، وقبل أن تَمْضى النهار جاءت آمرأة إلى الأمراء وذكرتْ لهم أنّ السلطان مُخْتَفٍ عند آمنة

(١) هذه رواية الأصلين والسلوك (ص ٩٨ (ب) جـ ٣ و ٤) قسم ثان . ورواية المنهل الصافى (جـ ٢ ص ٨٣ (أ)) . «زوجة المسقولى» .

زوجة المشتولىّ فى الجُودَرِيّة [(١)] ، فقام أَلْطُنبغا من فوره ومعه جماعةٌ وكَبَسوا بيت آمنة المذكورة فهَرب السلطان وآختفى فى بادهنج [(٢)] البيت فطلّعوا فوجدوه فى البادهنج وعليه قماش النساء، فمسكوه وألبسوه عِدّة الحرب وأحضروه الى قلعة الجبل فتسلّمه الأمير أَيْنَبَك البدرىّ وخلا به وأخذ يُقرّره على الذخائر فأخبره الملك الأشرف بهـا وقيل . إنّ أَيْنَبَك المـذكور ضَرَبه تحت رجليه عدّة عصىّ . ثم أصبحوا فى يوم الاثنين خنَقوه وتَوَلّى خنقه جاركس شادّ عمائر أُلجاى اليُوسـفىّ فأعطى جاركس المذكور إمرة عشرة واستقرّ شادّ عمائر السلطان .

ثم بعد خَنْق الملك الأشرف لم يُدفِنوه، بل أخذوه ووضعوه فى قُفّة وخَيّطوا عليها ورَمَوْه فى بئر، فأقام بها أياما إلى أن ظهرت رائحتُه، فاطّلع عليه بعضُ خُدّامه من الطواشيّة، ثم أخرجوه ودَفَنُوه عند كِيمان [(٣)] السيدة نفيسة وذلك الخادِم يتبعهم من بُعْد حتى عرف المكان، فلما دخل الليل أخذ جماعةً من إخوته وخدمه ونقلوه فى تلك الليـلة من موضع دَفَنُوه المماليك ودَفَنُوه بتربة والدته خَوَنْد بركة بمدرستها التى بخُطّ التّبانة فى قُبّة وحدَه، بعد أن غسّلوه وكفّنُوه وصَلّوا عليه وقيل : غير ذلك وهو أنهم لمّـا وجدوه فى البيت المذكور وعليه قُماش النِّسوة أركبوه على هيئة بازار خَلْف مملوك ومشَوْا خلفَـه وطلعوا به من على قنطرة باب الخـلق [(٤)] وطلعوا به على

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٢) البادهنج : كلمة فارسية ، معناها المنفذ الهوائى فى أعلى المنزل وهو ما يعبر عنه العـوام بالشخشيخة (انظر قاموس استينجاس) .

(٣) هـذه الكيمان لا تزال باقية فى الجهة الغربية من جامع السيدة نفيسة وتمتد إلى الغرب والجنوب بين التلول المعروفة بتلول زينهم (زين العابدين) وبين حائط مجرى المـاء المعروف بالعيون بالقاهرة .

(٤) هذه القنطرة هى إحدى قناطر الخليج المصرى بالقاهرة وتعـرف بقنطرة باب الخلق ، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٤٧ ج ٢) فقال : إن هذه القنطرة على الخليج الكبير ، كان موضعها ساحلا ومورده للسقايين فى أيام الخلفاء الفاطميين ، فلما أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب الميدان السلطانى =

مصـدّية فُريج[1] وطلعوا به من على الصّـليبة وقت الظهـر ، وكان من رآه

= بأرض اللوق وعمر به المناظر فى سنة ٦٣٩ هـ أنشأ هذه القنطرة ليمر عليها إلى الميدان المذكور. ثم قال . وقيل لهـا قنطرة باب الخرق لأنها كانت تجاه أرض زراعية واقعـة على الجانب الغربى للخليج وكانت هـذه الأرض تخترقها الرياح لا ستوائها فعرفت القنطرة باسم قنطرة باب الخرق وكان الميدان الذى فيـه القنطرة يعرف بميدان باب الخرق ولاستهجان كلمة الخرق استبدلت هذه الكلمة فى أيام الخديوى إسماعيل وأطلق على الميدان اسم ميدان باب الخلق لكثيرة ازدحام الناس المـارين فيه ، كما أطلق على القنطرة قنطرة باب الخلق ، وبقيت هـذه القنطرة على حالتها إلى أن فتح شارع محمـد على فى سنة ١٨٧٣ فهـدمت القنطرة وأنشأت مصلحة التنظيم بدلا عنها قنطرة جديدة على الخليج فى عرض شارع محمد على وبذلك اختفت تلك القنطرة ، ومكانها اليوم بميـدان باب الخلق فى النقطة التى يتلاق فيهـا محور شارع تحت الربع بخط ترام الخليج عند الزاوية القبلية الشرقية لمبنى دار الكتب المصرية بشارع محمد على بالقاهرة .

(١) هذه المعدية كانت واقعـة فى الخليج المصرى بين قنطرة باب الخلق وقنطرة سنقر بالقاهرة ، ولم يفردها المقريزى فى خططه بذكر ، وإنما ذكرها عرضا فى كلامه على جامع كرك بغا الفيروزى (ص ٣٢١ ج ٢) وعلى زاوية الجميزة (ص ٤٣١ ج ٢) وحدث أن سكن الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلى فى حارة عابدين التى تعرف الآن بسكة رحبة عابدين فأنشأ تجاهها على الخليج قنطرة فى مكان معدية فريج حوالى سنة ١١٧٠ هـ للرور عليها بين داره وبين المدينة وعرفت باسم القنطرة الجديدة كما ورد فى تاريخ مصر للجبرتى (ص ٧ ج ٢) ووردت كذلك بهذا الاسم فى خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية سنة ١٨٠٠ لأنه لم يكن مضى عليها من تاريخ إنشائها الى يوم الاحتلال الفرنسى أكثر من ٤٣ سنة .

وعرفت هذه القنطرة فى عصرنا الحاضر باسم قنطرة «الى كفر» وقد ذكرها على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية عند كلامه على شارع الحين (ص ٩ ج ٣) باسم قنطرة الذى كفر وقال . إنه لم يقف على تاريخ إنشائها وعلى اسم منشئها فى حين أنها مذكورة بكل وضـوح ضمن عمارات عبد الرحمن كتخدا التى ذكرها الجبرتى فى الجزء الثانى من كتاب تاريخ مصر (ص ٥ وما بعدها) .

ولمـا تكلم مبارك باشا على شارع جميزة (ص ٥٧ ج ٣) قال : إنه يرجح أن مدينة فريج مكانها قنطرة باب الخلق فى حين أن هـذه القنطرة كانت موجودة مـع معدية فريج فى عصر واحد والمعـدية لم تبطل الا فى سنة ١١٧٠ هـ كما ذكرنا .

ولمـا شرعت مصلحة التنظيم فى تسمية الطرق ووضعت أسماءها على خريطة القاهرة أطلقت اسم « سكة قنطرة الذى كفر » على الطريق التى كانت توصل بين هذه القنطرة وبين شارع درب الجماميز تجاه سكة رحبة عابدين .

وعند ما ردم الخليج المصرى سنة ١٨٩٩ اختفت معالم هذه القنطرة ، كما اختفت بعد ذلك سكة قنطرة الذى كفر وما على جانبيها من المبانى حين أخذ فى توسيع شارع الخليج المصرى فى أيامنا هذه .

أما تسميتها بقنطرة الى كفر فترجع الى قصة رواها لنا منذ حوالى أربعين سنة بعض كبار السن الموثوق روايتهم ممن يقيمون قريبا من تلك القنطرة . وتلخص هذه القصة فى أن رجلا ظل فى خدمة أحد =

ظَنّه(١) أميرا من الأمراء وفعلوا ذلك خوفا من العامّة فإنهــم لو عَلِموا أنه السلطان خلّصوه منهم ولو ذَهَبت أرواحُهم الجميع لمحبة الرعية فى الأشرف المذكور .

ثم دخلوا بالأشرف إلى إسطبل بالقرب من الصليبة(٢)، مخافةً من العامّة لا يعرفون به لمّــا تكاثروا للفُرْجَة عليه، فأقام بالإسطبل ونزل إليه قُرْطاى وقرره على الذخائر، فقرّ له . ثم قتله ودفنه بمَصْطَبة بالإسطبل المذكور، فهذه روايةٌ أخرى غير ما ذكرنا أوّلا والأوّلُ أشهرُ وأظنه الأصحّ والأقوى .

وأمّا الذين تخلّفوا بالعقبة من الذين وثَبوا على الملك الأشرف وكَسَروه وهرب الأشرفُ إلى جهة الديار المصرية ولم يُدْركوه ، فإنهم اتّفقوا الجميع الأمراء وغيرهم وتوجّهوا إلى الخليفة المتوكّل على الله وكان أيضا فى صحبة السلطان الملك الأشرف وقالوا له : يا أمير المؤمنين تَسلْطَنْ ونحن بين يديك . وكانت العصائب السلطانية حاضرة فامتنع الخليفةُ من ذلك .

هــذا وهم لا يعلمون بمــا وقع بالديار المصرية من ركوب هؤلاء وسلطنة أمير علىّ فإنّ كلّ طائفــة وثبتْ على السلطان . وليس للأخرى بهــا علم ولا كان بينهم

= البكوات الجراكسة نحو ثلاثين سنة وفى أحد الأيام وكان ذلك فى عهد حكم عباس الأوّل ، غضب هذا البيك على خادمه من جراء تهمة لفقتها عليه سيدته فطرده فى الحال وأبى أن يستمع لرده على التهمة فخرج الرجل حزينا ساخطا ثم بلغ به الحزن حدا أصيب معــه بذهول أفقده فى النهاية عقله حتى أصبح من المجانين ولكنه لم يفارق الحى الذى عاش فيه وظل مدى عشر سنوات بجوار القنطرة المشار اليها وكان لجنونه وكثرة ماحملت نفسه من الكراهة والبغض للظلم والظالمين بسبب كل شىء و يتلفظ بعبارات تنطوى على الكفر بالله ومن ثم اشتهر بين الناس بكفره وعرفت القنطرة باسم «قنطرة اللى كفر» إلى أن اختفت هى واسمها من الوجود .

وأما نسبة هذه القنطرة الى الضابط الفرنسى « كفر اللى » وما ذكره بعض الباحثين فى نسبتها اليه من الروايات الملفقة فقد بحثناها بحثا دقيقا فلم نجد أى دليل على صحتها إلا مخيلة ملفقيها المضللين . والرواية الصحيحة هى التى أثبتناها هنا إذ لا مصلحة لنا إلا تقرير الحقيقة .

(١) فى م : « يحسبه ... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

آتفاقيّة على ذلك، وهذا من غريب الاتفاق، كونُ الواقعة تكون فى العقبة و ينكسر السلطان .

ثم بعد ثلاثة أيام أو أقلّ تكون بمصر أيضا ويُخْلَع الملك الأشرف و يتسلطن ولدُه وكلاهما من غير مواعدة الأخرى، فنعوذ بالله من زوال النعم .

ثم إنّ الأمراء والمماليك أقاموا بالعقبة بعد هروب السلطان يومين وقد جهزوا للخليفة قماش السلطنة وآلة المَوْكب وألَحُّوا عليه بالسلطنة وهو يمتنع وتوجّهت القضاةُ الى القدس للزيارة ورُدّ الحاجّ بأسره إلى أبيار العلائىّ[1] وقد قصدوا العود إلى القاهرة و إبطال الحاج فى تلك السنة، فنَهَض الأمير بهادُر الجمالىّ أمير الحاجّ وردّهم وحجّ بهم . ولما تحقّقت الأمراء والمماليك أنّ الخليفة آمتنعَ من السلطنة رَجَعوا نحو الديار المصرية حتى وصلوا إلى عجرود ، أتاهم الخبر بما جرى من مَسْك السلطان الملك الأشرف وقتله فاطمأنوا فإنهم كانوا على وَجَل ومنهم من نَدِم على ما فَعَل فإنه كان سببا لزوال دولة الملك الأشرف ولم يَنَلهُ ما آمل وخروج الأمر لغيره . ثم ساروا الجميع من عجرود إلى أنْ وصلوا إلى بركة الحاجّ، فسار إليهم جماعة من القائمين بمصر بآلة الحَرْب فتعبُّوا لقتالهم، فأرسل طشتمر العلائىّ الدوادار طليعة عليها قطلقتمر الطويل، فقاتلوه المصريون فكسرهم قطلقتمر وسار خَلْفَهم إلى قلعة الجبل، فلما قَرُب إلى القلعة تكاثروا عليه ومسكوه، وفى ذلك الوقت حضر

(١) عنى ملوك مصر وأمراؤها فى الزمن القديم بإصلاح طريق الحج البرى من جهة سيناء، وشرق البحر الأحمر، تلو عقباتها وأنشئوا فيها الخانات والقلاع وحصنوها بالعساكر تأمينا للطريق وحفروا الآبار و بنوا البرك لسقى الحجاج وركائبهم . وأهم آثارهم على هذا الطريق فى بركة الحاج وبجرود وفى سيناء نخل والعقبة وفى الحجاز المويلح ورابغ ... الخ وآبار العلائى محطة من محطات الحجاج بعد نخل والقرنص وقبل نقب العقبة فى وادى التيه على بعد ٤٠ ميلا شرقى نخل . انظر درر الفرائد المنظمة جـ ٢ ص ٨٩ وعلى باشا مبارك الخطط جـ ٩ ص ٢٥ و جـ ١٤ ص ٩ وتاريخ سيناء لشقير ص ٦٧ / ١٦٠ / ٢٦٢

إلى الديار المصرية الأمير آقتمر الصاحبي نائب السلطنة بالديار المصرية وكان قـد توجّه إلى بلاد الصعيد قبل توجّه السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز، فتلقاه أمراءُ مصر وعظّموه وقالوا له : أنت نائبُ السلطنـة على عادتك وأنت المتحدّث وكلّنـا مماليكك، فلم يسعْه إلا مطاوعتهم على ما أرادوا وكان كلامُ الأمراء لآقتمر الصاحبي بهذا القول، خوفا ممّنْ أتى من الأمراء والخاصكيّة من العقبة .

ثم آتفق المصريون على قتال طشتمر الدوادار ومَنْ أتى معه من العقبة من المماليك الأشرفية وغيرها، فنزلوا اليهم من القلعة بعد المغرب فى جمع كبير وآلتقوا معهم على الصوّة من تحت القلعـة، تجاه الطبلخاناة[1] السلطانية وتقاتلوا، فانكسر طشتمر ومَنْ معه من الأمراء والممـاليك الأشرفية وانهزموا بعد المغرب إلى ناحية الكيمان، فلما كان الليلُ أرسـلَ طشتمر طَلَبَ الأمان لنفسه، فأرسلوا له الأمان، فلما حضر مسكوه وقيّدوه هو وجماعته وحبسوهم بالقلعـة، وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار . [الكامل]

إن كان طَشْتَمُرُ طَغَى * وأتى بحـربٍ مُسْرِعْ
وبَغَى سـيُؤخَذ عاجِلا * ولِـكُلِّ باغٍ مصـرَعْ

قلتُ : ما أشـقى هؤلاء القومَ العصاة بالعقبـة فإنهم كانوا سببا لزوال مُـلْكِ أستاذِهم الملك الأشرف وذهاب مُهْجَته من غير أن يحصلَ أحدُهم على طائل، بل ذهبت عنهم الدنيا والآخرة، فإنهم عصوْا على أستاذهم وخَلَعوا طاعَتَه من غير موجب وشمل ضَرَرُهُم على الحجاج وغيرهم وارتكبوا أمورا قبيحة، فهذا ما حصلوه من الإثم .

وأما أمرُ الدنيا فإنهـا زالتْ عنهم بالكلية وخرج عنهم إقطاعاتهمْ ووظائفُهم وأرزاقُهم ومنهم من قُتِل أشرّ قِتْـلة ولم يُفز بهم ملكٌ من الملوك بعـد ذلك، بل

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٣ من هذا الجزء .

صـاروا مَبعودين فى الدُّول وماتوا قهرًا ممـا قاسوه من الذل والهـوان، حتى إنى رأيت منهم من كان عُمِّر واحتاج إلى السؤال ، وما ربك بظلّام للعبيد .

وكان السلطان الملكُ الأشرف — رحمه الله تعالى — من أجلّ الملوك سماحة وشهامة وتجمّلا وسؤددًا .

قال قاضى القُضاة بدر الدين محمود العيْنى — رحمـه الله — فى تاريخه : كان ملكًا جليلًا لم يُرمثـلُه فى الحلم ، كان هيّنًا ليّنا محبًا لأهـل الخير والعلماء والفقراء مُقتديًا بالأمور الشّرعية واقفا عنـدها مُحسنا لإخوته وأقاربه وبنى أعمامـه، أنعَمَ عليهم وأعطاهم الإمريات والإقطاعات وهذا لم يعهد من مَلك قبله فى ملوك الترك ولا غيرهم ولم يكن فيـه ما يُعاب، سـوى كونه كان محبًّا لجمع المـال . وكان كريما يُفرّق فى كل سـنة على الأمراء أقبيةً بِطُرْز زركش والخيول المسومـة بالكنابيش الزركش والسلاسـل الذّهب والسروج الذّهب وكذلك على جَميع أرباب الوظائف وهذا لم يَفعله ملكٌ قبله . انتهى كلام العينى باختصار — رحمه الله تعالى — .

وقال غيره — رحمه الله — وكان ملكا جليلا شجاعا مهابا كريما هيّنا ليّنا مُحبًا للرعيـة ، قيل إنه لم يل المُلك فى الدولة التركية أحلم منـه ولا أحسن خَلْقا وخُلُقا وأبطل عدّة مكوس فى سلطنته . والله أعلم .

قلت : حدّثنى العلامـة علاء الدّين على القلقشندى[1] — تغمده الله تعـالى — الشافعى ، قال حدّثنى العلّامـة قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى[2] المـالكى

---

(١) هو على بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن على علاء الدين القلقشندى الشافعى . توفى سنة ٨٥٦ هـ (عن المنهل الصافى جـ ٢ ص ٣١٦ (ب) .

(٢) عقد له المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ١١٥ ب) [illegible] : هو محمد بن [illegible] بن عثمان قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله البساطى وله مصنفات عدة مولده فى محرم سنة ٧٦٠ هـ وتوفى سنة ٨٤٢ هـ .

أنّ الملك الأشرف شعبان هذا كان من فطنته وذكائه يَعرِفُ غالب أحوال القلاع الشامية وغيرها ويعرف كيف تُؤخَذ ومن أين تحاصرُ معرفةً جيّدة .

قلت : هذا دليلٌ على الذّكاء المفرط والتيقّظ فى أحوال مملكته . انتهى .

ورأيتُ أنا كثيراً من المماليك الأشرفيّة وبهم رَمَقٌ وقوّةٌ فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى منهم الأمير آق سنقر الأشرفىّ الحاجب وغيره وكانت أيام الملك الأشرف شعبان المذكور بهجةً وأحوال الناس فى أيامه هادئة مطمئنّة والخيرات كثيرة، على غَلَاء وَقع فى أيامه بالديار المصرية والبلاد الشامية ومع هذا لم يختلّ من أحوال مصر شىءٌ لحسن تدبيره ومشى سوقُ أرباب الكمالات فى زمانه من كل علم وفن ؛ ونَفقتْ فى أيامه البضائعُ الكاسدةُ من الفنون والمُلَح وقَصَدَتْهُ أربابُها من الأقطار وهو لا يكلّ من الاحسان إليهم فى شىء يريده وشىء لا يريده، حتى كلّمه بعضُ خواصّه فى ذلك ، فقال — رحمه الله — . أفعلُ هذا لئلا تموتَ الفنون فى دولتى وأيامى .

قلت . لعمرى إنه كان يَخْشى موتَ الفنون والفضائل، ولقد جاء من بعده مَنْ قَتلها صَبْرا، قبل أوان موتها ودَفَنها فى القبور وعفّى أثرها، وما أحسن قول أبى الطيب أحمد بن الحسين حيث يقول :

على قدر أهلِ العزمِ تأتى العزائمُ * [وتأتى على قَدْر الكِرام المَكارِمُ][1]

[الطويل]

وخَلَّفَ الملك الأشرف [رحمه الله] من الأولاد ستّة بنين، وهم الملك المنصور علىّ الذى تَسَلْطَن من بعده على ما يأتى ذِكرُهُ وذِكْرُ من قام بسلطنته مُفَصّلاً — والملك الصالح أمير حاج وقاسم ومحمد وإسماعيل وأبو بكر وولدت بعده خوند سمراء جاريته ولدا سمّوه أحمد فصاروا سبعةً .

(١) التكملة عن شرح التبيان للعكبرى على ديوان المتنبى (ج ٢ ص ٣٩٢)

وخلّف سبع بناتٍ رأيتُ إحداهنّ بعد سنة عشرين وثمانمائة .

وكانت مدّةُ سلطنة الملك الأشرف أربع عشرةَ سنةً وشهرين وعشرين يوماً، ومات وعمرُه أربعٌ وعشرون سنةً . وقد تقدّم مولدُه فى أوّل ترجمته، ورثاه الشعراءُ بعد موته بعدّة قصائد وحزِنَ الناسُ عليه حُزْناً عظيماً وكثُر تأسُّفُهم عليه . وعُمِل عزاؤه بالقاهرة عِدّة أيام . وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار: [البسيط]

للملكِ الأشرفِ المنصورِ سيِّدنا * مناقبُ بعضها يبدو به العَجبُ
له خلائق بيضٌ لا يغيّرها * صرفُ الزمان كما لا يصدأ الذهبُ

وقال غيره : [الزجل]

كوكب السعد غَابْ مِن القلعهْ * وهلالُو قد انطفَا بأمانْ
وزُحلْ قد قارن المرّيخْ * لكسوفْ شمسِ الضُّحى شعبانْ

***

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر . وهى سنة خمس وستين وسبعمائة على أنه حَكَمَ فى السنة الماضية من شعبان إلى آخرها .

وفيها (أعنى سنة خمس وستين) تُوُفّى الشيخ الإمام العالم ناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز القُونَوى الحنفى الشهير بابن الرَّبْوَة — رحمه الله — كان إماماً عالمًا بارعا خطيبا فصيحا فقيها مُناظرا أفتى ودرّس وأعاد وشَرَح "الفرائض السراجيّة"[1] و"كتاب المَنار" وله عدّة مصنّفات أُخَر ومات بدمَشق فى هذه السنة وقيل[2] فى الخالية .

(١) هى المعروفة بفرائض السجاوندى وقد شرحها غير واحد من الفضلاء . وقد ذكر صاحب كشف الظنون ملا كاتب جلبى شروحا كثيرة لها لطائفة من العلماء (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٨١) .

(٢) فى السلوك (ج ٣ ق ٤ قسم ١ ص ١٤ ب وكشف الظنون المصدر المتقدم ج ٢ ص ١٨١) أن وفاته سنة ٧٦٤

وتُوفّى قاضى القضاه نجم الدين عبد الرحيم آبن القاضى شمس الدين إبراهيم بن شرف الدين هبــة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المسلم بن عبــد الله بن حسّان المعروف بالبَارزىّ الجُهَنِىّ الحمــوىّ الشافعىّ قاضى قضاة حَمَاة بها ، بعــد أن وَلِىَ قضاءَها ستًّا وعشرين سنة وكان مشكور السِّيرة فى أحكامه ــ رحمه الله ــ .

٥ وتُوُفّى الأديب عِزّ الدين أبو محمـــد الحسن بن علىّ بن الحسن بن علىّ العبّاسىّ الشهير بآبن البَنّاء الحلبىّ الشاعر المشهور ، قَدِم إلى حلب وبها مات ، وسِنُّه زيادة على سبعين سنة . ومن شعره قصيدة أوّلها : [الرجز]

أنفقتُ عُمْــرى فى رجاءِ وَصْلِكم * والعَصْــرِ إنّى بِكم فى خُسْـــرِ

وتُوفّى القاضى شهاب الدين أحمد آبن الصاحب جمال الدين محمد آبن الصاحب

١٠ كمال الدين عمر بن أحمد الحنفىّ الحلبىّ الشهير بآبن العديم بحلب ، عن بِضْع وسبعين سنة . وكان فقيها عارفا بالتاريخ والأدب .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قُطْلُوبغَا الأحمدىّ نائب حلب بها عن نيِّف وثلاثين ســنة ــ رحمه الله ــ وكان أميرا جليلا شجاعًا كريما ، نشأ فى السعادة وولى نيابةَ حلب مرّتين .

١٥ وتُوُفّيت خَوَنْد[1] طُولُو بيه الناصريّة التَّتَريّة ، زوجة السلطان الملك الناصر حسن . ثم من بعــده زوجة مملوكه يَلْبُغَا العُمَرىّ فى الرابع والعشرين من شهور ربيع الآخر . ودُفِنت بتربتها التى أنشأتها بجوار تُربَة[2] خَوَنْد طُغَاى الناصريّة أمّ آنُوك خارج باب البرقيّة بالصحراء ، وكانت من أجمل نساء عصرها .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٦ من هذا الجزء . (٢) هــذه التربة لا تزال باقية إلى

٢٠ اليوم بقرافة المجاورين بالقاهرة باسم تربة خوند طلباى تجـاه تربة خوند طغاى أم آنوك و يفصل بينهما شارع خوند طغاى .

وتُوُفّى القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السُّلَمِىّ المُناوِىّ الشافعىّ خليفة الحُكْم بالديار المصرية وقاضى العسكر، ووكيل بيت المال والخاصّ بها فى يوم الجمعة سادس شهر ربيع الآخر.

وتُوُفّى القاضى صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البُرُلُّسِىّ المالكىّ محتَسِب القاهرة بها فى يوم الخميس خامس عشرين صفر وهذا المحتَسِب هو الذى أمر المؤذّنين أن يقولوا فى ليلة الجمعة بعد أذان العشاء الآخرة، وقبل الفجر: «الصلاةُ والسلامُ عليك يا رسول الله» فاستمرّ ذلك إلى سلطنة الملك الظاهر بَرْقُوق، أَمَر مُحتَسِبُ القاهرة نَجْمُ الدِّين الطُّنْبَذِىّ أن يقولوا ذلك عَقِيب كلّ أذان إلّا المغرب، واستمرّ ذلك أيضا إلى يومنا هذا، على ما سنبيّنه فى وقته — إن شاء الله تعالى — ونذكر سَبَبه، ولم يكن قبل ذلك إلّا الأذان فقط.

وتُوُفّى قاضى مكّة تقىّ الدين محمد بن أحمد بن قاسم العُمَرِىّ الحَرَازِىّ[1] الشافعىّ معزولًا.

وتُوُفّى بالمدينة النبوية — على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام — الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف فى سادس عشرين شهر ربيع الأوّل — رحمه الله — وكان إماماً حافظا مُتْقِناً سَمِع الكثير ورَحَلَ البلاد وكَتَبَ وحصّل.

وتُوُفّى السلطان الملك الصالح شمس الدين صالح ابن الملك المنصور نجم الدين غازى ابن الملك المظفر قرا أرسلان ابن الملك السعيد غازى بن أُرْتُق بن أَرْسلان ابن إيل بن غازِى[2] بن أَلْبِي بن تمرداش بن إيل بن غازى بن أُرْتُق الأُرْتُقىّ صاحب

(١) حراز (بالفتح وتخفيف الراء وآخره زاء): مخلاف باليمن قرب زبيد، سمى باسم بطن من حمير ويقال لقد ينهم حرارة ومنها تعمل الأطباق الحرازية (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٢٩).

(٢) فى سمى المعاق (ج ٢ ص ٦ ب): «ابن إيل غازى».

ماردين بها ، وقد ناهز السبعين سنة من العُمُر ، بعد أن دام فى سلطنة ماردين أربعًا وخمسين سنة . وتولّى ماردين بعده ابنُه الملك المنصور أحمدُ . وكان الملك الصالح من أجلّ ملوك بنى أُرْتُق حزمًا وعزمًا ورأيًا وسُؤْددًا وكَرَمًا ودهاءً وشجاعةً وإقدامًا ، وكان يُحبُّ الفقهاء والفضلاء وأهلَ الخير وكان له فضلٌ وفَهْمٌ وذَوْقٌ للشعر والأدب ، وكان يُحبّ المَديح ويُجيز عليه بالجوائز السنيّة . ولصَفِيّ الدين عبد العزيز الحِلِّى فيه مدائحُ وغُرَر فى مخلص بعض قصائده — رحمه الله — .

[الكامل]

لم أَشْكُ جَوْرَ الحادِثاتِ ولم أقُل * حالتْ بِيَ[1] الأيامُ عن حَالاتِها

مالى أُعُدّ لها مساوِئَ جمّةً * والصالحُ السلطانُ مِن حَسَناتِها

مَلِكٌ تُميِّزُ[2] له الملوك بأنه * إنسانُ عَيْنَيْها وعينُ حياتِها

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا . وكان الوفاء ثانى عشرين توت . والله أعلم .

⁂

السنة الثانية من ولاية الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر . وهى سنة ست وستين وسبعمائة .

فيها تُوُفّى العلّامة قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فَزَارة الكَفْرِى (بفتح الكاف) الدِّمَشْقىّ الحنفىّ قاضى قضاة دِمَشْق بها . وكان — رحمه الله — إمامًا بارعًا فى مذهبه ماهرًا فى علم العربيّة بصيرًا بالأحكام ، باشر مدّة طويلة نيابة عن والده . ثم استقلّ بها إلى أن مات ، وكان مشكورَ السِّيرة وأفتى ودرّس سنين .

(١) كذا فى ديوانه المطبوع فى دمشق سنة ١٢٩٧ . والذى فى الأصل : « حالت بها » .
(٢) كذا فى الديوان . والذى فى الأصل : « فإنه » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وتُوُفّى قاضى القضاة زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود الحنفى المعروف بابن السّراج بالقاهرة فى ذى القعدة عن تسع وستين سنة ودُفن بتربته(١) خارج باب النصر بالقرب من تربة(٢) الصوفية — رحمه الله . وكان فقيها بارعا عالما مُفْتيا يحفظ الهداية فى الفقه ودرّس بالجامع الحاكمى(٣) وأعاد بجامع(٤) أحمد بن طولون والأشرفية وغيرهما وناب فى القضاء عن قاضى القضاة جمال(٥) الدين التُّركمانى الحنفى وكان معدودا من الفقهاء العلماء .

وتُوُفّى الخطيب أبو المعالى تقىّ الدين محمد بن الخطيب محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن ناصح الحموى ثم الحلبي الشافعى الشهير بابن القوّاس بحلب عن نيّف وخمسين سنة — رحمه الله — .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قطب الدين محمد بن محمد(٦) الرازى الشافعى الشهير بالقطب التحتانى(٧) — رحمه الله . بدمشق عن نيف وستين سنة . كان بحرا فى جميع العلوم لا سيما فى العلوم العقلية وله تصانيف مفيدة ، منها : شرح الشمسية(٨) وشرح

---

(١) بعد بحث طويل لم نوفق إلى مكان هذه التربة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٥) سيذكر المؤلف وفاته سنة تسع وستين وسبعمائة . (٦) ذكر صاحب الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٤٩ و٣٣٩) روايتين إحداهما توافق رواية الأصلين على أن اسمه «محمد» وبهذه الرواية جزم ابن كثير وابن رافع وابن حبيب . والرواية الأخرى أن اسمه «محمود» وبهذه الرواية جزم الإسنوى .

(٧) فى الدرر الكامنة المصدر المتقدّم «وإنما قيل له التحتانى تمييزا له عن قطب آخر كان ساكنا معه بأعلى المدرسة» . (٨) هو متن مختصر فى المنطق لنجم الدين عمر بن على القزوينى المعروف بالكاتبى . وقد شرحها غير واحد ، منهم قطب الدين محمود بن محمد الرازى المذكور وسعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ٦٩) .

المطالع[١] والحواشى على كشاف الزمخشرى[٢]، وكانت تصانيفــه أحسن من تصانيف شيخه العلّامة شمس الدين الأصفهانى[٣] — رحمه الله .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين أُرُنْبُغَا بن عبد الله الكاملى نائب غزّة وكان، أصله من مماليك الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمـد بن قلاوون وكان خصيصا عنده إلى الغاية .

وتُوُفّى الأمير الشريف أبو على الحسن بن محمـد بن الحسن بن علىّ بن الحسن ابن زهرة الحسنىّ الحلبىّ، ولى نقابة الأشراف بحلب بعـد والده — رحمهما الله تعالى — واستقرّ أمير طبلخاناه بحلب مدّة ثم صُرف عن الوظيفتين ومات بظاهر حلب عن ثلاث وخمسين سنة .

وتُوُفّى الشيخ شمس الدين محمـد بن عبد الهادى الفُوّىّ الفقيه الشافعىّ فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى وقد تصدّر للتدريس والإقراء — رحمه الله .

وتُوُفّى الشيخ شرف الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر المِزّىّ الدمشقىّ الحريرىّ المحدّث بمصر فى شعبان . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير آسن بجقا بن عبد الله من على بك الناصرىّ أحد أمراء الطبلخانات، بعد ما تنقّل فى عدّة أعمال مثل البيرة وطَرَسُوس وغيرهما — رحمه الله .

---

(١) يسمى مطالع الأنوار فى الحكمة والمنطق للقاضى سراج الدين محمود بن أبى بكر الأرموى المتوفى سنة ٦٨٩ هـ وهو كتاب اعتنى بشأنه الفضلاء، وشرحه قطب الدين محمد بن محمد الرازى المذكور (انظر كشف الظنون ج ٢ ص ٤٥٣) . (٢) تقدمت وفاة الزمخشرى سنة ٥٣٨ هـ .

(٣) هو محمود بن أبى القاسم بن محمد الأصبهانى الإمام شهاب الدين أبو الثناء . ولد بأصبهان سنة ٦٧٤ هـ وبرع فى [illegible] العقليات وقدم دمشق فدرس بالرواحية ثم قدم مصر فدرس بالمعزية وأقام بها إلى حين وفاته سنة ٧٤٩ هـ (من طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٤٧) .

وتوفّي الأمير سيف الدين قمارى بن عبد الله الحموى الناصرى الحاجب وهو على نيابة طَرَسُوس وكان من أعيان الأمراء ومن أكابر المماليك الناصرية.

وتوفّي الشيخ المعمّر الرُّحلة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن يعقوب [بن الياس](1) الأنصارى الخزرجى المقدسى البيانى الشاهد، كان أبوه يعرف بابن إمام الصّخرة واشتهر هو بالبيانى، وُلد سنة ستّ وثمانين وستمائة فأحضر على زينب بنت مكى في الثانيـة من عمره وعلى الفخر ابن البخارى في الثالثه وأسمع على أبي الفضـل بن عساكر وغيره وأجاز له جماعة وحدّث بالكثير، وعُمّر وصار مُسنِد عصره ورُحلة زمانه وخرّج له الحافظ تقىّ الدين بن رافع(2) مشيخةً وذيّل عليها الحافظ زين الدين العراقى. وكانت وفاته يوم الآثنين تاسع عشرين ذى القعدة، وآخِرُ من تأخّر ممن سمع عليه شيخنا الرُّحلة زين الدين عبد الرحمن الزَّركَشى الحنبلى، رحمه الله تعالى.

§ أمر النيل في هـذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وأربعـة أصابع. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستةَ عشر إصبعا. والله أعلم.

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة سبع وستين وسبعمائة.

فيها تُوُفّى الشيخ الإمام العالم العلّامـة قاضى القضاة عزّ الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمـد بن إبراهيم بن سـعد الله بن جماعة الكِنانى الحموى

(1) زيادة عن الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢٩٥).

(2) هو تقى الدين أبو المعالى محمد بن رافع بن هجرس (بكسر الهاء وسكون الجيم وكسر الراء) بن محمد ابن شافع بن محمد، ولد في القعدة سنة أربع وسبعمائة. سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٧٤ هـ.

المصرى الشافعىّ بمكة المشرفة فى يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة[(١)]، ودُفن بباب المعلاة بين الفُضَيل بن عِياض وأبى القاسم القُشَيرىّ[(٢)] ونجم الدين الأصبهانىّ. ومولده بالعادلية بدمشق فى سنة أربع وتسعين وستمائة — رحمه الله — وكان إماما عالما فاضلا دَيِّنا صالحا، سمع بمصر والشام والحجاز وأخذ عن الأَبَرْقوهىّ[(٣)] والدِّمياطىّ[(٤)] وغيرهما من الحُفَّاظ و جَمَع وكتب وحدّث وخَطَب وأفتى ودرّس وولى القضاء تسعا وعشرين سنة. ثم استعفى وتوجّه إلى مكة مجاورا بها إلى أن مات.

وتُوُفّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم أيوب العَيْنتَابِىّ الحنفىّ قاضى العسكر بدمَشق — رحمه الله تعالى — وبها كانت وفاته وقد جاوز ستين سنة، وكان إماما بارعا فى المذهب وأفتى ودرّس وشرح مجمع البحرين فى الفقه فى المذاهب الثلاثة فى عشرة مجلدات وسماه: «المَنبع»[(٥)].

وتُوُفّى الشيخ الرضىّ شيخ خانقاة بيبرس الجاشَنْكِير[(٦)] فى ليلة الجمعة حادى عشر شهر رجب ودفن بمقابر الصوفية وتولّى مكانه الشيخ ضياء الدين العفيفى[(٧)] المعروف بقاضى قِرْم. رحمه الله.

---

(١) فى طبقات الشافعية (ج ٦ ص ١٢٤) أنه توفى عاشر جمادى الآخرة. (٢) هو عبد الكريم ابن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيرى النيسابورى. تقدّمت وفاته سنة ٤٦٥ (ج ٥ ص ٩١ من هذه الطبعة). (٣) هو شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد ابن المؤيد الأبرقوهى تقدّمت وفاته سنة ٧٠١ هـ. (٤) هو شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن ابن أبى خلف بن أبى الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطى الشافعى الحافظ. تقدّمت وفاته سنة ٧٠٥ هـ. (٥) فى الأصلين: «المقنع» وما أثبتناه عن كشف الظنون والمنهل الصافى (ج ١ ص ٤٩) وهو شرح لمجمع البحرين فى الفقه فى عشرة مجلدات. (٦) تقدّم الكلام عليها فى الحاشية رقم ٦ (ج ٤ ص ٥٠) من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٧) هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله ابن الشيخ سعد الدين سعد العفيفى القزوينى الشافعى الشهير بابن قاضى قرم. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٠ هـ.

وتُوُفّى السلطان الملك المجاهد سيف الدين أبو يحيى على ابن السلطان الملك المؤيد هِزَبْر الدين داود ابن السلطان الملك المظفر يوسف بن السلطان الملك المنصور عمر بن نور الدين على رسُول التُّرْكمانىّ الأصل اليمنىّ المولد والمنشأ والوفاة، صاحب اليمن بعَدن — رحمه الله — فى يوم السبت الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى من هذه السنة وقيل سنة أربع وستين وولى بعده ابنه الملك الأفضل عباس . ومولد المجاهد هذا فى سنة إحدى وسبعمائة بتَعز ونشأ بها وحَفِظ التنبيه فى الفقه وبحثه وتخرّج على المشايخ منهم : الشيخ الإمام العلامة الصاغانىّ، وتأدّب على الشيخ تاج الدين عبد الباقى وغيرهما ، وشارَك فى علوم وكان جيّد الفهم — رحمه الله — وله ذَوق فى الأدب وله نظم ونثر ، وهو هذا المجاهد الذى ذكرنا فى ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون[1] أنه أرسل إليه نَجْدَةً إلى بلاد اليمن ، لما خَرَج عليه ونازعه الملك الناصر بن الأشرف صاحب زَبيد ، وسقْنا حكايته هناك مفصلا، وطالت مدّة المجاهد فى مملكة اليمن وفَعَل الخيرات وله مآثر : عمر مدرسة عظيمة بتَعز وزيادة أخرى وغير ذلك وعَمّر مدرسة بمكة المشرفة بالمسجد الحرام بالجانب اليمانىّ مُشْرِفة على الحَرَم الشريف . وقد استوعبنا ترجمته فى المنهل الصافى بأطول من هذا إذ هو كتاب تراجم . والله أعلم .

وتُوُفّى الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف[2] الحنفىّ الفقيه خطيب جامع شَيْخُون[3] وكان من أعيان الفقهاء وله مُشاركةٌ وفضل . رحمه الله تعالى .

---

(١) راجع ص ٧٨ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد تفصيلا شاملا لهذه النجدة .

(٢) فى الأصلين . « ابن المشرف » وتصحيحه عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٧٢) والسلوك للمقريزى (ج ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٥٣ ب) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين بُطَا بن عبد الله أحدُ أمراء الطبلخانات وقُرِئ على قبره بعد موته ألفُ خَتْمة شريفة بوصيَّته هكذا نقل الشيخ تقىّ الدين المَقْرِيزى، رحمه الله .

وتُوفِّى الشيخ المحدِّث العالم العلَّامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة بن محمد ابن خلف المنبِجىّ ثم الدِّمَشْقىّ التاجر. ومولده فى سنة سبع وثمانين وستمائة ومات فى ذى الحجة . رحمه الله .

وتُوُفِّىَ الشيخ الإمام أحد فُقَهاء المالكيّة خليل بن إسحاق المعروف بابن الجُنْدِى الفقيه المالكىّ — رحمه الله — فى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأوّل. وكان فقيها مُصنِّفا صنّف المُخْتَصر فى فقه المالكية وغيره .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا . والله سبحانه أعلم .

*
* *

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر . وهى سنة ثمان وستين وسبعمائة .

وفيها كانت وقعة يلبغا العمرىّ الخاصكى صاحب الكبش(١) ومقتله وسلطنة آنوك بجزيرة الوسطى ولم يتم أمره ولا عدّ من السّلاطين وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا فى ترجمة الملك الأشرف هذا فلينظر هناك .

وفيها تُوُفِّى قاضى القضاة أمين الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن وَهْبان الدمشقىّ الحنفىّ قاضى قضاة حَمَاة وبها تُوفّى وهو من أبناء الأربعين — رحمه الله — وكان فقيهًا عالمًا مشكورَ السيرة .

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٢٠، ١٢١ من الجزء العاشر من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ٣ ص ٣٠٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ١ ص ١٨٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوفّى الشيخ الإمام العالِم المسلّك العارف بالله تعالى عفيف الدين أبو محمد وقيل أبو السيادة عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فَلّاح اليمانىّ اليافعىّ، نزيل مكة وشيخ الحرم وإمام المسلّكين وشيخ الصوفية فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة المشرفة ودُفِن بالمعلاة بجوار الفُضَيل بن عِياض . ومولده سنة ثمان وستين وستمائة[1] تقريبا وسمع الكثير وبرع فى الفقه والعربية والأصلين واللغة والفرائض والحساب والتصوّف والتسليك، وغير ذلك . وكان له نظم جيّد كثير، دوّن منه ديوان وله تصانيف كثيرة منها : «روض[2] الرياحين» [فى حكايات[3] الصالحين] وتاريخ بدأ فيه من أول الهجرة وأشياء غير ذلك ، ذكرناها مستوفاة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى» وما وقع له مع علماء عصره بسبب قصيدته التى اولها حيث قال فى ذلك : [الطويل]

ويا ليلةً فيها السعادةُ والمُنى * لقد صَغُرتْ فى جنبِها ليلةُ القدرِ[4]

قال : ومن شعره أيضا قصيدته التى أوّلها : [الطويل]

قفا حدِّثانى فآلفؤادُ عليلُ * عسَى منه يُشْفَى بالحديث غليلُ

أحاديثُ نَجْدٍ علِّلانى بذِكرها * فقَلْبى إلى نَجْدٍ أراه يَميلُ

بتَذْكارِ سُعْدى أسْعِدانى فليْس لى * إلى الصّبرِ عنها والسُّلوِّ سبيلُ

ولا تَذْكُرالى العامِريةَ إنها * يُولّهُ عقلِى ذِكْرُها ويُزيلُ

(١) فى الدرر الكامنة (ح ٢ ص ٢٤٨ (ا)) أنه : « ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث » والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٥٨ (ا)) أنه : «ولد سنة ثمان وتسعين وستمائة تقريبا» . وانظر ترجمته فى السلوك (ح ٣ و ٤ ص ٥٨ ب) .

(٢) توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية طبع مصر سنة ١٣٠٧ هـ تحت رقم [٧٥٢ تصوّف] .

(٣) تكملة عن المصدر المتقدم .

(٤) كفّره الضياء الحموى بمطلع هذه القصيدة ونالته ألسنة الناس ونسبوه إلى حب الظهور : وبعض علماء عصره تأول قوله وذكروا لذلك مخرجا .

ومنها المخلص :

أَلَا يا رَسُـولَ اللهِ يا أكرَمَ الورَى * ومَنْ جُـودُهُ خيرِ النَّوالِ يُنِيـلُ

ومَنْ كَفُّهُ سَيْحُونُ منها وجَيْحُنٌ[1] * ودِجلةُ تَجْـرِى والفراتُ ونيـلُ

مَدَحْتُكَ أرْجُو منكَ ما أنتَ أهلُهُ * وأنت الذى فى المَكْرُماتِ أَصِيـلُ

فَيـاخَيرَ مَمْدوحٍ أثِبْ شرّ مادِحٍ . عطَـا مانحٍ منـهُ الجـزاءُ جَزيلُ

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم المُسلِّك الصوفىّ العارف بالله تعالى المعتقد جَمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر [الكردىّ[2]] الكُورانىّ الأصل المصرىّ الدار والوفاة المعروف بالشيخ يوسف العجمىّ بزاويته بقرافة مصر الصُّغرى فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأوّل وقيل : جمادى الأولى وقيل : يوم الأحد النصف من جُمادى الأولى ودفن بزاويته المذكورة وقبره يُقْصَدُ للزيارة وكان — رحمه الله — شَيْخًا حقيقة ومقتدى طريقة ، كان إمام المُسلِّكين فى عصره وكان على قَـدَم هائل ، كان غالب علماء عصره يقتدون به وكان له أوراد وأذكار هائلة ، انتفع بصحبته جماعة من العلماء والصلحاء والفقهاء وكان لا يأخذه فى الله لومةُ لائم ، مع فضيلة غزيرة ومعرفة تامّـة بالتصوّف وله رسالة سمّـاها « رَيْحان القلوب والتوصُّل إلى المحبوب »[3] . وقـد شاع ذكْرُ الشيخ يوسف فى الدنيا وأثنى عليه العلماء والصلحاء .

حُكِى أنّ الشيخ يوسف هذا دَخَل مرةً الى الشيخ يحيى بن على بن يحيى الصنافيرى[4] ، فقام إليه الشيخ يحيى وكان لا يلتفت إلى أحد وتَلَقّاه وهو يُنْشِد بقوله : [الوافر]

(١) فى الأصل فيه : «جيحون» فتركت المدّ هنا ضرورة . (٢) الزيادة عن المنهل الصافى (ج٣ص٥٧ ؛ ب) . (٣) هذه الرسالة أولها : احمد لله مانح عطائه ... الخ . ذكر فيها المؤلف شرائط التوبة ولبس الخرقة وتلقين الذكر . توجد من هذه الرسالة نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية تحت رقمى (١٧٥م) و (١٧٨م) من فهرس التصوّف والأخلاق الدينية (٤) سيذكر المؤلف وفاته فى سنة ٧٧٢ هـ .

(١)
أَلَمْ تَعْلَمْ بأنّى صَيْرَفِيٌّ * بلوتُ العالمينَ على مِحَكّى
فمنهم زائفٌ لا خيرَ فيه * ومنهم جائزٌ تجويز شَكِّ
وأنت الخالصُ الإبريزُ منهم * بتزكيتى وحَسْبُك من أُزَكّى!

فحصل للشيخ يوسف بهذا الكلام غاية السرور والفرح وكان مع الشيخ يوسف ولده محمد فأقبل عليه الشيخ يحيى وأنشده فقال : [الكامل] ٥

إنّ السَّرِىّ إذا سَرَى فبِنَفسِه * وآبن السَّرِىّ إذا سَرَى أسْرَاهُمَا

قال : فازداد الشيخ يوسف سرورا على سروره بهذا القول . رحمهما الله تعالى ونفعنا ببركاتهما .

وتُوُفّى الشيخ الإمام الأديب البارع المُفْتَنّ جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبى يحيى ١٠ عبد الرحيم بن نُباتة (بضم النون) الفارقىّ: الأصل الجُذامى المصرىّ المعروف بابن نُباتة بالقاهرة — رحمه الله تعالى — بالبيمارستان المنصورىّ (٢) فى ثامن شهر صفر من السنة المذكورة . ومولده فى مصر فى شهر ربيع الأوّل سنة ست وثمانين وستمائة «بزقاق القناديل» (٣) ونشأ بمصر وبرع فى عدّة علوم وفاق أهلّ زمانه فى نظم القَرِيض وله الشِّعر الرائق والنَّثر الفائق وهو أحدُ من حَذَا حَذْوَ القاضى الفاضل وسلك ١٥ طريقه وأجاد فيما سلك وكان خطّه فى غاية الحسن وديوان شعره مشهور وقد مدح الملوك والأعيان ورَحَل إلى البلاد وآنقطع إلى السلطان الملك المؤيّد إسماعيل

(١) وردت هذه الأبيات فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤٥٧ ب) برواية توافق هذه الرواية وفى الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٤٦٣) برواية تختلف عما هنا فى كثير من ألفاظها . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من الجزء ٢٠ الخامس من هذه الطبعة والحاشية رقم ٣ ص ٢٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

صاحب حَماة وله فيه غُرَرٌ مدائح وكان مع ما ٱشتمل عليـه من المحاسن قليل الحظ ومن شعره فى المعنى : [الكامل]

أسَـفِى لِشعر بارِعٍ نَظَمْتُهُ (١) * تحتاجُ بهجته لِرفْـدٍ بارِعِ
دُرٌّ يتيمٌ قـد تَضَوّعَ نشرُهُ * يامَنْ يرِقُّ على اليتيم الضَّائِـعِ

ومن شعره أيضا قوله : [السريع]

مُقَبَّـلُ الخـدِّ أدارَ الطِّـلا (٢) * فقـالَ لى فى حُبِّهـا عائِبـى
عن أحمرِ ٱلمشروبِ ما تنتهِى * قلتُ: ولَا عَنْ أخضرِ ٱلشارِبِ

وله أيضا : [السريع]

وتاجِـــرٍ قلتُ له إذْ رَنَا * رِفقًا بِقلبٍ صَـبْرُهُ خاسرُ
ومُقْلةٍ تَنْهَبُ طِيبَ ٱلكَرَى * مِنهـا عـلى عينِك يا تاجِرُ (٣)

وله أيضا : [الكامل]

قَبّلتُـــه عِنـد النَّوى فتَمَزّرَتْ * تِلك ٱلحلاوةُ [بالتفرّقِ وٱلجَوَى] (٤)
وثَمّتُـه عِنـــدَ القُـدُومِ فحَبَّـذَا * رُطْبُ الشِّفـاهِ السُّكَّرِىُّ بلا نَوَى

وله : أيضا — عفا الله عنه — [البسيط]

أهْلًا بِطَيْفٍ على ٱلجرعاءِ مختلِس * وٱلفجرُ فِى سَحَـرٍ كالثَّغرِ فى لَعَسِ
وٱلنَّجْمُ فى الأُفُقِ ٱلغَرْبِىِّ منحدِرٌ * كَشُعْلةٍ سقطتْ من كَفِّ مُقْتَبِسِ
ياحَبَّـذَا زَمَنُ ٱلجَـرْعاءِ مِن زَمَنٍ * كُلُّ الليالى فِيــه ليــلةُ العُــرُسِ

---

(١) رواية ديوانه المطبوع فى مصر سـنة ١٣٢٣ هـ — ١٩١٠ م تحت رقم ١٩١ أدب : « خفى ... ... الخ » . (٢) ورد هذان البيتان فى ديوانه المقدم ذكره برواية تختلف عما هنا فى بعض ألفاظها . (٣) رواية الديوان : « ... ... حائر » . (٤) التكلة عن ديوانه

وحبذا العيشُ مع هَيْفاءَ لو ظَهَرتْ (١) * للبـدرِ لم يَزْهُ أو للغُصْنِ لم يَمِس
خَوْدٌ لها مِثْلُ ما في الظَّبي مِنْ مَلَحٍ (٢) * ولَيْس للظَّبي ما فيها مِن الأَنَس
محـروسةٌ بِشَـعاعِ البِيضِ ملتمِعًا * ونورُ ذاكَ المُحَيَّا آيةُ الحـرَس
يَسْعَى ورَا لَحظِها قلبي ومِنْ عَجَبٍ * سَـعْيُ الطَّرِيدةِ في آثار مُفْتَرِس
لَيْتَ العذولَ عن مرأى محاسِنها * لَوْ كان ثَنَّى عَمَى عينَيْه بالخَـرَس (٣)

وقد استوعبنا من شعره وأحواله نبذة كبيرة فى المنهل الصافى. انتهى والله أعلم.

وتُوفِّى الوزير الصَّاحب فخـر الدين ماجد بن قَرَوِينَة القبطىّ المصرى تحت العقوبة ، بعد أن أُحرقت أصابعه بالنار ، وكان ــ رحمه الله ــ وزيرا عارفا مكينا عفيفا رزينـا ذا حُرْمة ونهضـة ، لم يَلِ الوزارة فى الدولة التركية من يشابهه ؛ عَمَّر فى أيام وزارته بيوت الأموال بالذهب والفضة ، وترك بالأهراء مُغَلّ ثلاث سنين و بعض الرابعة ، وذلك فوق ثلاثمائة ألف اردبّ . و بالبلاد مُغَلّ ستين ، بعـد ما كان يقوم بالكُلَف السلطانية وكُلفة الأتابَك يلبغا العمرىّ الخاصّكى و بعد هـذا كله كان يحمل إلى الخزانة الشريفة فى كل شهر ستين ألف دينار ، وكان فيه محاسنُ كثيرة ، غيرَ أنه كانت نفسُه نفسًا شامخةً ، وفيه تَهكُّم على الناس مع تكبُّر ، هذا مع الكرم الزائد والإحسان للناس وقلّة الظلم بالنسبة إلى غيره ، رحمه الله تعالى ؛ والله أعلم .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين دَرُوط ابن أخى الحـاج آل مَلَك ، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وحاجبًا ثانيا بها .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين آقْبُغا بن عبـد الله الصَّفَوى أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية وأمير آخور وكان ــ رحمه الله ــ من أعيان الأمراء .

(١) رواية ديوانه المطبوع فى مصر سنة ١٣٢٣ ﻫ (١٩٠٥ م) ص ٢٦٣ : « لو برزت » .
(٢) الملح بالتحريك : بياض يخالطه سواد ، وهو مما توصف به الظباء . (٣) هذه الأبيات من قصيدة له واردة فى ديوانه المطبوع فى مصر المحفوظ بدار الكتب المصرية وعدد أبياتها تفوق ثلاثين بيتا . تحت رقم [١٩١٠ أدب] .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين آقْبُغا بن عبد الله الأحمدى اليَلْبَغاوى المعروف بالجَلَب فى أواخر السنة المذكورة وهو مسجون بثغر الإسكندرية، من جُرْح أصابه فى شهر ذى القَعْدة؛ وقد تقدّم ذكرُه فى عِدّة مواطن . والله أعلم .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين أُلْطُنبُغَا بن عبـد الله العِزّى أحد أمراء الطبلخانات فى يوم الآثنين رابع شهر ربيع الآخر، وكان مُثيرًا للفتن .

وتُوُفّى القاضى بهـاء الدين حسن بن سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن رَيّان ناظر الجيش بحلب فى دِمَشق عن ثمان وستين سنة، وكان رئيساً نبيلاً كاتبا بارعا، وَلِىَ عِدّة وظائف، وله نظمٌ ونثرٌ، ومن شِعره ــ رحمه الله تعالى ــ [الرجز]

نحنُ الموقّعون فى وظـائف * قلوبُنا من أجْلِها فى حَرَق
تشتّتنا فى الكُتْبِ لا فى غيرِها * وقطْعُنـا ووصلُنا فى الوَرَق

وتُوُفّى القـاضى تقىّ الدين محمـد[1] بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد اللطيف[2] البَعْلَبَكى الشافعى الشهير بابن المجد ــ رحمه الله ــ كان فقيها فاضلا وَلِىَ قضاء [illegible] وغيرها .

وقد تقدّم أن يَلْبُغا العُمَرى قُتِل فى هذه السنة؛ انتهى، والله أعلم .

أمر النيل فى هذه السنة ــ الماء القديم ســتة أذرع وثلاثة أصـابع . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وستة أصابع .

⁂

[illegible] من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين صاحب الترجمة [illegible] تسع وستين وسبعمائة .

---

(1) فى الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٠٦) : « ابن محمد » .
(2) [illegible] (ح ٣ ج ٤ قسم أول ص ٥٨ ب) : (ابن عبد المنصف) .

فيها كانت الوقعة بين الملك الأشرف صاحب الترجمة وبين الأتابك أسَنْدَمر الزَّيْني الناصري وانتصر الأشرف حسب ما تقدّم ذكرُه .

وفيها تُوُفّي العلّامة قاضي القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضي القضاة علاء الدين علىّ ابن العلامة فخر الدين عثمان بن إبراهيم[1] بن مصطفى بن سليمان الحنفيّ المَارديني، الشهير بابن التُّركمانيّ بالقاهرة، في ليلة الجمعة حادي عشر شهر شعبان ودُفِن بتربة والده خارج باب النصر من القاهرة وتَوَلّى بعده القضاءَ العلّامة سراج الدين عُمَر الهِنْدي . ومولده في سنة تسع عشرة وسبعمائة ، وقيل سنة خمس عشرة وسبعمائة . وتفقّه على والده وغيره، حتى بَرَع في الفقه والأصول والعربية وشارَك في فنون كثيرة، وكان من جملة محفوظاته «الهداية في الفقه» حتى إنه كان يُمْليها في دروسه من صدْره، وكمّل شرحَ أبيه لها، وتَوَلّى القضاء بعد وفاة أبيه وباشر القضاء بعفّة وحشمة ورئاسة وتَصَدّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين في حياة والده الى أن مات . وكان له عبادة وأورادٌ هائلةٌ ومحاسنُ كثيرة . رحمه الله تعالى .

وتُوُفّي قاضي القضاة موفّق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الباقي الحَجّاوي[2] المقدسيّ الحنبليّ قاضي قضاة الديار المصرية بعد أن حكم بها ثلاثين سنة — رحمه الله تعالى — وتولّى بعده القاضي ناصر الدين نصر الله العَسْقلاني الحنبليّ . وكان موفّق الدين مشكورَ السِّيرة جميلَ الطريقة .

(١) رواية المنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٦٨ (« أ ») : «عثمان بن مصطفى بن ابراهيم ... الخ» . وفي الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٧٦) أنه مات مطعونا في شهر رمضان .

(٢) ورد في شذرات الذهب وطبقات الحنابلة (ص ٦٣) ما نصه : « الحجاوي » وهي الرواية الصحيحة . وفي السلوك : « الحجازي » .

وتُوُفِّى قاضى القضاة جمال الدين يوسف[(١)] بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى المقدسى الحنبلىّ قاضى قضاة دِمَشق بها عن نيِّف وسبعين سنة، مصروفا عن القضاء — رحمه الله تعالى —

وتُوُفِّى قاضى قضاة طرابلس[(٢)] شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ تقى الدين عبد الله الشِّبْلىّ الدمَشقىّ الحنفىّ وهو من أبناء السبعين — رحمه الله — وكان عالما ديِّنا مجاهدا مُرابطًا يَلبَس السِّلاح فى سبيل الله ويَغزُو وسَمِع الكثير وجمع وألَّف وأفتى ودرّس وانتفع الناس به وباشر الحكم خمس عشرة سنة. رحمه الله.

وتُوُفِّى قاضى قُضاة حلب[(٣)] صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدّمِيرِى المالكى — رحمه الله — عن نيِّف وسبعين سنة. وكان فقيها فاضلا مشكورَ السِّيرة.

وتُوُفِّى الشيخ العلّامة[(٤)] قاضى القضاة بَهاء الدين أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن ابن عَقِيل المصرى الشافعىّ قاضى قضاة الديار المصريّة وفقيه الشافعية — تغمّده الله برحمته — بالقاهرة فى ليلة الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الأوّل ودُفِن بالقرافة[(٥)] بالقرب من قُبّة الإمام الشافعىّ — رضى الله عنه — ومولده فى المحرّم سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة. ونَسَبُه يتّصل إلى عَقِيل بن أبى طالب رضى الله عنه.

---

(١) فى الأصلين والسلوك (ج٣ و٤ قسم أوّل ص ٦٤ ب): «جمال الدين أبو محمد عبد الله... الخ» وهو خطأ صوابه ما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج٣ ص ٤٦٤) وطبقات الحنابلة (طبع دمشق سنة ١٣٣٩ ص ٦٣) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٢١٧).

(٢) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج٣ ص ١٩١ ب) وفى الدرر الكامنة (ج٣ ص ٤٨٧) وفى السلوك (ج ٣ و ٤ ص ٦٤ ب قسم أوّل).

(٣) راجع ترجمة له فى السلوك (ج ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٦٣ ب) والدرر الكامنة (ج ١ ص ١٧٢).

(٤) عقد له المؤلف فى المنهل الصافى ترجمة ضافية كلها محاسن وطرف وذكر شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته، منها شرح الألفية لابن مالك، توجد منه عدّة نسخ مخطوطة ومطبوعة بأرقام مختلفة محفوظة بدار الكتب المصرية.

(٥) يريد بها قرافة الإمام الشافعى المسماة بالقرافة الصغرى.

ونشأ بالقاهرة . وقرأ على علماء عصره وبرَع فى علوم كثيرة وصنّف التصانيف المفيدة فى الفقه والعربيّة والتفسير ، منها « شرح الألفيّة » لابن مالك و «شرح التسهيل»[1] أيضا وباشر قضاء الديار المصريّة مدّة يسيرة وباشر التداريس الجليلة والمناصب الشريفة ، وكتَب إليه قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السّبكى[2] من دِمَشق يقول:

[الطويل] ٥

تقَضّت شهورٌ بالبِعادِ وأحوالُ * جَرَت بَعدكُم فيها أمورٌ وأحوالُ

فإنْ يَسرِ الله التّلاقِى ذكرتُها * وإلا فَلِى فِى هذِهِ الأرض أمثالُ

وتُوُفِّى الشيخ عِزّ الدين أبو يَعْلَى حمزة بن قُطْب الدين موسى بن ضياء الدين أحمد بن الحسين[3] الدِّمَشْقى الحنبلى الشهير بابن شيخ السلامية بدمشق وقد جاوز ستين سنة وكان — رحمه الله — إماما عالما فاضلا كتب على « المنتقى[4] » . ١٠

وتُوُفِّى الإمام العالم شهاب الدين أحمد[5] بن لُؤْلُؤ الشهير بابن النَّقيب المصرى الشافعى فى يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان وكان — رحمه الله — مُفْتنًا فى علوم وله مصنّفات ونَظْمٌ حسن .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام المحدّث صلاح الدين عبد الله ابن المحدّث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم[6] بن أحمد بن سعيد الصالحى الحنفى الشهير بابن المهندس ١٥

(١) هذا الشرح يسمى « المساعد على تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم [٢٦٥ نحو] . (٢) هو بهاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضى القضاة سديد الدين عبد البر بن صدر الدين يحيى السبكى الأنصارى الشافعى . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٧ هـ .

(٣) فى الأصلين : « الحسن » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٥٠ (أ)) والسلوك ج ٣ و ٤ قسم أول ص ٦٤ (أ) والدرر الكامنة ج ٢ ص ٧٧) . (٤) هو شرح أحكام المنتقى للجد بن تيمية ولم يكمل . انظره فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٧٧) والمنهل الصافى (ج٢ ص ٥٠ (أ)) . ٢٠

(٥) انظره فى الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٣٩) . (٦) فى الأصلين : « ابن غنام » وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ و ٤ ص (أ)) والمنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٧٠ (ب)) والدرر الكامنة (ج ٢ ص ٢٨٢) .

ــ رحمه الله تعالى ــ بحَلَب عن نيفٍ وسبعين سنة . وكان مُحَدِّثا مُسْنِدًا سَمِع الكثير بمصر والشام والحجاز والعراق وكَتَب وحدّث وحَجّ غيرَ مرّة وطاف البلادَ ثم آستوطن حلب إلى أن مات . رحمه الله .

وتُوُفِّى القاضى علاءالدين علىّ ابن القاضى مُحْيِى الدين يَحْيى بن فضل الله القُرَشى العُمَرِى كاتب السِّر الشريف بالديار المصريّة بالقاهرة فى ليلة الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان عن سبع وخمسين ســنة . وكان قبل موته نزل عن وظيفــة كتابة السِّر لولده بدر الدين محمــد فتمّ أمْرُه من بعده . وكان القاضى علاء الدين ــ رحمه الله تعالى ــ إماماً فى فَنّه كاتبا عاقلًا طالت أيّامُــه فى السعادة حتّى إنه باشر وظيفــة كتابة السِّر نيِّفا وثلاثين سنة لأحد عشر سلطانًا من بنى قلاوون . استوعبنا ذلك كلّه فى « المنهل الصافى » .[1]

قلتُ : ولا أعلم أحدًا وَلِى كتابةَ السِّر هذه المدّة الطويلة من قبله ولا من بعده سِوى العلّامة القاضى كمال الدين محمد بن البَارِزِى ــ رحمه الله ــ فإنّه وَلِيها أيضا نحواً من ثلاث وثلاثين ســنة على أنه عُزِلَ منها غير مَرّة وتعطّل سنين ، كما سيأتى ذكرُه فى ترجمته إذا وصَلْنا إليه ــ إن شاء الله تعالى ــ وكان للقاضى علاء الدين ــ رحمه الله ــ نظمٌ ونثرٌ وترسُّلٌ وإنشاءٌ ومن شعره : [البسيط]

بَانَ ٱلحِمَى لم يَمِس مِن بَعْــدِ بُعْدِكُمُ * ولا تغنّتْ بِهِ وَرْقــاؤُه طَــرَبَا
ياجِــيرةً خلّفــونِى فِى دِيارِهــمُ * أُجرِى ٱلدمــوعَ على آثارِهِم سُحُبَا
قــد كانَ يَحْــزُنُنِى واشٍ يُراقِبُــنى * وٱليومَ يَحْــزُنِنى أن ليس لِى رُقَبَا

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين طَيْبُغا بن عبــد الله الناصرى المعروف بالطويل نائب حلب بها فى يوم السبت وقت الظهر سَلْخ شوّال ودُفن خارج باب المقام وقيل :

(١) انظره فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ١٣٨) والمنهل (ج ٢ ص ٤٥٦ (ب)) .

إنه سُمّ ، لأنّه كان أراد الخروج عن الطاعة، فعاجلته المنيّةُ ، وقد تقدّم ذكر مع خُشْدَاشه يَلبُغَا العُمَرِى الخاصّكى وما وَقَع له معه فى ترجمة الملك الناصر حسن وكيفيّة خروجه من الديار المصرية والقبضُ عليه فلا حاجةَ للإعادة ههنا .

وتُوُفّى الأتَابك سيفُ الدين أَسَنْدَمُر بن عبد الله الناصرى صاحب الوقعة مع الملك الأشرف شعبان محبوسًا بثغر الإسكندريّة فى شهر رمضان، وقد تقدّم أيضا ذكرُ واقعته مفصّلا فى ترجمة الملك الأشرف .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قنق بن عبد الله العِزّى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية على هيئة عجيبة ؛ نسأل الله تعالى حسن الخاتمة بمحمد وآله . وخبرُه أنه كان قد عَصَى مع أَسَنْدَمُر الناصرى المقدّم ذكره، وركب معه من جملة اليلبغاويّة، فلما انكسرت اليلبغاويّة ساق قنق هذا فرسه إلى بِرْكة الحبش[1] ونزل بشاطئ البركة وبَقِى يشرب الماء ويَسْتَفّ الرمل إلى أن مات ، فانظر إلى هذا الخذلان الذى حلّ فى نفسه .

وتُوُفّى السلطان الملك المنصور أحمد ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصور غازى بن قَرَا أَرْسلان بن أُرْتُق الأُرْتُقِى صاحب مَارِدِين[2] بها وقد جاوز الستين سنة من العمر وكانت مدّةُ مُلْكه ثلاثَ سنين ، وكان صاحب همّة عليّة وحرمة وافية رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الشاب الفاضل تاج الدين محمد بن السُّكّرى — رحمه الله — وكان فاضلا عالما ودرّس وبَرَع — رحمه الله — وفيه يقول ابن نُبَاتة : [المتقارب]

سألتُه فى خَدّه قُبْلَةً * فقال قولًا ليس بالمُنْكَرِ
عليك بالصبر ومَنْ ذا الّذى * ينفعه الصبرُ عن السُّكّرِى

(١) راجع الاستدراك الوارد فى ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وتوفى الأمــير علاء الدين ألطنبغا بن عبــد الله البشتكى نائب غزة وأســتادار السلطان كان فى رابع[1] عشر شعبان .

وتوفى الأمير سيف الدين باكيش بن عبد الله اليلبغاوى الحاجب فى صــفر، وكان من رءوس الفتن وممن قام على أستاذه يلبغا .

وتوفى الأمير سيف الدين بيليك بن عبــد الله الفقيه الرزاق ، أحد مقــدمى الألوف بالديار المصرية ــ رحمه الله تعالى ــ كان فاضلا فقيها ويكتب المنسوب وعنده مشاركة فى فنون .

وتوفى الأمير سيف الدين تلكتمر بن عبد الله المحمدى الخازندار أحد أمراء الألوف بالديار المصرية مسجونا بثغر الإسكندرية . وكان ممن قام مع أسندمر الناصرى .

وتوفى الأمير ســيف الدين جرجى بن عبد الله الإدريسى الأمير آخور ثم نائب حلب وهو بدمشق . وكان من أجل الأمراء وتنقــل فى عدة وظائف و ولايات ــ رحمه الله تعالى ــ .

وتوفى الأمير ســيف الدين جرقطلو[2] بن عبد الله أمير جاندار فى صفر وكان من الأشرار .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المــاء القديم أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا سواء . والله أعلم .

* * *

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة سبعين وسبعمائة .

---

(١) كذا فى الأصلين . وفى السلوك (ج ٣ و ٤ قسم أوّل ص ٦٤ (أ)) : «كان فى رابع عشرين ... الخ» . (٢) فى السلوك «ج ٣ و٤ قسم ١ ص ٦٤ (أ)» : «جوقطلو ... الخ» .

وفيها تُوُفِّىَ الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد الشَّرِيشِىّ البكرىّ الوائلىّ الدّمشقى الشافعى بدِمَشْق عن ستّ وأربعين سنة — رحمه الله — وكان عالما فاضلا فقيها درّس بالإقبالية[1] بدمشق إلى أن مات .

وفيها تُوُفِّىَ قاضى القُضاة[2] جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القُونَوىّ الحنفى قاضى قضاة دِمَشق بها عن ستّ وسبعين سنة وكان — رحمه الله — من العلماء الأماثل، كان رأسًا فى الفقهاء الحنفية، بارعا فى الأصول والفروع ودرّس بدمشق بعدّة مدارس وأفتى وجَمع وألّف — رحمه الله تعالى — .

وتُوُفِّىَ القاضى شمس[3] الدين محمد بن خَلَف بن كامل الغَزّى الشافعىّ بدِمَشْق عن بضع وخمسين سنة . وكان عالمًا، درّس بدمشق وأفتى و باشر بها نيابة الحكم إلى أن مات — رحمه الله تعالى — .

وتُوُفِّىَ الطواشى ناصر الدين شفيع بن عبد الله القُوِّىّ نائب مقدّم المماليك السلطانيّة فى يوم الأحد ثامن شعبان وكان من أعيان الخُدّام وطالت أيامُه فى السعادة .

---

(١) هى داخل باب الفرج والفراديس، شمالى الجامع والظاهرية الجوانية وشرق الجاروخية وغربى التقوية، أنشأها جمال الدولة إقبال خادم الملك، درّس بها جلة من العلماء منهم : بدر الدين بن خلكان ثم شمس الدين بن خلكان ثم تاج الدين المراغى ثم علاء الدين القونوى ثم الكمال الشريشى ثم ولده بدر الدين هذا وغير هؤلاء من أفاضل المدرّسين .وراجع الكلام عليها فى مختصر تنبيه الطالب و إرشاد الدارس فى أخبار المدارس — اختصار عبد الباسط العلوى الدمشقى ص ٨ .

(٢) انظره فى الدرر الكامنة (ج ٤ ص ٣٢٢) والمنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٢٨ (ب)) .

(٣) ترجم له صاحب الدرر الكامنة ترجمة لا بأس بها (ج ٣ ص ٤٣٢) .

وتُوُفِّى الأمير سـيف الدين أرْغُون[1] بن عبـد الله بن غلبك الأزرق رأس نَوْبة النُّوَب بالديار المصريّة فى العشر الأوّل[2] من جمادَى الآخرة . وكان من أعيان الأمراء وهو أحد من ثار على يَلْبُغا .

وتُوُفِّى الأمير صلاح الدين خَلِيل[3] بن أمير على آبن الأمير الكبير سَلّار المنصورى وكان أَحَدَ أمراء الطبلخاناات بالديار المصريّة وهو أحد من رَكِبَ مع الأتابك أَسَنْدَمُر .

وتُوُفِّى الأمير ناصرالدين محمد بن طُقُبُغَا الناصرى أحد أمراء الطبلخانات أيضا .

وتُوُفِّى الأمير صارم الدين إبراهيم آبن الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى وكان أيضا من أمراء الطبلخانات وله وجَاهةٌ فى الدولة، وفيه شجاعةٌ و إقدام ودُفِن بمدرسة[4] أبيه . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأديب المَوَّال شهاب الدين أحمـد بن محمد[5] بن أحمـد المعروف بالفار الشِّطْرَنْجى العالية، وكان بارعًا فى المَوَالِيَا وله شِعرٌ جيِّد وكان ماهرا فى الشِّطْرَنج .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قَشْتَمُر بن عبد الله المنصورى نائب حلب بها مقتولا بيد العرب فى وقعة كانت بينه و بينهم على تَلّ[6] السلطان وقُتِل معه ولَدُه، وقد تَقَدَّم

(١) رواية السلوك (ج ٣ و ٤ قسم أ ص ٦٧ (ب) : « الأمير أرغون على بك ... الخ » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « فى أوّل جمادى الآخرة ... الخ » .

(٣) انظره فى السلوك المصدر المتقدّم . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة (٥) فى الأصل « م » كلمة محمد مكررة مرتين ، وما أثبتناه عن الأصل « ف » والدرر الكامنة والمنهل الصافى (ج ١ ص ١١٥ (ب) .

(٦) هـو موضع بينه و بين حلب مرحلة لحو دمشق وفيـه خان ومنزل للقوافل وهو المعـروف بالفنيدق ، كانت به وقعـة بين صلاح الدين يوسف بن أيوب وسـيف الدين غازى بن مودود بن زنكى صاحب الموصل سنة ٥٧١ هـ فى عاشر شوّال (عن معجم البلدان لياقوت) .

أنّ قشتمر هـذا وَلِىَ نيابة طرابُلُس ونيابة دِمَشق ونيابة السلطنة بالديار المصريّة .
ثم أُخرِج من مصر إلى نيابة حلب فلم تَطُل مدّته على نِيابة حلب وقُتِل — رحمه الله —
وكان شجاعا مقـداما عارفا عاقلا مدبِّرا سَـيُوسًا دبّر أمْرَ السلطنة سنين وحمـدت
سِـيرتُه .

وتُوُفِّى القاضى عِمـاد الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سـليمان الشهـير ٥
بالشـيرجى بدمشق . كان ولى حسـبة دمشق ونظر خزانتهـا وكان له ثروة ولديه
فضيلة وعنده سياسة .

وتُوُفِّى الأمير سـيف الدين آقتمر بن عبد الله مِنْ عبـد الغنى الصغير فى شهر
رمضان، وآقتمر هذا غيرُ الأمير الكبير آقتمر عبد الغنى وكان آقتمر هـذا من جملة
أمراء الطبلخانات . والله أعلم . ١٠

وتُوُفِّى السلطان صاحب تُونُس وما والاها من بلاد الغرب أبو إسحاق إبراهيم
ابن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى فى العشرين من شهر رجب بعـد ما ملَك
تسـع عشرة سنة — رحمـه الله — وكان من أجلّ ملوك الغرب، كان شجاعا وله
مواقف وفتوحات هائلة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ ٥
الزيادة سبعة عشر ذراعا وستة أصابع . والله أعلم .



السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف شـعبان بن حسين على مصر وهى
سنة إحدى وسبعين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّي(١) قاضى القضاة شرف الدين أبو العبّاس أحمد آبن الشيخ شرف الدين حسن بن الخطيب شرف الدين أبى بكر عبد الله آبن الشيخ أبى عُمر محمد بن أحمد ابن محمد بن قُدامة الشهير بآبن قاضى الجبل الحنبلىّ المقدسىّ الصالحىّ قاضى قضاة دِمَشْق بها فى ثالث عشر شهر رجب عن ثمانٍ وسبعين سنة — رحمه الله — وكان إمامًا عظيمَ القَدْر آنتهت إليه رياسة مذهبه، وكان صحب آبن تَيْمِيّة وسَمِع منه وتفقّه به و بغيره، وفى هذا المعنى يقول : [الوافر]

نَبِيِّى أحمـــدٌ وكــذا إمامِى * وشَيْخى أحمـــدٌ(٢) كالبحرِ طامِى
واسمى أحمـــدٌ أرجو بِهـــذا(٣) * شـفاعةَ ســيّد الرسْــلِ الكِرامِ

وتُوُفّى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب آبن قاضى القضاة تَقِىّ الدين علىّ ابن عبد الكاف بن علىّ بن تَمّام بن يوسف بن موسى بن تَمّـام الأنصارىّ السلمِىّ السُّبْكِىّ الشافعىّ قاضى قضاة دِمَشق بها، فى عصر يوم الثلاثاء(٤) سابع شهر ذى الحِجّـة ودُفِن بسَفْح قَاسيون(٥). تغمّده الله برحمته عن أربع وأربعين سنة. وكان إمامًا بارِعًا مُفْتِنًا فى سائر العـلوم وله تصانيفُ شَتّى : منها « شرح المِنْهاج(٦) » فى الفقه للنَوَوىّ

(١) عقد له صاحب مختصر طبقات الحنابلة جميل الشطى ترجمة ذكر فيها شيوخه والمناصب التى تولاها وبعض أبيات من شعره . (٢) يريد به شيخ الإسلام أحمد بن تيمية انظره فى النجوم الزاهرة الجزء التاسع ص ٢٧١ من هذه الطبعة . (٣) رواية هذا المصراع فى المصدر المتقدم : «وبذاك أرجو» ارجع إلى طبقات الحنابلة ص ٦٣ (٤) فى الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٤٢٨) أنه مات ليلة الثلاثاء . (٥) قاسيون جبل شمالى دمشق يطل عليها . وفى عصر نور الدين الأتابكى هاجرت طائفـــة من المقادسة هربا من إرهاق الصليبيين لهم فسكنوا هذا الجبل و بنوا فيه دورا ومساكن فأصبح إحدى ضواحى دمشق التى لها مقبرة لا أنه مقبرة . (٦) يسمى مختصر المحرر فى فروع الشافعية وقد شرحه جلة من العلماء الشافعيـــة فى عصور مختلفة منهم قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكى وغيره .

«وشرح مختصر ابن الحاجب» ومنهاج البيضاوى[1]، وغير ذلك ودرّس «بالعادلية»[2] و «والغزاليّة»[3] و «الأمينيّة»[4] و «الناصريّة»[5] و «دار الحديث الأشرفيّة»[6] «والشامية البرانيّة»[7] وباشر قضاء دمشق أربع مرّات وخطب بالجامع الأموى، وقدم القاهرة وتولّى مكانه أخوه أبو حامد بهاء الدين واستقرّ تاج الدين هذا مكان أخيه أبى حامد المذكور فى تدريس «الشّيخونية»[8] بمصر، وقيل: إنه كان أفقه من أخيه أبى حامد المذكور.

وتُوفّى قاضى القضاة جمال الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلّاتى السّلمى قاضى قضاة دمشق بالقاهرة

---

(١) هو منهاج الوصول إلى علم الأصول لناصر الدين البيضاوى. (٢) هى المدرسة العادلية أنشأها أوّلا نور الدين الشهيد ثم العادل سيف الدين ثم ولده المعظم ووقف عليها الأوقاف، درس بها جلة من العلماء (انظر تنبيه مختصر الطالب رقم ١٦). (٣) هى بالجامع الأموى شمالى مشهد عثمان، وكانت أوّلا تعرف بالشيخ نصر المقدسى ثم الإمام أبى حامد الغزالى وقف الامام الناصر، قربة على من يشتغل بها فى العلوم الشرعية وعلى من يدرس بها من الشافعية درس بها جلة من العلماء منهم الشيخ نصر المقدسى وجمال الدين الدولعى ثم عز الدين بن عبد السلام وغيرهم. (٤) موضعها قبلى باب الزيادة من أبواب الجامع الأموى المسمى قديما بباب الساعات وهى أوّل مدرسة بنيت بدمشق للشافعية، بناها أتابك العساكر بدمشق أمين الدولة ربيع الاسلام أمين الدين كمشتكين بن عبد الله السفتيكى. (٥) أنشأها الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز بن صلاح الدين بن أيوب، درس بها جلة من العلماء منهم تاج الدين هذا. (٦) هى بسفح جبل قاسيون، بناها الملك المظفر موسى العادل. (٧) هذه المدرسة بمحلة العينية إنشاء ست الشام ابنة نجم الدين أيوب بن شادى وهذه المدرسة تعرف بالحسامية لأنه دفن حسام الدين ابنها بها عند والدته فى القبر الثالث الذى يلى مكان المدرس وفى الذى يليه زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه. انظر مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس ص ١٢
(٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

وهو من أبناء السبعين سنة وكان — رحمه الله — عالمـا فاضلا سَمِـع بالإسكندرية[1] ومصر والشام وأخذ عن القُونَوِى وأبى حيّان[2] وغيرهما وولى نيابة الحكم بدِمَشْق . ثم استقلّ بالقضاء أكثر من عشرين سنة .

وتُوُفّى الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد المـاردينى الشهير بابن خطيب المَوْصِل — رحمه الله — مات بحَمَاة وهو من أبناء الستين سنة . وكان أديبا فاضـلا ، كان يَتَنَقّل فى البـلاد وكان يكتب المنسوب وله مشاركة .

ومن شعره : [المتقارب]

لِيَهْنِـكَ ما نِلتَ مِن مَنْصِبٍ * شريفٍ له كنتَ مُسْـتوجِبَا
وما حسنٌ أنـ تُهَـنَّى بِهِ * ولكنـ نُهَنَّى بك ٱلمَنْصِـبَا

وتُوُفّى الأميـر ناصر الدين محمـد ٱبن الأمير تَنْـكِز الحسامى الناصرى نائب الشام ، كانـ أحَد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وله وجاهةٌ فى الدولة . رحمه الله .

وتُوُفّى الـوزير الصاحب شمس الدين موسى بن أبى إسحاق عبـد الوهاب بن عبـد الكريم القِبْطى المصرى ، أسـلم أبوه وتولّى نَظَـر الجيش والخـاصّ بعـد كريم الدين الكبير واستناب ٱبنَه هذا وكانـ يوم ذاك ناظر الخزانة الشريفة . فلمّـا مات أبوه فى سـنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ٱستقرّ مكانه فى نظر الخـاصّ ، فباشر فيه مـدّة وصُرِف بالنشو وٱستقرّ فى نظر الجيش عوضًا عن الفخر ، فلم تَطُلْ مدّتهُ وأُمْسِك بسعى النّشو وسُـلِّم هو وأخوه علَم الدين ناظر الدولة إلى النّشْـو ،

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من هذا الجزء .

(٢) هو أثير الدين أبو حيـان محمـد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيـان الغرناطى ، تقدمت وفاته سنة ٧٤٥

فأوقع الحَوْطَة على موجودهما ، فوجد لهما مالا يُوصف : من ذلك أربعمائة سراويل لزوجته وآستقرّ عِوَضه فى نظر الجيش مَكين الدين إبراهيم بن قَرَوِينة وآستمرّ موسى فى المصادرة وأُجْرِى عليه العذابُ ألواناً ، وأمْرُه أعجب من العجب وهو أنه كان قبل مُصادرته نحيفَ البَدَن قليلَ الأكل ، لا يزال سَقيما بالرَّبْو وضِيق النَّفَس ، لزمه الحمّى الصّالبة(١) ، فلا يَبرح مُحْتَمِيا(٢) ويَلْبَس الفِراء شتاء وصيفا ، فَبَنَى له أبوه بيتا فى الروضة ووكّل به الأطباء ، يدبِّرون له الأغذية الصالحة ويعالجونه وهو على ماهو عليه إلى أن قُبِض عليه وصُودِر وسُلِّم لوالى القاهرة ناصر الدين محمد بن الحسنى . ثم نُقِل إلى لؤلؤ شادّ الدواوين وكان النَّشْوُ يُغريهما على قتله ، فضَمِن لؤلؤ للنشو قتلَه ، فضرَبه أوّل يوم مائتى شِيب(٣) وسَعَطه(٤) بالماء والمِلْح وبالخَل والجير حتى قَوِى عنده أنه مات فأصبح سَوِيّا ، فضرَبه بعد ذلك حتى أعياه أمرُه ، وعقَد(٥) له المِقْرَعة التى يضربه بها ، فكانت إذا نزلت على جَنْبه تُنْقِبه ، فكان يضربه بتلك المِقرعة حتى يقولوا : مات فيُصْبح فيعيدون عليه العذاب والتّسعيط ، فصار يُقيم اليوم واليومين والثلاثة لا يُمَكَّن فيها من أكل ولا شرب . وكانوا إذا عاقبوه ونَزَعُوا رَمَوْه عُرْيانا فى قوّة الشتاء على البلاط فيتمرّغ عليه بجسده وهو لا يَعِى من شدّة الضرب والعقوبة . كل ذلك والنَّشو يَسْتَحِثّ على قتله . ثم عَصَرُوه فى كَعْبيْه وصُدْغيْه ، حتى لَهَجُوا بموته وبَشَّرُوا النشر بموته غيرَ مرة . ثم يتحرّك فيجدوه حيّاً . وآستمرّ على ذلك أشهرا ثم تُرِك نحو الشهر لمّا أعياهم أمرُه وأعادوا عليه العقوبة وعلى زوجته بنت الشمس غِبرِيال وكانت كحاله فى ضعف البَدَن والنحافة وكانت حاملاً ، فولَدت وهى تُعصر ،

---

(١) فى « ف » : « ومالزمه » . (٢) هى الحمى الحارة خلاف الناعصة وهى التى معها رعدة وقشعريرة (عن شرح القاموس « مادة صلب ») . (٣) الشيب : بالكسر : سير السوط . (٤) سعطه بالماء ... الخ : أدخله فى أنفه . (٥) عقد الحبل ونحوه : جعل فيه عقدة .

فعاش ولدُها حتى كَبِر، وما زالا فى العقوبة حتى هَلَك النَّشْوُ وهو يقول : أموتُ وفى قلبى حَسْرة من موسى بن التاج، فمات النشوُ ولم يَنَل فيه غَرَضَه . قيل : إنّ مجموع ما ضُرب موسى هذا ستة عشر ألف شِيب ، حتى إنه ضُرب مرة فوَقَع من ظهره قِطْعَةُ لحم بقَدْر الرّغيف، وأعجبُ من هذا كلّه أنه لمّا أُطْلِق تعافَى ممّا كان به من الأمراض المُزْمِنة القديمة . وصار صحيحَ البَدَن . ثم أفرجَ عنه الملك الناصر محمد وأكرمه وأنعم عليه ببغلة النشو وردّ عليه أشياءَ كثيرة وولّاه نَظَر جيش دِمَشْق، ثم وَلِى نظر الخاصّ ثانيا وأُضيف إليه نظرُ الخزانة الشريفة وساءت سِيرتُه واستعفى وأُعيد إلى دِمشْق وزيرًا، ولم يزل يتنقّل فى الوظائف إلى أن مات فى هذا التاريخ. وقد أطلنا فى ذكره لِمَا أوردناه من الغرائب . انتهى .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين طَيْبُغا المحمــدىّ فى شهر صفر وكان أحدَ مُقَــدّمى الألوف بالديار المصرية .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين بَكْتَمُر بن عبد الله المؤمنى الأمير آخُور الكبير بالديار المصرية — رحمه الله — وكان من أجل الأمراء فضــلا ومعرفة ودِينًا وعِفّة عن الأموال، وتولّى عِدّة وظائف وتنقّل فى الولايات، مثل نيابة حلب والإسكندرية، ثم استقرّ أمير آخور إلى أن مات، وهو صاحب المُصلّاة[1] بالرُّمَيْلة، والسبيل المعروف بسبيل المُؤْمِنىّ . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين، أَسَنْدَمُر بن عبد الله الكاملىّ زوج خَوَنْد القُرْدمية[2] بنت الملك النـاصر محمد بن قلاوون وكان أحدَ مقــدّمى الألوف بالديار المصرية ومات بالقـاهرة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من هذا الجزء . (٢) هو أثير الدين أبو حيان محمــد ابن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى، تقدّمت وفاته سنة ٧٤٥ .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين آروس بُغَا بن عبدالله الخَليلى- أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة فى شهر رجب وهو أحدُ مَنْ قام على يَلْبُغَا .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أسن بن عبد الله الصرغتمشى- أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة بِدِمَشق بعدما نُفِيَ إليها وكان من الأشرار .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله العلائى- المعروف « فُرْفُور » كان أحدَ أمراء الطبلخانات بمصر وكان خَصِيصًا عند الملك الأشرف . رحمه الله .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين آقْبُغَا بن عبد الله اليُوسفى- الناصرى- الحاجب فى شعبان بمدينة مَنْفَلُوط[1] ، وقد توجّه إلى لقاء هدية صاحب اليمن إلى السلطان الملك الأشرف .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَيْنَبَك بن عبد الله الأزَقى- أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة ثانى بها وكان من الشجعان .

وتُوُفِّى الأمير أَلْأَكُز بن عبد الله الكَشْلاوِى- وهو منفى- بحلب فى شهر ربيع الأوّل وكان من أعظم الأمراء وأوجههم ، وَلِي الوَزَر والأستدارية بمصر ونالته السعادة وعَظُم فى الدُّوَل إلى أن تغيّر عليه الملك الأشرف شعبان وعزله ثم نفاه إلى حلب لأمر ٱقتضى ذلك .

وفيها كان بِدِمَشق طاعون عظيم وٱنتشر إلى عِدّة بلاد ومات فيه خلائق لا تُحصى كثرةً . والله أعلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا — مبلغ الزيادة ستة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا .

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

*
* *

السنة الثامنة من سـلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر ، وهى سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .

وفيها تُوُفّى الشيخ العالم المفتّن[(١)] جمال الدين أبو محمد عبدالرحيم بن الحسن بن علىّ ابن عمر القرشىّ الأُمَوىّ الإسنائى[(٢)] الشافعىّ شيخ الشافعية بالديار المصرية . مات بغتةً[(٣)] فى ليلة الأحد ثامن عشرين جُمادى الأولى عن سبع وستين سنة ، رحمه الله تعالى .
وكان إماما عالمـا مصنّفا بارعا ، دَرّس بالأقبغاوية[(٤)] والفاضلية[(٥)] والفارسـية[(٦)] ،

---

(١) عقد له المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣١٠ (أ)) ذكر فيها نسـبه وشيوخه ومؤلفاته التى لا تدخل تحت حصر . وفى كشف الظنون : (جلال الدين ... الخ) .

(٢) نسبة إلى « إسـنا » بالكسر وتفتح . راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٦٠ من الجزء السـادس من هذه الطبعة حيث تجد بيانا مفصلا لها .

(٣) فى المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣١١ (أ)) : « ثامن عشر جمادى الأولى » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة وهذه المدرسة هى الآن ضمن الجامع الأزهر الشريف .

(٥) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٦٦ ج ٢) فقال : إنها بدرب ملوخيا من القاهرة ، بناها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى بجوار داره فى سنة ٥٨٠ هـ ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمـالكية وجعل فيهـا قاعة للإقراء ، ووقف بهذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب فى سائر العلوم ، يقال : إنها كانت مائة ألف مجلد ، ذهبت كلها ، وإلى جانب المدرسة كتّاب برسم الأيتام وكانت هذه المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها وقد تلاشت لخراب ما حولها . ومـما ذكر يعلم أن هذه المدرسة خربت وتلاشت هى ومكتبتها فى القرن السـابع الهجرى السـابق لعهد المقريزى . وبالبحث عن مكانها تبين لى أنهـا كانت واقعة فى حارة قصر الشوك المتفرعة من شارع قصر الشوك بقسم الجمالية بالقـاهرة .

(٦) هـذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٩٣ ج ٢) فقال : إنها بخط الفهادين من أوّل العطوفية بالقاهرة وكان موضعها كنيسة تعرف بكنيسة الفهادين ، فلما كانت واقعة النصارى فى سنة ٧٥٦ هـ هدمها الأمير فارس الدين ألبكى قريب الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار وبنى هذه المدرسة ووقف عليها وقفا يقوم بما تحتاج إليه .
ويستفاد ممـا ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٢٧٣ ج ١) وعلى خط الفهادين (ص ٣٧٦ ج ١) أن هذا الخط كان واقعا فى المنطقة التى يتوصل إليهـا اليوم من حارة الميضة وامتدادها بدرب الزاوية ومن المنطقة الجوانية المتفرعتين من شارع الجمالية .
وبالبحث عن مكان المدرسة الفارسية بتلك الجهة تبين لى أن مكانها الزاوية التى تعرف بزاوية الأربعين داخل عطفة الزاوية المتفرعة من درب الزاوية وهى الآن خربة عبارة عن أرض فضاء محاطة بسور . =

ودرّس التفسير بجامع أحمد بن طولون وتصدّر بالمَلَكية (١) وأعاد « بالناصرية (٢) »
والمنصورية وغيرهما . وله مصنّفات كثيرة مفيدة : منها « كتاب المُهِمّات
على الرافعىّ » و «شرح المِنْهاج فى الفقه» و «شرح مِنْهاج البيضاوىّ فى الأصول »
وله « كتاب طبقات الفقهاء الشافعية » و « كتاب تخريج الفروع على الأصول »
وسمّاه « التمهيد » و « كتاب تخريج الفروع على العربية » وسماه « الكَوْكَب »
و « شرح عَرُوض ابن الحاجب » و « مختصر الإمام الرافعىّ » و « كتاب الجمع
والفرق » . وكان له نظم ليس بذاك ، من ذلك ما قاله يَمْدَح كتاب الرافعىّ
فى الفقه : [الكامل]

يامَن سَمَا نفسًا إلى نَيْلِ العلا * ونحا الى العِلْمِ العَزيزِ الرافِعِ
قَلِّدْ سَمِيَّ المصطفى ونسيبَه * والزَمْ مطالعةَ العزيزِ الرافِعِى

وتُوُفِّى القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح برهان الدين
ابراهيم [بن عمر بن أحمد] (٣) العُمَرِىّ الصالحىّ الحنفى، قاضى قُضاة الإسكندرية

= ولما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على هذه الزاوية (ص ٦٩ ج ٢) قال : وكانت أوّل أمرها مدرسة تعرف بالنابلسية ، ذكرها المقريزى مرارا فى التحديد ولم يفردها بذكر . ثم لما تكلم عن المدرسة الفارسية (ص ١٢ ج ٦) قال : إن هذه المدرسة تهدّمت ولم يبق منها إلا قطعة صغيرة ، مشهورة بالزاوية الخربانة وأنها تقع أمام دير كبير عظيم (دير الأروام الأرثوذوكس) الكائن بعطفة الدير المتفرّعة من العطفة الجوانية ، وبما أن المنطقة التى فيها هذا الدير تقع خارج حدود خط الفهادين ، كما تبين لى من البحث ، فيكون وضع كل من المدرستين : النابلسية والفارسية فى الأمكنة التى ذكرت عنهما فى الخطط التوفيقية هو وضع فى غير محله ، والصواب ما أثبتناه . (١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٢) المدرسة الناصرية هى التى تعرف اليوم بجامع الملك الناصر بشارع المعز لدين الله بالقاهرة . وقد سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٨ بالجزء الثامن من هذه الطبعة . وأما المدرسة المنصورية فتجاور الناصرية السابقة ، وتعرف اليوم بجامع السلطان قلاوون وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ بالجزء السابع من هذه الطبعة . ويضاف إلى ما سبق ذكره أن على باشا مبارك لما تكلم فى الخطط التوفيقية على جامع السلطان قلاوون سماه جامع المارستان (ص ٩٩ ج ٥) لأنه يجاور المارستان المنصورى . (٣) تكملة عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٩٤) والمنهل الصافى (ج ١ ص ٤٨ (أ)) .

وبها تُوفى — رحمه الله — وقد قارب سبعين سنة وكان فاضلا عالمـا أفتى ودرّس وخطب وأفاد وأعاد وأقام بحلب مدّة، يُقرِئ ويُفْتى. ثم قَدِم إلى مصر وأقام بهـا أيضًا إلى أن وَلِى قَضاء الإسكندرية مسئولا فى ذلك .

وتُوُفّى الأمير الكبير علاء الدين علىّ المَـارِدِينى[1]، ثمّ الناصرى نائب السـلطنة بدِمَشق، ثم بالديار المصرية فى العشر الأوّل من المحرّم عن بضْع وستين سـنة وكان أميرًا جليلا دينا خيرا عفيفا عاقلا، تنقل فى الأعمال الجليـلة سنين عديدة وطالت أيامه فى السعادة، وكان — رحمه الله — منْقادًا إلى الشريعة فى أحكامه وأفعاله، مشتغلا بالفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة — رضى الله عنه — مُستحضرًا له وكان قريبـا من الناس مُحَبّبًا للرعية . وأجلُّ أعمال وليها نيابة حلب ثمّ دمشق ثلاث مرّات فيا أظنّ . والله أعلم . ثم نيابة السـلطنة بالديار المصرية . وأمّا الولايات التى دون هؤلاء فكثير .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين جُرجى بن عبـد الله الإدريسىّ الناصرىّ بدِمشق عن بضع وخمسين سنة . وكان أصلُه من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، وترقّى إلى أن ولى نيابة حلب . ثمّ عُزِل بعد مدّة وأُنْعِم عليه بإمرة بدِمَشق، فتوجّه إليهـا وأقام بها إلى أن مات — رحمه الله — وكان عالِى الهِمّة، غَزير النعمة، وله سعادة وافرة، وقد تقدّم وفاتُه، والأصحّ أنه تُوُفّى فى هذه السنة .

وتُوُفّى قاضى قضاة المدينة النبوية — على الحالّ بها أفضلُ الصلاة والسلام — نور الدين أبو الحسن علىّ بن عز الدين أبى المحاسن يوسف بن الحسن [بن محمـد

(١) راجع المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٤٦ (ب)) حيث تجد له ترجمة ضافية ممتعة .

(٢) انظره فى المنهـل الصافى (ج ١ ص ٤٧٠ (أ)) والسـلوك للمقريزى (ج ٣ و ٤ قسم ص ٧١ (ب)) .

ابن محمود] الزَّرَنْدِىّ[1] الحنفىّ[2] المدنىّ — رحمه الله — كان عالما فاضلا ولى قضاءَ المدينة سنين .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أرْغُون بن عبد الله من قيران السَّلَّارىّ أحد أمراء الطبلخانات ونقيب الجيوش المنصورة فى شهر جُمادى الأولى ، وكان قديمَ هِجْرة وله كلمة فى الدولة وحُرْمَةٌ وقُرْبٌ من الملوك .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر بن عبد الله العلائىّ الحاجب المعروف «حَرْفُوش» بعدما أُنْعِم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدَمَشق على هيئة النَّفْى ، فإنه كان من أكابر أمراء الألوف بالديار المصرية وكان ممن يُخَاف شرّه .

وتُوُفِّى القاضى بدر الدين أبو علىّ الحسن بن محمد بن صالح [بن محمد بن محمد][3] النابلسىّ[4] الفقيه الحنبلىّ — رحمه الله — مفتى دار العدل[5] فى شهر جمادى الآخرة .

وتُوُفِّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن عماد الدين إسماعيل بن برهان الدين إبراهيم [بن موسى][6] الفقيه المالكىّ ، المعروف بابن الظريف فى أربع عشر شهر جمادى الأولى . رحمه الله .

وتُوُفِّى الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزَّرْكَشِى الحنبلىّ فى رابع عشرين جمادى الأولى أيضا — رحمه الله تعالى — وكان من أعيان الفقهاء الحنابلة .

---

(١) تكملة عن السلوك المصدر السابق والدرر الكامنة (ح ٣ ص ٤٢ ١) . (٢) فى المنهل الصافى (ح ٢ ص ٤٥٧ (ب)) : «الزيدى» وهو تحريف . والزرندى نسبة إلى زرند (بفتح أوله وثانيه ونون ساكنة ودال مهملة) : بين أصبهان وساوة ، ينسب إليها جلة من العلماء الأفاضل . راجع معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٩٣١) . (٣) التكملة عن شذرات الذهب والسلوك (ح ٣ و ٤ قسم ١ ص ٧١ «ب») . (٤) فى الأصلين «البالسىّ» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والسلوك المصدر المتقدّم . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة ، والحاشية رقم ١ ص ٧٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٦) التكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين مَنْكوتَمُر[١] بن عبد الله من عبد الغنى الأشرفى الدَّوادَار في شهر جُمادى الأولى وكان من خواصّ السلطان الأشرف شعبان ومن مماليكه .

وتُوُفِّى القاضى تاج الدين أبو عبـد الله محمـد بن البَها المـالكى المعروف بآبن شاهد الجمـالى — تغمده الله تعالى — كان فقيها وتولّى إفتاء دار العدل وشاهـد الجيش وناظر البيمارستان[٢] المنصورى ووكيل الخاصّ وتوجّه إلى الحجاز فمات فى عوده بمنزلة العقبة[٣] .

وتُوُفِّى الشيخ المعتقد الصالح صاحب الكرامات الخارقة أبو زكرياء يحيى بن على ابن يحيى المغربى الأصل الصّنافيرى الضرير المجذوب ، قَدِم جَدُّه يحيى من الغرب ونزل عنـد الشيخ أبى العبـاس البصـير بزاويتـه[٤] بجوار باب الخرق وولد له على أبو يحيى هـذا وكانت له أيضا كرامات ، وقـدم فى التجريد وكان الغالب عليـه الوله ، وذكر له الموفّق[٥] كرامات جَمّة . ثم وُلد له يحيى هذا صاحب الترجمة مكفوفا مجذوبا ، إلا أنه له كلام خارق وأحوال عجيبة ، وكان الغالب عليـه الوَلَه ، كما كان أبوه ، وكان لا يفيق من سَـكْرته ، لا يزال مغمورا فى نشأته ، لا يُفَرِّق بين مَن هو

---

(١) رواية السلوك المصدر المتقدم : « ومات الأمير منكوتمر عبد الغنى الأشرفى ... الخ » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٣ من هذا الجزء . (٤) لما تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على شارع قنطرة الأمير حسين (ص ٧ ج ٣) قال : إن زاوية أبى العباس البصير التى كانت بباب الخرق ، أصلها مسجد «أبو الفتح يانس الأرمنى» وزير الخليفة الحافظ بالله الفاطمى ، أنشأه فى سنة ٥١٦ هـ بظاهر باب سعادة ، ثم عرف هذا المسجد فيما بعد بزاوية الشيخ أبى العباس البصير ، لأنه أقام به وآتخذه زاوية لمقرائه .

وبالبحث عن مكان هذه الزاوية تبين لى أنها كانت على الخليج المصرى بجوار قنطرة الأمير حسين تجاه مبنى محكمة الاستئناف بميدان باب الخلق بالقاهرة . (الآن ميدان أحمد ماهر) وأن الزاوية المذكورة خربت ثم هدّمت وزالت آثارها بسبب توسيع ذلك الميدان . (٥) هو الموفق بن عثمان أحد مؤرخى قرافة مصر ، اعتمد عليه ابن الزيات صاحب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة الذى ألفه سنة ٨٠٤ هـ المطبوع بمطبعة بولاق سنة ١٩٠٧ م .

فى حضرته من سلطان ولا أمير ولا غنيّ ولا فقير، والناس كلُّهم عنده سواء، وكان يُقيم أوّلا بالقرافة عند ضريح أبى العباس البَصير(١)، وبنى له هناك قُبّة وجعل لها بابين: بابا ظاهرا وبابا فى الأرض نازلا، وكان إذا أحسّ بالناس هَرَب من ذلك الباب الذى فى الأرض، فلمّا كَثُر ترداد الناس إليه للزيارة من كلّ فجّ، صار يَرْجُمُهم بالحجارة، فلم يردّهم ذلك عنه رغبةً فى التماس بركته، فَفرّ منهم وساح فى الجبال مُدّة طويلة . ثم نزل صنافير(٢) بالقليوبية من قرى القاهرة، فكان كل يوم فى أيام الشتاء يغطس فى الماء البارد صبيحة نهاره وفى شدّة الحرّ يجلس عريانا مكشوف الرأس فى الشمس، وليس عليه سوى ما يستر عَوْرته، فكان يُقيم على سَقيفَة طابونة سوداء، أقام على ذلك ثلاث سنين، لا ينزل عنها وبَنَى له بعضُ الأمراء زاوية، فلم يسكنها ولا التفت اليها وكان الناس يتردّدون اليه فَوْجا فوجًا ما بين قاض وعالم وأمير ورئيس وهو لا يلتفت إلى أحد منهم .

ومن كراماته — نفعنا الله به — أنه أُتِى مرة بِمِنْسَف(٣) خشب فيه طعام أَرْز، فقال لهم: سخّنوه، فلم يَسعْهم إلا موافقته، ووضعوا المِنْسف الخشب على النار، حتى اشتدّت سخونة الطعام ولم تُؤثّر النار فى الخشب، ثم عاد إلى القرافة فمات بها فى يوم الأحد سابع عشرين شهر شعبان وصُلّى عليه بمصلّاة خَوْلان(٤) فحُزِرَ عِدّةُ مَنْ صلّى عليه من الناس، فكانوا زيادةً على خمسين ألفا . والله أعلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٨ من هذا الجزء من هذه الطبعة . (٢) هى من القرى القديمة فى مصر وهى اليوم من قرى مركز قليوب بمديرية القليوبية . تبلغ مساحة أطيانها ٢٢٦٥ فدانا وسكانها حوالى ٤٠٠٠ نفس بما فيهم مكان العزب التابعة لها . (٣) المنسف : الغربال الكبير، وهو هنا القصعة . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠٥ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

السنة التاسعة من سـلطنة الملك الأشرف شـعبان بن حسين على مصر وهى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة .

فيها رسم السلطان الملك الأشرف للأشراف بسائر الأقطار أن يَسِمُوا عمائمَهم بعلائم خُضْر ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه فى ترجمة الأشرف . والله أعلم .

وفيهـا تُوُفِّى القاضى كمال الدين أبو الغيث محمد ابن القاضى تقىّ الدين عبد الله ابن قاضى القضاة نور الدين أبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن [عبد الخالق(١) بن] عبد القادر الأنصـارىّ الدمشقىّ الشافعىّ الشهير بابن الصـائغ بدِمَشق عن بِضْع وأربعين سنة . رحمه الله . وكان ولى قضاء حلب مرتين ثم ولى قضاء حِمْص، ثم عاد إلى دِمشق، وبها كانت وفاته .

وتُوُفِّى الشيخ العالم العلّامة قاضى القضاة(٢) سراج الدين أبو حَفْص عمر ابن الشيخ نجم الدين إسحاق بن شهاب الدين أحمد الغَزْنوىّ الهندىّ الحنفىّ قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليلة الخميس سابع شهر رجب، بعد أن ولى القضاء نحو خمس عشرة سنة ــ رحمه الله ــ وتولّى بعــده القضاء صَدْر الدين(٣) محمــد بن جمال الدين التُّركمانىّ؛ ومولد السراج هذا فى ســنة أربع أو خمس وسبعمائة تخمينا، وقدِم القاهرة قبل سنة أربعــين [وسبعمائة] ــ رحمــه الله ــ وكان إماما عالمـا بارعا مفتنًا فى الفقــه والأصلين والنحو وعلمي المعانى والبيان وغيرهم، وناب فى الحكم بالقاهرة وتصدّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين، ثمّ تولّى عدّة وظائف دينيّة، وهو أحد مَنْ قام

---

(١) التكلة عن الدرر الكامنة (ج٣ص ٤٨٤) . (٢) عقد له المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل تقع فى أربع صفحات كلها محاسن ودرر . راجع المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٦٩ وما بعدها) .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٦ هـ .

مع ابن النقاش في قضية الهرماس حتى وغرا خاطر السلطان عليه ووقع له معه ما وقع .

وكان السراج — رحمه الله تعالى — إماما مصنفا : منها « شرح المغني » في مجلدين و « شرح البديع » لابن الساعاتي وغير ذلك ، وقد ذكرنا من علو همته وغزير فضله في « المنهل الصافي » نبذة كبيرة جيدة تنظر هناك .

وتوفي الشيخ الأديب أبو زكرياء يحيى بن محمد بن زكرياء بن محمد بن يحيى العامري الحموي الشهير بالخباز بدمشق وهو من أبناء الثمانين وكان بارعا في النظم، نظم سائر فنون الأدب وكان فيه تشيع كبير ومن شعره : [الوافر]

بعيشك هاتها صفراء صرفا * صباحا واطرح قول النصوح
فإن الشمس قد بزغت(١) بعين * تغامزنا على شرب الصبوح

وله أيضا : [السريع]

باكر عروس الروض واستجلها * وطلق الحزن(٢) ثلاثا بتات
بقهوة حلت لنا كلما * حلت لآلي القطر جيد النبات

وتوفي العلامة قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد أحمد(٣) ابن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن علي ابن الشيخ زين الدين عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف ابن موسى بن تمام الأنصاري السبكي الشافعي، بمكة المشرفة عن ست وخمسين سنة — رحمه الله — وكان إماما عالما بارعا في عدة من الفنون وسمع من الحفاظ، وأخذ من والده وعن أبي حيان(٤) — وهو أسن من أخيه تاج الدين المقدم ذكره —

(١) رواية المنهل الصافي (ج ٣ ص ٤١٣ (ب) : « قد غربت » . (٢) رواية المنهل المصدر المتقدم : « الحسن » . (٣) ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢١٠) ترجمة ضافية تقع في ست صفحات ، وكذا المؤلف في المنهل الصافي (ج ١ ص ٩٧ (ب) .
(٤) تقدمت وفاته سنة ٧٤٥ هـ (ص ١١١ ج ١٠) .

ودَرّس بقُبّة الشافعى[١] والجامع الطولونى[٢] والمنصورية والشَّيْخُونية[٣]، وباشر قضاء العسكر وإفتاء دار العدل بمصر وخَطَب وألّف وصنّف وتولّى قضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين وتَولّى أخوه تاج الدين وظائفَه بمصر، وقد تَقدّم ذلك. ثم تَرَكَ قضاء دِمَشق عفّةً ورَجَع إلى مصر يُدرّس ويُفتِي ثم جاورَ بمكّة وبها مات — رحمه الله — .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين أَيْدَمُر بن عبد الله الشَّيْخى أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم نائب حَمَاة وكان من أعيان الأمراء، وقد تقدّم ذكرُه فى عدّة أماكن.

وتُوُفّى الشيخ الفقير المُعْتَقَد عبد الله دَرْويش — رحمه الله — فى سابع عشر[٤] شهر رجب. وكان فقيرًا مباركا وللناس فيه محبّةٌ وآعتقادٌ حسن.

وتُوُفّى الأديب الشاعر شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن شيخان[٥] المعروف بآبن المجد البَكْرى التَّيْمى القرشى البغدادى فى عاشر شهر رمضان بمُنية[٦] آبن خَصيب من صعيد مصر ومن شعره: [الوافر]

أَتَى المحبوبُ فى السِّنجابِ يَسْعى * وطلعتُــه لِنَـاظِره تَرُوقُ
فَتُبصر طوقَه السِّنجاب سُحْبًا * وفيها من تَبَسُّمِه بُرُوقُ

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وخمسة وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأربعة أصابع.

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة. (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٣) يريد خانقاه شيخون وهى جامعه القبلى بشارع شيخون. (٤) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٧٧ ب): فى سابع عشرين شهر رجب ... الخ. (٥) فى: «م» (سيحان) وفى «ف»: (حالية النقط) وما أثبتناه عن الدرر الكامنة (ج ١ ص ٢٧٨). (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

***

السنة العاشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة أربع وسبعين وسبعمائة .

وفيها ٱستقرّ الأمير أَلْجاى اليوسفىّ أتَابَك العساكر بديار مصر بعد موت مَنْكَلِى بُغَا الشّمسى .

وفيها تُوُفِّى الشيخ الإمام الحافظ المؤرّخ عِماد الدين أبو الفداء إسماعيل ٱبن الخطيب شهاب الدين أبى حفص عُمَر بن كَثِير القُرَشىّ الشافعىّ صاحب «التاريخ» و«التفسير» فى يوم الخميس سادس عشرين شعبان بدِمَشْق . ومولده بقرية شرقىّ بُصْرى[1] من أعمال دِمَشق فى سنة إحدى وسبعمائة — رحمه الله تعالى — قال العينىّ رحمه الله : كان قُدوةَ العلماء والحُفّاظ، وعُمْدة أهل المعانى والألفاظ . وسَمِع وجَمَع وصنّف ودَرّس وحَدّث وألّف . وكان له اطّلاع عظيم فى الحديث والتفسير والتاريخ وٱشتهر بالضبط والتحرير، وٱنتهى إليه علمُ التاريخ والحديث والتفسير، وله مُصَنّفات عديدة مفيدة . انتهى كلام العينى — رحمه الله .

قلت : ومن مُصَنّفاته « تفسيرُ القرآن الكريم »[2] فى عشر مجلدات، وكتاب « طبقات الفقهاء » و « مناقب الإمام الشافعى » رضى الله عنه والتاريخ المسمّى « بالبداية والنّهاية » حذا فيه حَذْوَ ٱبن الأثير — رحمه الله — فى « الكامل » والتاريخُ أيضا فى عشرة مجلدات، وخَرّج أحاديث «مختصر ٱبن الحاجب» وكتب

(١) هى قصبة كورة حوران، وقد ذكرها كثير من الشعراء فى أشعارهم قديما وحديثا وقد ساق ياقوت فى معجم البلدان (ج ١ ص ٦٥٤) جملة مستكثرة منها .

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية فى سبعة مجلدات تحت رقم [١ تفسير] .

على « البخارى » ولم يُكمِّله — رحمه الله تعالى — ولما مات رثاه بعضُ طَلَبته رحمه الله بقوله : [الطويل]

لِفَقْدِكَ طُلَّابُ العلومِ تأَسَّفُوا * وجَادُوا بِدمْعٍ لا يَبِيدُ غَزِيرِ
ولو مَزَجُوا ماءَ المَدَامِعِ بِالدِّما * لكان قليلًا فِيكَ يا آبنَ كَثِيرِ

وتُوُفِّى الشيخ الحافظ تَقِىّ الدين محمد بن جَمَال الدين رافع بن هِجْرِس بن محمد ابن شافع بن السَّلَّامِىّ المصرىّ الشافعىّ بِدمَشْق عن ستين سنة، وكان — رحمه الله — إماما فى الحديث ، رَحَلَ البلاد وسَمِع بمصر والشام وحلب والحجاز وكتب لنفسه مشيخة و« ذَيَّل على تاريخ البخارى » رحمه الله .[1]

وتُوُفِّى الأديب زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الخضر بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يوسف بن عثمان السِّنْجارىّ، قَدِم حلب و باشَرَ بها توقيع الدَّرَج إلى أن مات بها عن نيِّف وخمسين سنة . ومن شعره فى مُغَنٍّ ورأيتُه لغيره : [الكامل]

أضحى يَجُرُّ لِوجْهِه قمرُ السَّما * وغدا يَلِينُ لصَوْتِه الجُلْمُودُ
فإذا بدا فكأنَّما هو يوسفٌ * وإذا شَدَا فكأنَّه داودُ

وتُوُفِّى الأمير مظفَّر الدين موسى آبن الحاج أَرُقْطَاى الناصرىّ نائب صَفَد بها ، وتَوَلَّى عِوضَه نيابةَ صَفَد الأمير علم دار المحمدىّ، وكان مظفَّر الدين من الأماثل، وله وجاهةٌ فى الدُّول وثروة .

وتُوُفِّى الأمير الكبير سيف مَنْكَلِى بُغَا بن عبد الله الشمسىّ أَتَابَك العساكر بالديار المصرية بها فى شهر جُمادَى الأولى عن بِضْع وخمسين سنة ، كان من أجلّ الأمراء وأعظمهم حُرْمةً وهَيْبَةً ووقارًا، وكان فيه ديانةٌ، وله معرفة بالأمور، وله آشتغال جَيِّد

(١) ضبطها صاحب شذرات الذهب بالعبارة فقال : « بتشديد اللام » (ج ٦ ص ٢٣٤) .

فى علوم متعدّدة ، ولى نيـابة صَفَد وطَرَابُلُس وحلب ودِمشق ثم أُعيد إلى حلب لإصلاح البلاد الحلبيّة ، فعاد إليها ومَهّد أمورَها، ثم طلبه الملك الأشرف إلى الديار المصرية وسأله أن يَلِى النيابة بهـا فآمتنع من ذلك، فأُخْلَع عليه بأستقراره أَتَابَك العساكر الديار المصرية وزوّجه الأشرف بأخته : « خَوَنْد سَارة » فاستمرّ على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور — رحمه الله — .

وتُوُفِّيت خَوَنْد بَرَكة خاتُون والدة السلطان الملك الأشرف هذا وزوجة الأمير أُلْجاى اليُوسفى فى شهر ذى القعدة ، ودُفنت بمدرستها[1] التى أنشأتها بخُط التَّبانة[2] ، وبسبب ميراثها كانت الوقعـة بين آبنها الملك الأشرف وزَوْجِها أُلْجاى اليوسفى ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه مفصّلا فى أوائل هـذه الترجمة ، وكانت خَيِّرة دَيِّنة عفيفة جميلةَ الصورة . ماتت فى أوائل الكُهُولية . رحمها الله تعالى .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة وَلِىّ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم المَلَّوِىّ[3] الدِّيباجىّ الشافعىّ — رحمه الله — ذو الفنون بالقاهرة فى ليلة الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأوّل عن بضع وستين سنة . وكان من أعيان فقهاء الديار المصرية .

وتُوُفِّى الشيخ العارف بالله تعالى المعتَقَد المُسَلِّك بهاء الدين محمد بن الكَازَرُونىّ فى ليلة الأحد خامس شهر ذى الحجّة بزاويته[4] بالمشتهى بالرَّوْضة وكان — رحمه الله تعالى رجلا صالحا مُعْتَقَدا وللناس فيه مَحبّة زائدة وآعتقادٌ حسن .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٩ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هى قاعدة المركز المسمى باسمها بمديرية أسيوط وأنظر خطط على باشا مبارك (ج ١٥ ص ٧٠) . (٤) هذه الزاوية ذكرها المقريزى فى خططه باسم رباط المشتهى (ص ٤٢٨ ج ٢) فقال : هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين الكازرونى .

وأقول : إن هذه أصلها رباط أى دار يسكنها أهل الطريق من الصوفية لعبادة الله تعالى ، أنشأه بهاء الدين الكازرونى فى سنة ٧٦٥ ﻫ بجزيرة الروضة ولا تزال آثار هـذا الرباط باقية إلى اليوم باسم زاوية الكازرونى ، جددتها والدة الخديوى إسماعيل فى سنة ١٢٨٦ ﻫ . وهى قائمة الشعائر بشارع الكازرونى بجزيرة الروضة بالقاهرة .

وتُوُفِّى القاضى بدر الدين محمد بن محمد آبن العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان ابن فَهْد الحَلَبِىّ ثم الدِّمَشْقِىّ الحنبلىّ ناظر جَيْش حلب بها — رحمه الله — وكان رئيسًا كاتبًا فاضلًا من بيت كتابة وفَضْل — رحمه الله تعالى — والله أعلم .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم لم يُحَرَّر لأجل التحويل، حُوِّلت هذه السنة إلى سنة خمس وسبعين .



السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة خمس وسبعين وسبعمائة .

فيها كانت وقعة الملك الأشرف المذكور مع زوج أمه الأتابَك أُلْجَاى اليوسفى وغَرِق أُلْجاى فى بحر النيل حسب ما تقدّم ذِكْرُه .

وفيها تُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن المخزومىّ المصرىّ الشافعىّ الشهير بابن الخَشَّاب وهو فى البحر المـالح بالقرب من الأَزْلَم[1] عائدًا إلى الديار المصريّة وهو من أبناء الثمـانين سنة — رحمه الله — وكان عالمـًا مُفْتِيًا مدرّسا ، شاع ذكْرُه فى الأقطار وآنتفع الناس بعلمه وولى نيـابةَ الحكم بالقاهرة . وباشر قضاء حلب استقلالا . ثم ولى القضاء بالمدينة النبويّة وأراد التوجُّهَ إلى نحو مصر فأدركته المَنيّةُ فى طريقه — رحمه الله — .

وتُوُفِّى الشـيخ الإمام العـالم العلّامة أَرْشَد الدين أبو الثناء محمود بن قُطْلُوشَاه السَّرَائِىّ الحَنَفِىّ بالقاهرة فى جُمـادَى الآخرة عن نَيِّف وثمـانين سنة — رحمه الله

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٧٤ من هذا الجزء .

تعالى — وكان بحرًا في العلوم لا سيّما العلوم العقلية والأدبية ، وأقام بالقاهرة سنين كثيرة يَشْتَغِلُ ويُقْرِئُ ، وانتفع به عامّة الطلبة من كلّ مذهب، وتولّى مَشْيَخة الصَّرغتمشيّة[1] بعد وفاة الشيخ العلّامة قوام الدّين أمير كاتب الإتْقانيّ فباشر تَدْرِيسَها إلى أن مات في التاريخ المذكور .

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين طَيْبُغا بن عبد الله الفقيه الحنفيّ أحدُ أمراء العشرات بالديار المصرية بالقاهرة وقد ناهزَ الستين سنة ، وكان فقيهاً مُسْتَحْضِرًا لفروع مذهبه ويُشارِك في فنون كثيرة — رحمه الله تعالى —

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين تَمُرقَيَا بن عبد الله العُمَرِيّ الجُوكَنْدار، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وسنُّه نحو الخمسين سنة وهو خشداش يلبغا العمريّ الخاصّكي. وتمرقيا باللغة التركية: جبل حديد، فتمر هو الحديد وقيا بفتح القاف هو الصخر العظيم .

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين تُلُكْتَمُر بن عبد الله الجماليّ، أحدُ أمراء الطبلخانات بالقاهرة، مات بمنزلة[2] قاقون من طريق الشام في شهر ذي الحجة ، كان الملك الأشرف أرسله في مهمّ .

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين آل ملك بن عبد الله الصرغتمشي أحدُ أمراء الطبلخانات بالقاهرة وكاشفُ الوجه البحري ونقيبُ الجيوش المنصورة في شهر شوّال. وكان أصله من مماليك الأمير صرغتمش الناصريّ صاحب المدرسة بالصليبة المقدّم ذكرُه . وكلّ مَنْ نذكره في هذه السنين بالصرغتمشي فهو منسوب إليه ، ولا حاجة للتعريف به بعد ذلك .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٨ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٤ ص ١١٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين آقبغا بن عبد الله من مصطفى اليَلْبَغاوِىّ، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية وهو مجرّد بالإسكندرية وهو ممن قام على أستاذه يلبغا.

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَرْغُون بن عبد الله الأحمدىّ أحدُ مقدّمى الألوف بالديار المصرية ولالا الملك الأشرف شعبان صاحب الترجمة وكان معظما فى الدول وله همة ومعرفة وشجاعةٌ وحرمةٌ وافرة فى الدولة الأشرفيـة . وقد مرّ ذكره فى عِدّة حكايات، ولمـا ثَقُل على الملك الأشرف أخرجه إلى نيـابة الإسكندرية فمات بها فى خامس عشر ذى القعدة .

وتُوُفِّى الشيخ نور الدين علىّ بن الحسن بن علىّ الإسنائىّ الشافعىّ أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم المتقدّم ذكُره، مات فى شهر رجب — رحمه الله تعالى — .

وتُوُفِّى القاضى شمس الدين شاكر القِبطىّ المصرىّ المعروف بابن البَقَرىّ ناظر الذخيرة وصاحب المدرسة البقريّة(1) بالقاهرة فى ثالث عشر شوّال وكان معدودا من رؤساء الأقباط .

(١) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٩١ ج ٢) فقـال : إنها فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكى المجاور للنبر ويتوصل من هذا الزقاق إلى ناحية العطوف ، بناها الرئيس شمس الدين شاكر بن غزيل (تصغير غزال) المعـروف بابن البقرى أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وأصـله من قرية تعرف بدار البقر إحدى قرى الغربية . وقد أنشأ هذه المدرسة فى أبدع قالب وأبهج ترتيب وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية . ولمـا مات دفن بمدرسته هذه ، وقبره بها تحت قبة فى غاية الحسن ، ولم يذكر المقريزى إنشاء هـذه المدرسة وإنما قال : إنه استجد بها منبر وأقيمت فيها صلاة الجمعـة فى تسع جمادى الأولى سنة ٨٢٤ هـ . باشارة علم الدين داود الكويز كاتب السر لقربها من داره التى كان يسكنها بالجوانية وبذلك أصبحت مسجدا جامعا .

وبمعاينة هـذه المدرسة تبين لى أنها أنشئت فى سنة ٧٤٦ هـ . كما هو ثابت بالنقش على بابها وتعرف اليوم باسم جامع البقرى ووردت فى الخطط التوفيقية باسم زاوية البقرى . وهـذا الجامع بحارة العطوف المتفرعة من شارع باب النصر بالقاهرة وهو عامر بالشعائر الدينية .

ولزيادة العلم أذكر أن بلدة دار البقر التى ينسب إليها صاحب هـذه المدرسة هى القريتان اللتان تسمى إحداهما (بالجابرية) والأخرى (بالداخلية) من قرى مركز المحلة الكبرى بمديرية الغربية بمصر .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين يَبْبُغا بن عبد الله المعروف بحارس طير، أحدُ أمراء الطبلخانات ، وهو غير يَبْبُغا طَطَر حارس طير الذى ولى نيـابة السلطنة فى سلطنة الملك حسن .

وتُوُفِّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله المـارديني فى ثانى جُمادى الآخرة ، وهو أيضا غير أَلْطُنْبُغا المارديني الناصرى صاحب الجامع ، وقد تقدّم ذكر هذاك فى محــلّه .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين آروس بن عبد الله المحمودى أحدُ أمراء الألوف بالقاهرة ، وزوج بنت الأمير مَنْجك اليوسفى فى ذى القعدة ، وكان أصله من مماليك الناصر محمد ، وترقّى فى الدول إلى أن صار أمير مائة ومقدّم ألف ، ثم ولى الحجوبية ، ثم أمير جاندار ، ثم ولى الأستدارية العالية مدّة طويلة . ووقع له أمور وحوادث ، وأُخرج إلى الشام . ثم قَدِم إلى مصر صحبةَ حميه مَنْجَك اليوسفى ، فأقام بها إلى أن مات .

وتُوُفِّى الأمير الكبير سيف الدين أُلْجاى اليوسفى أحدُ ممـاليك الملك الناصر حسن غَريقا بالنيل بساحل الخرقانية(1) ، بعد وقعة كانت بينه وبين الملك الأشرف شعبان حسب ما ذكرناه أنه آنكسر فى الآخر وتوجّه إلى الجهة المـذكورة وآقتحم البحر بفرسه ، فغرِق فى يوم الجمعة تاسع المحرّم ، ودُفِن بمدرسته بسُوَيقة العِزّى(2) خارج القـاهرة . وكان من أجلّ الأمراء شجاعة وكَرَما وهمّة وسؤددًا ، وقد تقدّم ذكره فى عِدّة تراجم من هذا الكتاب .

§ أمر النيــل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع . مبلغ الزيادة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا وهى سنة الشراق العظيم .

(1) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦١ من هذا الجزء .
(2) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٠٤ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

*
* *

السنة الثـانية عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة ست وسبعين وسبعمائة .

وفيها كان ابتداء الغلاء العظيم بسائر البلاد .

وفيها فُتحت سيس على يد نائب حلب الأمير إشْقَتَمُر[1] المارِدِينى، وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أصل الترجمة .

وفيها تُوُفِّى[2] العلّامة قاضى القضاة صدر الدين أبو عبد الله محمد ابن العلّامة قاضى القضاة جمال الدين عبد الله ابن قاضى القضاة علاء الدين علىّ بن عثمان بن المـاردينى الحنفىّ الشهير بابن التُّرْكُمانىّ، قاضى قضاة الديار المصرية بها فى ليـلة الجمعة ثالث ذى القعدة عن نحو أربعين سـنة، بعد أن باشر ثلاث سنين وأشهرا، وكان سلَكَ فى العدل طريقة أبيـه وجَدّه، وكان عالمـا بارعا ذكيّا فَهِمًا عفيفا . وله نظمٌ ونثر. ومن شعره وقد حصل له رَمَد : [الوافر]

أفِـرُّ إلى الظلام بِكلّ جهْـدِى * كأنّ النـورَ يَطلُبُـنِى بِدَيْنِ
وما لِلنـور من ـ ظِلٌّ وإنّى * أراه حقيقـةً مطلوبَ عَيْـنِى

وقد تقدّم ذكر أبيه وجدّه كلّ واحد منهما فى محلّه .

وتُوُفِّى[3] قاضى القُضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسـين بن سليمان بن فزارة الكَفْرِى (بفتح الكاف) الحنفىّ بِدمَشق، بعـد أن كُفَّ بصرُه عن خمس وثمانين سنة . وكان من العلماء الأعلام، ماهرًا فى مذهبه، أفتى ودرّس وأفاد وأتقن

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٢) عقد له المؤلف ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٩٢ (ب)) .
(٣) راجع المنهل الصافى (ج ١ ص ٦٩ (أ)) .

روايات القرّاء السبعة وناب في الحكم بدمشق مدّة من الزمان، ثم استقلّ بالوظيفة مدّة طويلة ثم تركها لولده متنزّها عن ذلك ولزم العبادة إلى أن مات .

وتوفّي الشيخ الإمام العالم العلّامة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن عمّار الحارثي[1] الدمشقيّ الشافعيّ الشهير بابن قاضي الزّبدانيّ بدمشق عن سبع وثمانين سنة، وقد انتهت إليه رياسة الفتوى بالشام في زمانه، ودرّس بظاهرية[2] دمشق وعادليتها[3] الصغرى وكتب وصنّف .

وتوفّي الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضي برهان الدين إبراهيم بن عليّ بن أحمد بن عليّ بن يوسف بن إبراهيم الدمشقيّ الحنفيّ الشهير بابن عبد الحق درّس بدمشق بعدّة مدارس وباشر بها الوظائف الجليلة وكان معدودا من أعيان أهل دمشق إلى أن مات بها عن بضع وستين سنة .

وتوفّي الشيخ الإمام العلّامة الأديب المفتّن شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمسانيّ المغربيّ الحنفيّ الشهير بابن أبي حجلة نزيل الديار المصرية بها في يوم الخميس مستهلّ ذي الحجّة عن إحدى وخمسين سنة. ومولده بالمغرب بزاوية جدّه أبي حجلة عبد الواحد، ثم رحل إلى الشام ثم استوطن مصر وولي مشيخة خانقاه منجك اليوسفيّ إلى أن مات . وكان إماما بارعا فاضلا ناظما ناثرا، وله مصنّفات كثيرة تبلغ ستين مصنّفا — رحمه الله — ومن شعره في مليح له خال على خدّه : [البسيط]

(١) في الأصلين : «الحرّاني» وتصحيحه عن الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٤٢٣) والسلوك في وفيات هذه السنة . (٢) هي مدرسة للحنفية والشافعية داخل باب الفرج والفراديس جوار الجامع شمالي باب البريد وقبلي الاقباليتين والجاروخية وشرق العادلية الكبرى، أنشأها مدرسة ودار حديث الملك الظاهر بيبرس وهي التي دفن بها سنة ٦٧٦ هـ وهي اليوم بيد المجمع العلمي العربي، جعلت مخطوطاتها في القبة الظاهرية وقد أنشئت خزانة كتب منذ أواخر القرن الماضي (خطط الشام ج ٦ ص ٨٣) .

(٣) هي داخل باب الفرج شرق باب القلعة الشرقي قبلي الدماغية والعادلية أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقد حرقت مؤخرا وبقيت جدرانها قائمة — عن خطط الشام (ج٦ص ٨٥).

تفرّد الخـالُ عن شَـعرٍ بوجنتهِ * فليس فِي الخدّ غيرُ الخالِ والخَفَرِ
يا حُسنَ ذاك مُحيّا ليس فيه سِوَى * خالٍ مِن آلمِسْك فِي خالٍ مِن الشّعَرِ

ولـــه : [السريع]

وعاذِلٍ بالَـغَ فِي عَــذْلِهِ * وقال لمّـا هـاجَ بِلْبـالِي
يعارِض آلمحبوبِ ما تنتهى * قلتُ ولا بِالسّيف(١) والوالِي

وله مُضمّناً وهو أحسنُ قوله فى المعنى : [الكامل]

يا صاحِ قد حضر الشّرابُ وبُغْيَتِي * وحَظِيتُ بعد الهَجْرِ بالإِينـاسِ
وكسَا العِذارُ الخدّ حُسنًا فاسْقِنِي * وآجعـلْ حديثَك كُلّه فِي الكَاسِ

وتُوُفّى الصاحب الوزير فخر الدين عبد الله بن تاج الدين موسى بن أبى شاكر بالقاهرة ودُفن بالقرافة بتربته بجوار تربة قاضى القضاة شمس الدين الحَريرى . وكان فى مبادئ أمره صاحب ديوان يَلْبُغا العُمَرى ثم تَولّى الوَزَر بعـد موته ثلاثَ مرات وجَمع فى بعض الأحيان بين الوزارة ونظر الخاصّ معا كما كان ابن قَزْوِينة من قبله . وكان حَسَنَ السِّيرة مليح الشكل بَشوشًا متواضـعًا، لَيّن الجانب، قليلَ الأذى مُحبّبًا للناس .

وتُوُفّى التـاجر ناصر الدين محمـد بن مسـلّم الكارِمِىّ(٢) المصرى فى يوم الجمعـة ثانى عشر شوّال . وقد خَلّف اموالًا كثيرة من المَتْجَر وعَمِل الكِيميا بحيث إنه لم يكن أحدٌ من أهل عصره أكثرَ مالًا منه .

(١) رواية ديوان الحسانه ص ١١٤ : « قلت ولا بالشيب والوالى » . والشيب : السوط .

(٢) الكارمى : لفظ اصطلاحى يعنى التاجر الكبير الذى يتاجر فى البضائع الهندية وغيرها من البهار والكارم . وفى الأصل كانت تطلق على تجار الحضارم واليمن ، لأنهم كانوا الواسطة فى نقل البضائع الهندية المذكورة ثم عمتهم الى غيرهم من التجار ، حتى لوكانوا مصريين فى الأصل كالمترجم له . والبهار الحرير الخام وغيره ، والكارم هو الكهرمان ، عرفته العامه ولا يزال معروفا بهذا الاسم الى اليوم انظر السلوك طبعة الأستاذ زيادة (ح ١ ص ٨٩٩ حاشية ٨) (والمنهل الصافى ح ٣ ص ٣٧٦) والعقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية (ح ١ ص ٣٥٠) .

وتُوُفِّى القان أُوَيْس[1] ابن الشيخ حسن بن حسين بن اقْبُغَا[2] بن أَيْلْكان صاحب تِبْريز وبغداد وما والاهما[3]. وفى مَوْتِته غريبةٌ وهى أنه رأى فى منامه قبل موته أنه يموتُ فى يوم كذا وكذا، فخلَع نفسَــه من الملك ووَلّى عوضَــه ولدَه الكبير الشيخ حسين بن أُوَيْس واَعتزلَ هــو عن المُلْك وصار يتعبَّد ويُكْثر من الصلاة والصدقة والبِرّ إلى الوقت الذى عَيّنه لهم أنه يموتُ فيه فمات فيه . وكان مَلِكًا حازمًا عادلًا ذا شَهامةٍ وصَرَامَة، قليل الشرّ كثير الخير مُحِبًّا للفقراء والعلماء، وكان مع هذا فيه شجاعةٌ وكرمٌ ومات فى عُنْفُوان شبيبته وكان تَسلطن بعد أبيه فمكثَ فى المُلْك تسعةَ عشرَ سنة ومات بِتبْريز عن نَيِّف وثلاثين سنة .

وتُوُفِّى الأميرُ الكبير سيف الدين مَنْجَك بن عبــد الله اليُوسُفى الناصرى أتَابَك العساكر ونائب السلطنة الشريفــة بالديار المصرية بداره[4] من القاهرة بالقرب من سُوَيْقــة العِزِّى المُلاصقة لمدرسة السلطان حسن، بعــد عصر يوم الخميس تاســع عشرين شهر ذى الحجــة ودُفِن صبيحة يوم الجمعــة بتربتــه[5] التى أنشأها عنــد

(١) رواية الدرر الكامنــة : « أو يس بن حسين بن اقبغا ... الخ » (ج ١ ص ٤١٩) وكذا رواية المنهل أيضا (ج ١ ص ٢٧٢ (أ) والرواية الصحيحة ما أثبتناه عن الأصل الفتوغرافى .

(٢) فى م : « ابن أبغا » وما أثبتناه عن « ف » والدرر الكامنة المصــدر المتقدم وهى الرواية الصحيحة . (٣) راجع الحاشية رقم (١ ص ١١٩) من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٤) يستفاد من عبارة المؤلف أن هذه الدار بالقرب من سويقة العزى المجاورة لمدرسة السلطان حسن، وبما أن مدرسة السلطان حسن لا تزال قائمة باسم جامع السلطان حسن وسويقة العزى تعرف الآن بشارع ســوق السلاح بالقاهرة . ومن البحث تبين لى أن دار منجك تقــع بأول شارع ســوق السلاح على يسار الداخل فيه من جهة شارع محمد على، وقد خربت هذه الدار ولم يبق منها إلى اليوم إلا بوابته التى من الحجر وبداخلها رنك (شعار) منشئها ثم بقايا من عقود الدار من الجانب البحرى للبوابة .

(٥) هــذه التربة لا تزال باقية إلى اليوم وفيها قبر صاحبها بجوار جامعه الذى تكلمنا عليه فى الحاشــية رقم ٢ ص ٢٦٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . وأرض التربة فى مستوى أوطى من أرض الجامع وبينهما شباك كبير يشرف على التربة . أما الخانقاه التى أشار إليها المؤلف فقد دل البحث على أنها كانت واقعــة تجاه الجامع ويعلوها المئذنة ويتبعها دورة المياه وأن الخانقاه قد خربت ولم يبق من مبانيها إلا المئذنة التى لا تزال قائمة بحدودها [illegible] الجامع وكذلك دورة المياه باقية كما نشاهدها الآن .

جامعه[1] وخانقاته ، خارج باب الوزير بالقرب من قلعة الجبل . وكانت جنازته مشهودة وكان عمره يوم مات بضعا وستين سنة ، وقد مرّ من ذكره ما يُستغنَى به عن التكرار هنا . وكان ابتـداءُ أمره وظهور اسمـه من سلطنة الملك الناصر أحمـد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهَـلُمّ جَرًّا إلى يومنا هـذا ، حتى إنه لم يُذْكَر سلطانٌ بعد موت محمد بن قلاوون، إلا ومَنْجك هذا له فيه أمرٌ وذكرٌ وواقعة . وقد طالت أيامه فى السعادة على أنه قاسى فيهـا خُطوبا وأهـوالا وأُمسِك وحُبِس ثم أُطْـلِق واختفى مدّة ثم ظهر وقد تكرر ذلك كلّه مفصلا فى عدّة تراجم من سلاطين مصر . وأمّا ما عمّره من المساجد والجوامع والمآثر فقد ذكرنا ذلك كلّه فى ترجمته «فى المنهل الصافى[2] والمستوفى بعد الوافى » فلينظر هناك .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين يَلْبُغا بن عبـد الله الناصرى حاجب الحجّاب بالديار المصرية وأحد أمراء الألوف بها ، وكان من أماثل الأمراء وأعيان المماليك الناصرية ، تَرَقّى بعد موت أستاذه الملك الناصر محمـد وولى عدّة وظائف أعظمها حُجوبيّة الحُجّاب .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين أَيْدَمُر بن عبد الله الناصرى الدّوادار بالقاهرة عن نيِّف وستين سنة ، وكان أميرًا عالى القـدْر ظاهرَ الحِشْمة وافـرَ المَهَابة حسَنَ السياسة والتدبير ، يبـدأ الناس بالسلام ويُكْثِر من ذلك ، حتى إنه لمـا وَلِى نيابة حلب لقّبه أهلُها « بِسلامُ عليكم » وكان أوّلا أميرَ مائة ومقدّمَ ألف بديار مصر . ثم ولى نيـابة طرابُلُس ثم نيابةَ حلب ثم عُزِل وطُلب إلى ديار مصر واستقرّ بهـا أمير مائة ومقدّم ألف أيضا إلى أن مات وهو أجل أمراء عصره .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٦٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٢) انظر المنهل الصافى (ح ٣ ص ٣٦٤ (أ)) حيث تجد ترجمة ممتعة لمنجك هذا كلها محاسن وطرف

وتُوُفِّى الأمير الطواشي سابق الدين مِثْقال بن عبد الله الحبشي الآنوكيّ مقدّم المماليك السلطانية وأحدُ أمراء الطبلخانات، وكان أصلُه من خدّام سيدى آنوك ابن الملك الناصر محمد وترقّى إلى أن وَلِى تقدمةَ المماليك السلطانية وهو الذى ضربه يَلْبُغا العمرى داخل القصر سبّمائة عصاة ونفاه إلى أُسوان(١) ووَلّى مكانه مختار الدمنهوريّ شاذروان، فلما قُتل يلبغا أعاده الملك الأشرف هذا إلى رتبته ووظيفته تقدمة المماليك السلطانية إلى أن مات وَوَلِى التّقدمة بعده مختار الدمنهوريّ شاذروان المقدّم ذكرُه ثانيا، وأظن مثقالا هذا هو صاحب المدرسة السابقيّة(٢) داخل بين القصرين من القاهرة. والله أعلم.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربعة أذرع وأثنا عشر إصبعا. مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة أصابع.

---

(١) أسوان: مدينة مصرية وهى قاعدة مديرية أسوان بصعيد مصر. راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٢) نعم هو صاحب المدرسة السابقية التى بداخل بين القصرين، ذكرها المقريزى فى خططه (ص ٣٩٤ ج ٢) فقال: هذه المدرسة داخل قصر الخلفاء الفاطميين من جملة القصر الكبير الشرقى الذى كان داخل دار الخلافة ويتوصل إلى هذه المدرسة الآن من تجاه حمام البيسرى بخط بين القصرين بالقاهرة وكان يتوصل إليها أيضا من باب القصر المعروف بباب الريح من خط الركن المخلق وموضعه الآن قيسارية الأمير جمال الدين يوسف الأستادار. ثم قال: وبنى هذه المدرسة الطواشى الحبشى الأمير سابق الدين مثقال الآنوكى مقدم المماليك السلطانية الأشرفية وجعل بها درسا للفقهاء الشافعية وجعل فيها تصدير قراءات وخزانة كتب وكتّابا يقرأ فيه أيتام المسلمين ولم يذكر المقريزى تاريخ إنشاء هذه المدرسة.

وبمعاينتها تبين لى أنها أنشئت سنة ٧٦٣ هـ كما هو ثابت بالنقش فى لوح بأعلى باب المدرسة التى تسمى اليوم جامع مثقال ويقال له جامع درب قرمز لوقوعه فى الدرب المذكور وهو جامع معلق يصعد إليه بعشر درجات ويمر تحته طريق توصل بين درب قرمز وميدان بيت القاضى وعلى جانبى تلك الطريق قاعات بأسفل المسجد ومع أن إدارة حفظ الآثار العربية عملت فيه إصلاحات فى سنة ١٣٣٠ هـ فإنه لا يزال خربا ومعطلا وعتبة بابه السفلية قطعة من الجرانيت الأسود عليها كتابة هيروغليفية ظاهرة.

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شـعبان بن حسين على مصر وهى سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

فيها كان الغـلاء المفرط بالبلاد الشاميـة حتى أكل الناس الميتات والكلاب والقطط .

وفيها تُوُفِّى الشـيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحـاق إبراهيم ابن القاضى علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن[1] بدران الهيدبانى السعدى الإخنائى المـالكى قاضى قضاة الديار المصرية بها فى يوم الأربعاء ثالث شهر رجب بعـد أن مكث فى القضاء خمس عشرة سـنة وكان ـــ رحمـه الله ـــ من أعيان الفقهاء المـالكية .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة قاضى القضاة بهـاء الدين أبو البقاء محمد ابن قاضى القضاة سـديد الدين عبد البر بن صـدر الدين يحيى السُّـبكىّ الأنصارىّ الشافعىّ ـــ رحمه الله تعالى ـــ قاضى القضاة بالديار المصرية ثم بدمشق المحروسة فى شهر ربيع الأوّل . ومولده فى سنة سبع وسبعمائة . وكان إمام وقته وعالم زمانه، رَوَى البخارى عن الوزيرة والحجّار وتولّى القضاء بدمشق ثم بمصر ثم عزل وعاد إلى قضاء دمشق إلى أن مات ـــ رحمـه الله ـــ بعد أن أفتى ودرّس وكتب وألّف ونظم ونثر . ومن شعره ـــ رحمه الله تعالى ـــ . [الكامل]

(١) فى الأصلين : « ابن بدر » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٣ (أ)) والسلوك للقريزى (ج ٣ ص ٢٦٢) .

ملاحظة : هذه النسخة من السلوك تم نسخها يوم الجمعة ٥ رمضان سنة ١٣٤٧ هـ و ١٥ فبراير سنة ١٩٢٩ عن النسخة المـأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٥٥ تاريخ وأجزاء النسخة المنسوخة أربعة تحت رقم ٣٣٣٧ تاريخ .

وَدَّعتُهُ ولثمتُ باسِمَ ثغرِهِ * مع خَدِّهِ وضَمَمْتُ مائسَ قَدِّه
ثُمَّ انتبهتُ ومُقلتي تبكي دمًا * يا ربِّ لا تجعله آخرَ عهدِه

قلت : ويعجبني في هذا المعنى قول الأديب المُفْتَنّ علاء الدين عليّ كاتب ابن وداعة[1] . [مخلّع البسيط]

إذا رأيتَ الوَدَاعَ فاصبِرْ * ولا يُهِمَّنْكَ البِعادُ
وانتظِرِ العَوْدَ عن قريبٍ * فإنّ قلب الوداع عادوا

وتُوُفِّيَ القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلى بن دعجان ، ينتهي نسبه الى الإمام عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — مات بِدمَشق ودُفِن بسفح قاسيون عن نيف وثلاثين سنة بعد أن باشر نيابة كتابة سر مصر عن والده . وكان إماما بليغا كاتبا ناظما ناثرا أخذ العربيــة عن الشيخ كمال الدين[2] بن قاضي شهبة ثم عن قاضي القضاة شمس الدين[3] محمــد بن مُسَلَّم — رحمهم الله تعالى — وتوجّه القاضي شهاب الدين المذكور إلى دمشق واستوطنها إلى أن مات . وشهاب الدين هــذا سمي على اسم عمّه شهاب الدين أحمد صاحب « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » وقد مرّ ذكره وذكر جماعة من آبائه وأقاربه .

---

(١) توفي كاتب ابن وداعة سنة ٧١٦ انظر (المنهل الصافي ج ٢ ص ٤٤٩) والجزء التاسع من النجوم ص ٢٣٥ من هــذه الطبعة .

(٢) هو عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الشيخ كمال الدين الأسدي الشافعي الدمشقي الشهير بابن قاضي شهبة ، مولده في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، كان فقيها عالما فاضلا بارعا ، تصدر للافتاء والتدريس مدّة طويلة وانتفع به كثير من الطلبة إلى أن توفي بدمشق في ســنة ست وعشرين وسبعمائة ودفن بمقابر باب الصغير . (عن المنهل الصافي ج ٢ ص ٣٦٤ (أ) .

(٣) هــو شمس الدين أبو عبد الله محمــد بن مسلم (بتشديد اللام) ابن مالك بن مزروع بن جعفر . ولد في صفر سنة ٦٦٢ هـ وتوفي سنة ٧٢٦ هـ وقد ذكر له صاحب شذرات الذهب (ج ٦ ص ٧٢) والدرر الكامنة (ج ٤ ص ٢٥٨) ترجمة ممتعة فراجعهما .

وتُوُفّى الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المجذوب ودُفن بالقرافة بالقرب من قبّة الإمام الشافعيّ — رضى الله عنـه — وكان يجلس فى المريس[1] دائمـا وللناس فيه آعتقاد .

وتُوُفّى الإمام العالم العلّامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن على الشهير بآبن الصائغ الحنفيّ — رحمه الله — فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر شعبان ، وكان إماما فى القراءات وسَمِع الحديث وأخذ النحو عن أبى حيّان و برّع فى الفقه وأعاد ودرّس وأفاد وأفتى و برّع فى النحو والأدب ودرّس بجامع آبن طُولُون[2] بالقاهرة وتَوَلّى قضاء العسكر بمصر وكان أديبًا لطيفا ظريفًا بارعا فى النظم ومن شـــعره : [الطويل]

بُروحىَ أَفْدى خالَه فـــوق خَدّهِ * ومَنْ أنا فِى الدنيا فأفديه بالمـالِ

تبارك مَنْ أخلى من الشَّـعْرِ خَدّه * وأسكن كُلَّ الحُسنِ فى ذلك الخالِ

وله عفا الله عنه : [الرجز]

قاسَ الوَرَى وجـهَ حبيبى بِالقمرْ * لِجامـع بينهمـا وهـو الخَفَـر

قلت القيـاسُ باطِلٌ بِفَـرْقِهِ * و بعذًا عِنـدِىَ فِى الوجـهِ نَظَرْ

---

(١) المريس : اسم خط ذكره المقريزى فى خططه فى عدّة مواضع منها حكر الست حدق (ص ١١٦ ج ٢) قال إن هـذا الحكر يعرف بالمريس كان أصله بساتين من بعضها بسـتان الخشاب ثم عرف بحكر الست حدق من أجل أنها أنشأت هناك جامعا كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حـوله . وأكثر من كان يسكن هناك من السـودان و به يتخذ المزر (البوظة التى يسميها أهل السودان المريس) وصار به عدة مساكن وسوق كبير يحتاج محتسب القاهرة أن يقيم به نائبا عنه للكشف عما يباع فيه من المعايش .

و بالبحث عن مكان ذلك الحكر تبين لى أنه كان واقعا فى المنطقة التى يحـدّها الآن من الشرق شارعُ الخليج المصرى ومن الغرب شارع المنيرة بالقاهرة .

وبمـا ذكر يتبين أن الشيخ المعتقد أحمد بن مسعود المذكور كان مقيما بتلك الجهة ، وراجع الحاشـية رقم ١ ص ١٩٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ولـــه : [السريع]

وشـادِنٍ ظَلّتْ عيونُ الرُّبَا * لمّا رأتْهُ مُقْبِــلًا سـاجِدَهْ
سألتُــه من رِيقِــهِ شَرْبَةً * فقـال ذِى مســألةٌ بارِدَهْ

وتُوُفِّى السيِّد الشريف عزّ الدِّين عَجْلان بن رُمَيْثَة بن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد[1] حسن بن على بن قتادة بن إدريس المكىّ الحسنىّ أمير مكة . وكان قبل موته نزل لولده السيِّد الشريف أحمد بن عَجْلان عن نصف إمْرة مكة التى كانت بيده ، فإنه كان قبل ذلك نَزَل له عن النِّصف الأوّل قديما وكان وَلِى إمْرة مكة غير مرة نحو ثلاثين سنة مستقلا بها مدّة وشريكا لأخيه ثَقَبة[2] مدّة وشريكا لأبنه أحمد هذا مدّة . وكانت وفاته فى ليلة الاثنين الحادى عشر من شهر جُمادى الأولى ودُفن بالمعلاة — رحمه الله — وقد قارب السبعين سنة من العُمر ، وكان ذا عقل ودَهاء ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة . وكان بخلاف آبائه وأقاربه يُحِبُّ أهلَ السُّنّة ويَنْصُرهم على الشِّيعة ورُبما كان يَذْكُر أنه شافعىّ المذهب ، وهذا نادرة فى السادة الأشراف ، فإنّ غالبهم زَيْدِيّة يتجاهرون بذلك . قيـل : إنه ذُكِر عنـده مرة معاوية بن أبى سُفْيان لينظروا رأْيَه فيه ، فقال عَجلان : معاوية شيخٌ من كِبار قريش لاح له المُلْك فتلقَّفَـــهُ .

قلت : لو لم يكن من محاسنه إلا اتّباعُهُ للسّنة النبوية لكفاه ذلك شرفا . وكان ممدوحا ، مدحه النَّشْو أحدُ شعراء مكة بقصيدة طَنَّانة أوّلها : [الكامل]

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٢٦٤) : « ابن أبى سعد على بن الحسن بن قتادة ... الخ » .

(٢) ثقبة (بفتح المثلثة وبعدها قاف مفتوحة كذلك وباء موحدة من تحت وهاء) هكذا ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى فى ترجمة ابنه أحمد (ج ١ ص ٦٢ ب) وكنا جرينا فى ضبطها فيما تقدم بضم الثاء وسكون القاف فليحرر وهو خطأ .

لولا الغَـرَامُ ووَجْدُهُ ونُحُـولُه * ما كنتَ ترْحَمُـه وأنت عَذُولُهُ
إن كنتَ تُنْكِرُه فَسَـلْ عن حالِهِ * فالحبُّ داءٌ لا يُفِيق عليـلُهُ
يا مَنْ يَلُومُ على الهَوى أهلَ الهوى * دَعْ لَوْمَهُم فالصـبرُ مات جميـلُهُ

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين أَسَنْبُغَا بن بَكْتَمُر الأبو بكرى فى يوم الأربعاء خامس المحرّم وكان من عظماء أمراء الديار المصرية ، كان خَصيصًا عند الملك الناصر محمد ابن قلاوون وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه . ثم تَرَقّى بعد موته حتى ولى الأمير آخورية الكبرى للسلطان حسن . ثم للأشرف . ثم ولى نيابة الإسكندرية . ثم نيابة حلب . ثم حُجُوبيّة الحجّاب بديار مصر وطالت أيامه فى السعادة وأظنّه صاحب الأَبُوبَكْرِية[(1)] داخل القاهرة . والله أعلم .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام المعتَقَد العالم العلّامة جمال الدين عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبى عبد الله بن يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق بن عبد الله بن محمد بن أَبَان بن عثمان بن عفّان — رضى الله عنه — فى يوم الأحد ثالث شهر جُمَادَى الأولى بخَلْوته بسطح جامع

(١) نعم هو صاحب المدرسة المذكورة ذكرها المقريزى فى خططه باسم المدرسة البوبكرية (ص ٣٩٠ ج ٢) فقال : هذه المدرسة بجوار درب العدّاس قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة . بناها الأمير سيف الدين أسنبغا ابن الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى الناصرى ووقفها على الفقهاء الحنفية وبنى بجانبها حوض ماء للسبيل وسقاية ومكتبا للأيتام وذلك فى سنة ٧٧٢ هـ وبنى قبالتها جامعا فمات قبل إتمامه . ثم لما كانت سنة ٨١٥ هـ جدّد بهذه المدرسة منبرا للخطبة وصار تقام فيها صلاة الجمعة وبذلك أصبحت مسجدا جامعا .

وأقول : إن هذه المدرسة الصغيرة الجميلة لا تزال باقية إلى اليوم وتعرف بجامع سنبو أغا تحريف أسنبغا ومشهورة عند العامة باسم جامع الشرقاوى نسبة إلى خطيبه الشيخ محمد الشرقاوى الذى مكث يخطب فيه مدة طويلة فعرف به وهو عامر بإقامة الشعائر بشارع درب سعادة بالقاهرة . وبوجهة هذا الجامع مكان حوض السبيل وهو الآن دكان وبجواره السقاية ولا تزال محتفظة بشكلها الجميل . وكان بها حوض معدّ لسقى الدواب ، ويعلو السبيل مكتب مركب على وجهة مشربية من أجمل المشربيات رسما وتركيبا .

الحاكم.(١) وكانت جنازته مشهودة جدا ، اجتمع فيها خلائق لا تحصى — رحمه الله — ومولده فى سنة أربع وتسعين وسبعمائة . وكان فقيها شافعيا صاحب فنون وعلوم .

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير قيران الحسامى ، كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية — رحمه الله تعالى — وكان كريما شجاعا مقداما وله وجاهة فى الدول وحرمة وافرة .

وتوفى تاج الدين أبو غالب الكلبشاوى(٢) الأسلمى القبطى ناظر الذخيرة فى نصف شهر شوال وإليه تنسب المدرسة المعروفة بمدرسة(٣) أبى غالب تجاه باب

(١) راجع الحاشية رقم (٣ ص ١٧٧ ج ٤) من هذه الطبعة . (٢) الكلبشاوى : نسبة الى بلدة "كلبشو" إحدى قرى مركز السنطة بمديرية الغربية بمصر ، وهى قرية قديمة وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى باسم مكليشو من أعمال جزيرة قويسنا . وفى التحفة السنية لابن الجيعان مكلبشو من أعمال الغربية . وفى الانتصار لابن دقماق كلبشو . وفى كتاب وقف السلطان قنصوه الغورى المحرر فى سنة ٩٢٢ هـ "كلبشا" وهو اسمها على لسان العامة . وفى تاريع سنة ١٢٢٨ هـ كلبشو وهو اسمها الحالى . وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أطيانها ١٥٥٤ فدانا ، وعدد سكانها حوالى ٤٥٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

(٣) هـذه المدرسة لم يفردها المقريزى فى خططه بذكر ، وإنما لما تكلم على مسجد باب الخوخة (ص ٤١٢ ج ٢) قال : إن هذا المسجد تجاه باب الخوخة بجوار مدرسة أبى غالب . ولما تكلم المقريزى فى كتاب السلوك على ترجمة أبى غالب فى وفيات سنة ٧٧٧ هـ قال : إن تاج الدين أبو غالب يعقوب الكلبشاوى القبطى الأسلمى تنسب اليـه المدرسة المعروفة بمدرسة أبى غالب تجاه باب الخوخة من ظاهر القاهرة ، وزاد على ذلك السخاوى فى كتاب التبر المسبوك (ص ١٥٣) قوله : إن هـذه المدرسة بجوار الزينية بالقرب من قنطرة الموسكى .

وبالبحث عن مكان مدرسة أبى غالب المجاورة لمسجد باب الخوخة الذى فى مكانه اليوم المدرسة الزينية التى تعرف بجامع القاضى يحيى زين الدين تجاه باب الخوخة وبالقرب من قنطرة الموسكى تبين لى أن مدرسة أبى غالب هى التى تعرف اليوم بجامع الحفنى بشارع جامع البنات بالقاهرة لتحديد موقعها فى هذا المكان .

وقد تكلم على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية على جامع الحفنى (ص ٩٩ ج ٤) فقال : إن الذى أنشأه هو الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة ١١٧٢ هـ . وأقول : إن عبد الرحمن كتخدا لم ينشئ هذا المسجد وإنما جدده . وأما الذى أنشأه فهو أبو غالب السالف الذكر ، وكان فى أول أمره مدرسة هى مدرسة أبى غالب بدليل قربها من باب الخوخة وجامع القاضى يحيى زين الدين وقنطرة الموسكى . ثم هناك دليل آخر وهو ما ورد فى بيت من الشعر منقوش على لوح من الرخام بأعلى باب الجامع نصه :

أحيا لنا الله بعد ما دثرا * تاريخه : مسجد الرحمن لا دثرا =

الخوخة[1] ظاهر القاهرة . وتُوفّى شيخ الكُتّاب غازى بن قُطْلُوبغَا التركى فى شهر رجب، وقد آنتهت إليـه الرياسة فى الخط المنسوب وتصدّر للإفادة سـنين عديدة وآنتشر خطه فى الآفاق .

وتُوفّى الشيخ نور الدين علىّ بن محمد بن محمد بن علىّ بن أحمد الكنانىّ العسقلانىّ الشافعىّ الشهير بآبن حجر والد الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر فى يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، وكان تاجرا بمدينة مصر القديمة، وتفقّه على مذهب الإمام الشافعىّ

= وعرف بجامع الحفنى أو الحفناوى نسبة الى الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوتى لأنّ داره كانت تجاور هذا الجامع، وكان ملازما للصلاة فيه فعرف به، مات سنة ١١٧٢ هـ ودفن بالقرافة . وهذا الجامع يرتفع عن سطح الأرض بعدة درجات وقد جدده ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٢٩٠ هـ وهو عامر بالشعائر بشارع جامع البنات كما ذكرنا .

وإنى أحمـد الله الذى وفقنى إلى كشف مكان مدرسة أبى غالب هـذه إذ لم يسبقنى أحد من الباحثين فى وقتنا الحاضر الى معرفة مكانها والكتابة عنها .

(١) هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها الغربى الذى أنشأه جوهر القائد ذكره المقريزى فى خططه (ص ٤٥ ج ٢) فقال : إنه أحد أبواب القاهرة مما يلى الخليج فى حدّها البحرى (وهو الغربى بحسب الوضع الطبيعى) . ثم قال : وكان يعرف أوّلا بخوخة أبى سعيد ميمون دبه أحد خدّام الخليفة العزيز بالله نزار الفاطمى ويسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودى . ولما تكلم المقريزى على بناء القاهرة وما كانت عليه فى عهد الدولة الفاطمية (ص ٣٦٠ ج ١) . قال : وكان فى الجهة الغربية من القاهرة باب سعادة وباب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد القائد جوهر . ومما ذكر يتضح أن الذى أنشأ باب الخوخة هو أبو سعيد ميمون دبه السالف ذكره حول سنة ٣٨٠ هـ أى فى عهد الخليفة العزيز بالله نزار .

وبما أنه قد ثبت لنا مما سبق ذكره أن مسجد باب الخوخة مكانه اليوم المدرسة الزينية التى تعرف بجامع القاضى يحيى زين الدين وهذا الجامع لا يزال قائما بشارع بين النهدين بالقاهرة فقد بحثنا تجاه هذا الجامع عن موقع باب الخوخة فتبين لنا أنه اندثر وكان واقعا على رأس شارع قبو الزينة من جهة شارع بين النهدين تجاه جامع القاضى يحيى زين الدين الذى يسميه العامة جامع الشيخ فرج لأن بأسفله قبر بهذا الاسم .

وكان هذا الباب يعرف بخوخة ميمون دبه ثم باب الخوخة أو بوابة بين النهدين أو قبـو الزينية لوقوعه تجاه المدرسة الزينية وهو الذى حرفته العامة إلى قبو الزينة ونقلته عنهم مصلحة التنظيم .

وأما قول المؤلف : «ظاهر القاهرة» فهو وصف صحيح لأن باب الخوخة كان بسور القاهرة فكل بناء يقع خارج الباب فى الفضاء الذى كان بين السور والخليج يعتبر «ظاهر القاهرة» أى خارجا عن حدودها الأصلية القديمة .

— رضى الله عنه — وحَفِظَ الحاوِى(١) وأخذ الفقه عن بهاء الدين محمد بن عَقيل — رحمه الله — وقال الشعر، ومن شعره يُشير الى المَتْجر : [المجتث]

إسكندرِيّة كم ذا * يسمو قُماشُك عِزّا
فطمتُ نَفْسِىَ عنها * فلستُ أطلُبُ بَزّا

وله أيضا : [الكامل]

يارب أعضاء السُّجودِ عَتَقْتَها * من فضلِك الوافِى وأنت الواقِى
والعِتقُ يُسْرَى بِالْغِنَى ياذا الغِنى * فامْنُنْ على الفانِى بِعتْقِ الباقِى

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا . والله أعلم .

* * *

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين على مصر وهى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وهى التى قُتل فيها فى ذى القعدة .

فيها تُ القاضى مُحبُّ الدين أبو عبد الله محمد ابن القاضى نجم الدين أبى المحاسن يوسف بن احمد بن عبد الدائم التَّيمىّ المصرىّ ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية بها فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ذى الحجة عن إحدى وثمانين سنة . وكان فى ابتداء أمره تولّى ديوان جَنْكَلى بن البابا ثم خدم عند الأمير مَنْكَلى الفخرىّ فكتب إليه الشيخ صلاح الدين الصَّفَدىّ يقول : [السريع]

مِن جَنْكَلى صِرْتَ الى مَنْكَلى * فكلُّ خيرٍ أرتَجِى منك لِى
وأنت لِى كهفٌ وما مَقصِدى * مِن هذِهِ الدنيا سِوى أنتَ لِى

(١) يريد الحاوى الكبير تأليف الإمام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى فى أربعة وعشرين مجلدا مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٨٣ فقه شافعى .

وكان القاضى محبُّ الدين المذكور رجلا صالحا فاضلا وله سماعٌ عالٍ وله مصنّفات — رحمه الله — منها « شرح التسهيل » [فى النحو][1] فى أربعة مجلدات و « شرح التلخيص فى المعانى والبيان » وغير ذلك .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة تقىّ الدين أبو الفداء إسماعيل بن نور الدين علىّ بن الحسن[2] القَلْقَشَنْدىّ الشافعىّ المصرىّ مفتى المسلمين بالقُدس الشريف عن نحو سبعين سنة وكان فقيهًا بَرَع فى عِدّة علوم وأفتى ودرّس واستقل . رحمه الله .

وتُوُفِّى الشيخ المُسْنِد المُعَمَّر الرُّحلة أبو حفص عمر بن الحسن بن مَزْيَد[3] الشهير بابن أُمَيلة المَرَاغىّ الحلبى ثم الدمَشْقىّ بها عن ثمان وتسعين سنة، بعد أن صار رُحْلَة زمانه وقُصِد من الأقطار للسماع عليه فسَمِـع منه خلائقُ كثيرة .

وتُوُفِّى الشيخ الأديب جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب المصرىّ ثم الحلبىّ بحلب، وقد قارب الخمسين سـنة وكان معدودا من الكُتّاب الأدباء الفضلاء، ومن شعره : [الطويل]

رِياضٌ جَرَتْ بِٱلظُّلمِ عادات رِيحِها * وسار بِغيرِ ٱلعدلِ فِى ٱلحُكمِ سيرُها
فَفَرّقتِ[4] ٱلاغصانَ عِنـد ٱعتِناقِها * وسَلْسَلَتِ ٱلانهـارَ إذ جنّ طيرُها

---

(١) تكملة عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٣٢ أ) .

(٢) رواية المنهل الصافى (ج ص ٢١٢ ب) : « ابن الحسين » .

(٣) فى الأصلين : «ابن مرثد» والتصويب من المنهل الصافى (ج ٢ ص ٤٧٢ ب) ومختصره : « الدليل الشافى على المنهـل الصافى ص ٨١ » للؤلف وهى نسخة فتوغرافية عن نسخة محفوظة بمكتبة قرة جلبى سليمانية باستامبول مخطوطة فى حياة المؤلف فى حدود سنة ستين وثمانمائة — وعليها تعليقات ترتفع الى سنة تسع وستين وثمـانمائة يظن أنها بخط المؤلف — وهى بخط يونس بن سودون الأوبكرى الملكى الظاهرى، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٨٩ ح .

(٤) رواية الدرر الكامنة (ج ٢ ص ١٥٢) : « ففارقت ... الخ » .

وتوفّى الأمير سيف الدين يعقوب شاه بن عبد الله الحاجب الثانى وأحدُ مُقَدّمى الألوف بالديار المصرية ، وكان ممن قام مع الملك الأشرف فى واقعة أستدمر وأظهر شجاعة عظيمة ، فقرّبه السلطان الملك الأشرف من ثَمّ ورقّاه وأنعم عليه ، حتى جعله من جملة الأمراء الألوف بالديار المصرية إلى أن مات — رحمه الله تعالى — .

وتُوفّى السلطان الملك الأفضلُ عباس ابن الملك المُجاهد على ابن الملك المؤيّد داود ابن الملك المظفّر يوسف بن عمر [بن على] (١) بن رَسُول التُّركمانى الأصل اليمنى صاحب اليمن وابن صاحبها — رحمه الله تعالى — فى شعبان ، وتسلطن بعده ولده السلطان الملك الأشرف إسماعيل ، وكان الملك الأفضل وَلِى السلطنة بعد موت أبيه المجاهد فى شهر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبعمائة . ولمّا وَلِى اليمن خرج فى أيامه ابنُ ميكائيل فوقع له معه وقائع ، حتى أباده الأفضل وزالت دولة ابن ميكائيل فى أيامه . وكان الأفضل — رحمه الله — شجاعا مهابا كريما وله إلمامٌ بالعلوم والفضائل ومشاركة جيّدة فى عدّة علوم وتصانيف منها : « كتاب العطايا (٢) السنية فى ذكر أعيان اليمنية » و « كتاب (٣) نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون » و « مختصر تاريخ ابن خلّكان » و « كتاب بُغية ذوى الهمم فى أنساب العرب والعجم » وكتاب آخر « فى الألغاز الفقهية » وغير ذلك . وكان فيه برٌّ وصدقة وله مآثر حسنة — رحمه الله تعالى —

(١) تكملة من المنهل الصافى (ج٢ ص٢٥٣ ب) . (٢) توجد منه فى دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة ضمن مجموعة فى مجلد مخطوط بقلم معتاد تحت رقم [٣٥١ تاريخ] .

(٣) هذا الكتاب ذيل على كتاب العطايا السنية ، ذكر فيه تراجم من أهمل ذكرهم فيه مرتب على الحروف ، اختصره من نيف وثلاثين كتابا فى التاريخ وذكر فى صدره أسماء الكتب التى استند عليها فى تأليفه . نسخة ضمن مجموعة فى مجلد مخطوط تحت رقمى (٣٥١ و ٤٦٦ تاريخ) .

بَنَى مدرسة عظيمة بتعزّ وله أيضا بمكّة مدرسة[1] معروفة به بالصفا . وقيــل : إن هذه التصانيف المذكورة إنما هى لقاضى تَعِز رضىّ الدين أبى بكر بن محمد بن يوسف الجرائى الصبرىّ[2] [النـاشرى] — رحمـه الله — عَمِـل ذلك على لسان الأفضل — والله أعلم — .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين جَرَكْتَمُر بن عبـد الله الخاصّكى الأشرفى أحد مقدّمى الألوف بالقاهرة مقتولا فى هذه السـنة وكان من خـواصّ الملك الأشرف هـذا ومن أجلّ ممـاليكه .

وتُوُفِّى السلطان الملك المظفّر فخر الدين داود ابن الملك الصالح صالح ابن الملك المنصـور غازى بن أَلْبِى بن تَمُـرتاش بن إيل غازى بن أُرْتُق الأُرْتُقىّ صـاحب مارِدين وآبن صاحبها بماردين فى هذه السنة ، بعد أن حكمها نحو عشرين سنة وتَولَّى سلطنة ماردين من بعده آبنه الملك الظاهر مجد الدين عيسى الآتى ذكره فى محلّه — إن شاء الله تعالى — وكان الملك المظفر هذا ولى ملك ماردين بعد آبن أخيه الملك الصالح محمـود الذى أقام فى سلطنة ماردين أربعـة أشهر عوضـا عن والده الملك المنصور أحمـد آبن الملك الصالح صالح وخُلِـع وتسلطن الملك المظفر هذا فأظهر العدل وآقتفى أَثَرَ والده الملك الصالح فى الإحسان إلى الرعية و إصلاح الأمور إلى أن مات — رحمه الله — .

---

(١) انظر أخبار المدرستين بتعز ومكة فى « العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية » تأليف أبى الحسن على بن الحسن الخزرجى المعروف بابن وهّاس المتوفى سـنة ٨١٢ هـ (ج ٢ ص ١٥٩) .

(٢) ساق نسبه صاحب الضوء اللامع فى ترجمة ابنه على [جـ ٥ ص ٢٠٥] أبو بكر بن على بن محمد ابن جابر بن سعد بن جرى بن ناشر الى أن قال و يعرف بالناشرى وكذلك المؤلف فى المنهل الصافى فى ترجمة على المذكور [ج ٢ ص ٣٨٢ ب] وفى شذرات الذهب [جـ ٧ ص ٢٥١] وكذلك السلوك فى وفيات سـنة ٨٤٤ هـ .

وتُوُفِّىَ فى هذه السنة جماعةٌ كبيرة من الأمراء الأشرفية ممن مرّ ذكرُهم فى أواخر ترجمة الملك الأشرف، قُتِلوا بالسيف عند كسرة الأشرف من العَقَبة[1]، وهم[2]: الأمير سيف الدين أَرْغون شاه بن عبد الله الجَمالىّ الأشرفى أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية وأجلّ أمراء الأشرف، بعد أن قَدِم معه من العَقَبة والأمير سيف الدين صَرْغتمش بن عبد الله الأشرفىّ رأس نوبة فى النُّوَب وأحد مقدّمى الألوف أيضا بالديار المصرية والأمير سيف الدين يَلْبُغا بن عبد الله السابقىّ الأشرفى أحد مقدّمى الألوف أيضا والأمير سيف الدين بَشْتَك بن عبد الله الأشرفىّ أحد مقدّمى الألوف أيضا وهو غير بَشْتَك الناصرى صاحب القَصْر[3] والحمّام[4] والأمير سيف الدين أرْغُون ابن عبد الله العِزّى الأشرفىّ الأفْرَم أحد مقدّمى الألوف أيضا وغيرهم من أمراء الطبلخانات والعشرات .

وهؤلاء الذين ذُكِروا هم أعيان الأشرفية القادمون صحبةَ أستاذهم الملك الأشرف من العَقَبة إلى مصر، قُتِلوا الجميع فى ساعة واحدة وأَتَوْا برءوسهم من قبة النصر إلى الأمراء الذين ثاروا بالقاهرة وهم يقولون: «صَلُّوا على محمّد» ووضعوها بين يديهم .

وقد تقدّم ذِكْرُ ذلك كلّه فى أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان، وتأتى بقيّة ما وقع فى ترجمة الملك المنصور على ابن الملك الأشرف شعبان هذا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وإصبعان . والله أعلم .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة (ص ٢٠٦) .

(٢) رواية «ف» : «وتوفى الأمير سيف الدين أرغون ... الخ» وما أثبتناه عن «م» : وهى الرواية الصحيحة . (٣ و ٤) القصر والحمام المذكوران سبق التعليق عليهما : الأول فى الجزء التاسع ص ١٤٩ والثانى فى الجزء العاشر ص ٧٥ من هذه الطبعة .

ذكر سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

السلطان الملك المنصور علاء الدين علىّ ٱبن السلطان الملك الأشرف زين الدّين شعبان ٱبن الأمير الملك الأمجد حسين ٱبن السلطان الملك الناصر محمد ٱبن السلطان الملك المنصور قلاوون الألفىّ الصالحىّ وهو السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، تسلطن فى حيـاة والده حسب ما تقـدّم ذكره أنّ الأمير قَرَطاى وطشتمر اللّفّاف وأينبك البدرىّ لمّـا ثاروا بمن معهم بالدّيار المصرية ، وطلعوا إلى القلعة وأخذوا أمير علىّ هذا من الدور السلطانية وسلطنوه فى حياة والده أرادوا بذلك انضمام الناس عليهم فإنهم كانوا أشاعوا موت الملك الأشرف شعبان فى العقبة حتى تمّ لهم ما أرادوه وسلطنوا أمير علىّ هـذا من غير حضور الخليفة والقُضاة فإنهـم كانوا صُحبة السلطان الملك الأشرف بالعقبة فلمّا زالت دولة الملك الأشرف وقُبِض عليه وقُتِـل ثم حضر الخليفة المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد من العقبة وكان القضاة بالقُـدس الشريف توجّهوا إليه من العقبة بعـد واقعة الملك الأشرف وهروبه الى مصر .

فلما كان يوم الخميس ثامن[1] شهر ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وذلك بعد قتل الملك الأشرف شعبان بثلاثة أيام، اِجتمع الأمراء القائمون بهـذا الأمر بالقلعة وٱسـتدعوا الخليفة ومَنْ كان بمصر من القضاة ونوّاب من هو غائب من القضاة بالقدس وحضر الأمير آقتمر الصاحبىّ نائب السلطنة بالديار المصرية وقعدوا الجميع بباب الآدر[2] الشريفة من قلعة الجبل وجدّدوا البَيْعَة بالسلطنة للملك المنصور علىّ هذا بعد وفاة أبيـه الملك الأشرف وقَبِـل له البيعة آقتمر الصاحبىّ المذكور

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٢٨٧) : « أنه أقم فى الملك يوم السبت ثالث ذى القعدة » .

(٢) هـذه اللفظة سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

وألبسوه السواد خلعة السلطنة وكانت فرجيّة حرير بَنَفْسجيّ بطرز ذهب وبدائرها تركيبة زَرْكش بحاشية حرير أزرق خطائى وشاش أسود خليفتى وقبعا أسود بعذبة خليفتيًّا زَرْكش. وركب بأبّهة السلطنة وشعار المُلك من باب الستارة[1] والأمراء مشاة بين يديه إلى أن وصل إلى الإيوان[2] وجلس على تخت المُلك فى يوم الخميس المذكور وقبّلت الأمراء الأرض بين يديه وحلفوا له على العادة وأُخْلِع على الخليفة وعلى الأمراء وعلى مَنْ له عادة بلُبْس الخِلَع ومُدّ السّماط وكان عُمْرُ السلطان الملك المنصور يوم تسلطن نحو سبع سنين تخمينا .

ثم قام الملك المنصور من الإيوان ودخل إلى القصر وأخلع على الأمير طَشْتَمُر اللفّاف [المحمدى[3]] باستقراره أتابَك العساكر بالديار المصرية وأنعم عليه بكل مال أَرْغُون شاه الأشرفىّ بعد قتله ، وخَلَع على الأمير قَرَطاى الطازىّ واستقرّ رأسَ نَوْبة كبيرا وأَطابَكًا[4] وأنعم عليه بكل مال صَرغَتمش الأشرفىّ بعد قتله أيضا ، ورَسم لهما أيضا أن يجلسا بالإيوان فى الميمنة ، وخَلَع على أَسَنْدَمُر الصَّرغتمشىّ وآستقرّ أمير سلاح ورَسَم له أن يجلس فى الميسرة ، وخلع على قُطْلُوبغا البَدْرىّ وآستقرّ أمير مجلس وخلع على طَشْتَمُر[5] العلائى الدوادار وآستقرّ فى نيابة دمشق ورَسَم له أن يخرج من يومه وخلع على إياس الصرغتمشىّ وآستقرّ دويدارا كبيرا عوضا عن طشتمر العلائىّ بإمرة طبلخاناه . ثم أنعم على أينبك البدرىّ وآستقر أمير آخور كبيرا وبلاط السيفىّ أُلجاى الصغير ودِمِرداش اليُوسفىّ وآستقرّ رأس نوبة ثانيا — وهذه الوظيفة هى الآن

(١) باب الستارة سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٤٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٢٩٠) .

(٤) المراد بأطابكا أمير ذو إمرة ، وهو لقب تشريف ، انظر صبح الأعشى (ج ٤ ص ١٨) .

(٥) انظر ترجمته فى المنهل الصافى ج ١ ص ٢٢٨ (أ) وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٦ هـ .

وظيفة رأس نوبة النُّوب فى زماننا هذا ــ ويلبغا النظامىّ وألْطُنْبغا السلطانىّ ، وكان الجميع أجنادا ماعدا أيْنَبَك البدرىّ فإنه كان أمير طبلخاناه وطَشْتَمُر اللفّاف فإنه كان أمير عشرة فانتقل للأتابكيّة دفعة واحدة وأنعم على جماعة بإمرة طبلخاناه ، وهم : الأمير طُغَيْتمر الناصرىّ وقُطْلُوبغا البَيْسَرىّ و بِيَجا الكاملىّ وصَرْبُغا الناصرىّ وطُولُو الصَّرغتمشىّ وأُطْلَمش الأرْغُونىّ ومُقبل الرومىّ وأَلْجِيبُغا السيفىّ أُلجاى وقُطْلُوبُغا النظامىّ وأحمد بن يمـر[1] التُّرْكُمانىّ وقُطْلُوبَجا أخو أَيْنَبَك البدرىّ وتَمربُغا البدرىّ وألْطُنْبُغا المعلِّم[2] وتُلُكْتمُر[3] بن عبدالله المنصورىّ وأسَنْبَغ الصارمىّ وأطْلَمش الطازىّ و إبراهيم بن قُطْلُقْتَمُر العـلائى وأُرُنبغا السيفىّ أُلْجِيبُغا وعلىّ بن آقْتَمُر عبد الغنىّ وأَسَنْبُغا النظامىّ ومأمور القلمَطاوىّ .

وأنعم على جماعة بإمرة عشرات وهم : تَكَا الشمسىّ ومحمد بن قَرَطاى الطازىّ وخضر بن أَلْطُنْبُغا السلطانى ومحمد بن شـعبان بن يَلْبُغا العمرىّ وأسَنْبُغا المحمودىّ وطُبُج المحمدىّ وأَلْطُنْبُغا شادى وسُـودون العثمانىّ شادّ السـلاح خاناه وتُلُكْتَمُر المنجكىّ وآقبغا السيفىّ أُلجاى وجَرْكَس السَّـيفىّ أُلجاى وطُقْتَمِش السيفىّ يلبغـا وطُوغان العُمَرىّ الظهيرىّ و بَكْلَمُش الإبراهيمىّ ويَلْبُغَا العلائى دوادار أمير علىّ النـائب و يوسف بن شادى أخو حاج ملك وخِضْر الوسولىّ وأسَـنْدَمُر الشرفىّ ومُغلطاى الشرفىّ وخليـل بن أَسَنْدَمُر العـلائىّ ورمضان بن صرغتمش وحسن أخو قُطْلُوبُغا حاجّى أمير علم ومَنْكَلى الشمسىّ وأُلجيبغا السيفىّ جَنْقَرا .

ثم رُسِم بالإفراج عن جماعة من السجن بقلعة الجبل فى يوم السبت عاشر شهر ذى القعدة وهم : الأمير آقْتَمُر عبد الغنى نائب السلطنة بديار مصر ونائب الشام كان

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٢٩١) : « وأحمد بن همر »

(٢) فى السلوك المصدر المتقدّم : « العلم » . (٣) فى السلوك المصدر المتقدّم : « بكتمر » .

والأمير عَلَم المحمدى، وأَيْدَمُر الشمسى، وسودُون جَرْكس المَنْجكى، وطيبغا الصَّفَوى، أَلْجاى[(1)] ومُغلطاى البدرى، الجمالى، وصَرْبُغَا السيفى، وطَشْتَمُر الصالحى، و بلاط الكبير السيفى، ألجاى وحَطَط اليَلْبغاوى، و إياس المـارِدينى، وبَلُوط الصَّرغتمشى، و يلبغـا المَنْجكى، وقرابغا أبو جَرْكَتَمُر[(2)] وحاجى، خَطاى والد غريب. ثم من الغد أُمِر بمسكهم ثانيا وتقييدهم و إرسالهم إلى سجن الإسكندرية فقُبِض عليهم وأُرسلوا فى تلك الليلة ما خلا آقْتَمُر عبد الغنى، وسودُون المَنْجكى،[(3)] .

ثم فى يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة قَبَضُوا على جماعة من مُباشرى الدولة وطلعوا بهم إلى القلعة وهم: الصاحب الوزير شمس الدين المقسى وتاج الدين موسى ناظر الخواصّ الشريفة وأمين الدّين وعلاء الدّين بن السائس وشهاب الدين آبن الطُّولونى وأُدخِلُوا قاعة الصاحب[(4)] وصُودِرُوا حتى قُرِّر عليهم ما يقومون به من الأموال ثم أُفرِج عنهم .

ثم أُحْضِر الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام من الإسكندرية وصُودِر وقُرِّر عليه ألفُ ألف درهم ثم خُلِع عليه باستقراره فى نيـابة الإسكندرية على عادته .

ثُمّ مَسكوا من الطواشـية والخدّام جماعةً كبيرة ، وهم : مختصّ الأشرفى، وجَوْهر الإسكندرى، وسُنْبُل رأس نوبة الجَمدارية وأُدْخلوا قاعة الصاحب .

ثم أصبحوا من الغد قَبَضوا على جماعة أُخر وهم : دينار اللّالا وشاهين دست وسُنْبُل اللّفاف أحد الجَمدارية وأُدخلوا أيضا إلى قاعة الصاحب. ثم أصبحوا من الغد ورسموا لمثقال الجمالى، الزِّمام بحمل ثلاثمائة ألف درهم ، ثم آستقرّت مائة ألف درهم.

---

(١) فى (م) : « الحالى » .

(٢) فى (ف) : « أبو جركتمر » وفى السلوك للمقريزى (ج ٣ ص ٢٩٣) والد جركتمر .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٢٩٣) : سودون جركس » .

(٤) سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٣٧ من الجزء من هذه الطبعة .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشر ذى القعدة خُلِع على الأمير آقتمر الصاحبىّ[1] وآستقرّ على نيابة السلطنة بالدّيار المصرية، كما كان فى أيام الملك الأشرف شعبان، وفُوِّض إليه أن يُخرِج الإقطاعات للأمراء والأجناد والنوّاب وألّا يكون لأحد معه تَحكُّم وذلك بعد أن رَضيت الأمراء والخاصّكية والبرّانيّون بذلك .

ثم أخلع على الأمير أَرْغُون الإسْعِردىّ بنيابة طرابُلُس عوضا عن الأمير مَنْكَلى[2] بغـا الأحمدىّ البلدىّ . ثم أُخْلع على القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السرّ باستمراره على وظيفته .

ثم أخلع على الصاحب تاج الدين المَكّىّ بإعادته إلى الوزارة ثانية وهى وزارته الرابعة وأُخلِـع على القاضى كريم الدين بن الرُّوَيْهِب باستقراره ناظر الدولة وآستقرّ القاضى تقىّ الدين عبـد الرحمن آبن القاضى محب الدين محمـد فى نظر الجيوش المنصورة عوضا عن والده محبّ الدين المذكور بحكم وفاته .

ثم شَرَع الأمراء فى النفقة على المماليك السلطانية فأعطُوا كلّ نَفَر عشرةَ آلاف درهم . وفى ثانى عشر شهر ذى الحجة قُرِئ تقليدُ السلطان الملك المنصور على بالإيوان من قلعة الجبل وعَلَّم عليه الخليفة المُتوكّل على الله وشَهِدت عليـه القضاة بتفويض السلطنة للملك المنصور وخُلـع على الخليفة وأُنعِم عليه بألف دينار وهى رَسْمُ المبايعة .

ثم بعـد أيام دَخَل أَسَنْدَمر الصرغتمشىّ ودِمرْداش اليُوسفىّ إلى الدُّور السلطانيّة وفرّقوا جَوارِىَ الملك الأشرف شعبان على الأمراء .

ثم آستقرّ فى خامس المحرّم من سنة تسع وسبعين وسبعمائة الأمير قَرطَاى الطازِىّ أتابكًا بعـد موت طَشْتَمُر[3] اللَّفَّاف وأُخلع عليه بعـد أيام بنظر البيمارستان

(١) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٣٨ ب) وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٧٩ هـ .
(٢) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٦٧ أ) وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٢ هـ .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

المنصورى" وأخلع على الأمير مُبارك الطازى" وآستقرّ رأس نَوْبة كبيرا عوضا عن قرطاى المذكور . ثم بعد ذلك بمدّة يسيرة آستقرّ الأمير أَيْنَبَك البدرِىّ الأمير آخور الكبير فى نظر البيمارستان ، عوضا عن قَرطاى برغبة قرطاى عنـه وآستقرّ سُودُون جَرْكس أُستادارا .

٥ ثم فى العشرين من المحرّم خُلع على الأمير سودون الفخرى" الشّيخونى" وبَلُّوط الصرغتمشى" وآستقرّا حاجبَيْن بالديار المصريّة .

ثم فى صـفر حضر الأمير يلبغا الناصرى" إلى القاهرة وكان قد نفى إلى بلاد الشام ، بعد قتـل السلطان الأشرف فأُنْعِم عليه بإمرة طبلخاناه. وكانوا أيضا قبـل تاريخه قـد عَزَلُوا الأمير مَنْكَلِى بغا الأحمدى" عن نيـابة طَرابُلس وتَمُرباى نائب ١٠ صَفَد عن نيابة صفد لجاء الخبر بأنّ مَنْكَلِى بغا حَلّ سيفَه وأطاع وأنّ تَمُرباى عَصَى وآمتنع بصَـفَد فخلع على الأمير أرغون الإسعردى" ثانيـا بنيابة طرابلس عوضا عن منكلِى بغا المذكور وتولى نيابة حماة تمراز الطازى" .

ثم فى هذه الأيام بدت الوحشة بين قَرطاى الطازى" الأتابك وبين صهره أَيْنَبَك البَدْرِى" الأمير آخور الكبير فى الباطن ، كلُّ ذلك فى هـذه المدّة اليسيرة وصار كلّ ١٥ واحد يُدبِّر على الآخر مع أصحابه وحواشيه ، فلمّا كان يوم الأحد العشرون من صفر عَمِل الأمير الأتابك قَرطاى وليمةً فأهدَى له أَيْنَبَك مشروبا يقال له الشُّشُش[1] وعَمِل فيه بَنْجًا ، فلمّا شَرِبه قرطاى تَبَنَّج ، وكان لأينبك عند قرطاى عُيونٌ فأخبروه أنّه تبنج فركب أينبك من وقته بالسلاح ومعه جماعة كبيرةٌ ملبسين وأنزل السلطان الملك المنصور عليّا إلى الإسطبل السلطانى" ودُقَّت الكوسات لجاءت الأمراء إلى السلطان ٢٠ وأقامَ أَيْنبك راكبا من عصر يوم الأحد إلى صبيحة يوم الآثنين ، وسـببه أنه كان

(١) الشُّشُش : ضرب من المسكر مثـل البشتكى والتمربغاوى وانظر ص ٧٩٨ ، ٧٩٩ من الجزء السادس من هذا الكتاب طبعة كاليفورنيا .

عنـد قَرطَاى فى بيته جماعةٌ من الأمراء من أصحابه : منهم سُودون جَرْكَس وأَسَنْدَمر الصرغتمشىّ وقُطْلُوبُغَا البدرىّ وقطلوبغا جَرْكَس وأمير سلاح ومبارك الطازىّ رأس نَوْبة كبير وجماعةٌ أُخَر من أمراء الطبلخانات والعشرات فركبوا الجميع ومنعوا أينبك من الوصول إلى قرطاى وحَمَوْه إلى أن آستفاق قرطاى من سُكْره وقد ضَعُف أمر أصحابه وقَوِى أمرُ أينبك، فبعث قرطاى يسأل أينبك أن يُنْعِم عليه بنيابة حلب ويُرْسِلَ إليه مِنْديل الأمان، فأجابه أينبك إلى ذلك فخرج قرطاى من وقته إلى سِرْياقوس[1] وقَبَض أينبك على من كان عند قَرطَاى من الأمراء فإنّهم كانوا قاتلوه[2] وأبادوه من أخذ قرطاى وقيّدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية فسُجِنوا بها . ورُسِم للأمير آقتمر الصاحبىّ نائب السلطنة بمصر بنيابة دِمَشق عوضا عن طَشْتَمُر العلائىّ الدوادار فلبس آقتمر الخلعة وخرج من وقته ونُودِى بالقاهرة ومصر فى الوقت بالأمان ومن كان له ظُلامة ، فعليه بباب المقرّ الأشرف العزىّ الأتابك أَيْنَبَك البدرىّ وسافر قرطاى . فلمّا وصل إلى غَزَّة نُفِىَ إلى طَرَابُلُس . ثم حُمِل منها إلى المَرْقَب[3] فحُبِس به ثم خُنِق بعد مدّة يسيرة وصَفا الوقت لأينبك فأخلع السلطان عليه خِلعة سنيّة فى خامس عشرين شهر صفر بآستقراره أتابك العساكر ومُدَبِّر الممالك وخَلَع على الأمير آقْتُمر عبد الغنى وآستقرّ نائب السلطنة بالديار المصريّة عِوَضًا عن الأمير آقتمر الصاحبىّ المُنتَقِل إلى نيابة دِمَشق وكلاهما قديمُ هِجْرة من أكابر الأمراء المشايخ .

وآستقرّ الأمير بهادر الجمالىّ أستادارا عوضا عن سودون جَرْكَس وآستقرّ بلاط السيفى أُلْجاى أمير سلاح، عوضا عن قطلوبغا جركس وآستقرّ أُلْطُنْبغا السلطانىّ أمير مجلس وآستقرّ دِمرداش اليوسفىّ رأس نوبة كبيرا .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ص ٣٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة

وأُنعم على يَلْبغا الناصرىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف وآستقرّ رأس نوبة ثانيا ويلبغا الناصرىّ هذا هو صاحب الوقعة المشهورة مع السلطان الملك الظاهر برقوق و إلى الآن برقوق لم يتأمّر عشرة .

ثم أُنعِم على أطلمش الأَرْغونىّ بإمرة طبلخاناه وآستقرّ دوادارا كبيرا عوضا عن إياس الصرغتمشىّ وأُخلع على قُطْلوبَغا وآستقرّ أمير آخور كبيرا عوضا عن أخيه أينبك البدرىّ وصار الأمر فى المملكة لأينبك البدرىّ وحدَه من غير منازع وأخذ أينبك فى المملكة وأعطى وحكم بما آختاره وأراده، فمن ذلك أنه فى رابع شهر ربيع الأوّل رَسم بنفى الخليفة المتوكّل على الله تعالى إلى مدينة قُوص فخرج المتوكل على الله ثم شُفِع فيه فعاد إلى بيته ومن الغد طَلَب أينبك نجمَ الدين زكريا بن إبراهيم آبن الخليفة الحاكم بأمر الله وخلع عليه وآستقرّ به فى الخلافة عوضًا عن المتوكّل على الله من غير مبايعة ولا خلع المتوكل من الخلافة نفسَه، ولُقِّب زكرياء المذكور بالمعتصم بالله . ثم فى العشرين من شهر ربيع الأوّل المذكور تكلّم الأمراء مع أينبك فيما فعله مع الخليفة ورغّبوه فى إعادته فطلبه وأخلع عليه على عادته بالخلافة وعَزَل زكرياء . ومن الناس من لم يُثْبِت خلافة زكريا المذكور ، فإنّه لم يَخْلع المتوكل نفسه من الخلافة حتى يبايع زكريا المذكور .

ثم بدا لأَيْنَبك أن يُسْكِن جماعةً من مماليكه بمدرسة[1] السلطان حسن وبمدرسة[2] الملك الأشرف شعبان ويجعل فى كل مدرسة مائة مملوك . ثم أَعْطَى أينبك لولديه تقدمتى ألف وهما الأمير أحمد وأبو بكر . ثم نَفَى أرغُون العثمانىّ إلى الشام بطالا وخلَعَ على مُقْبِل الدوادار الطواشىّ الرومىّ وآستقرّ زماما بالآدر الشريفة عوضا عن

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٧ من هذا الجزء .

مثقال الجمالىّ[1] . ثم خلع على بهادر الجمالىّ الأستادار وآستقرّ فى نظر البيمارستان المنصورىّ .

وبينما أينبك فى أمره ونهيه ورد عليه الخبر بعصيان نوّاب الشام ففى الحال علّق أينبك جاليش[2] السفر فى تاسع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور ورسم للعساكر بالتجهيز إلى سفر الشام وأسرع بالنفقة على العساكر وتجهّز فى أسرع وقت وخرج الجاليش من القاهرة إلى الريدانية[3] فى سادس عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور وهم خمسة من أمراء الألوف أوّلهم : قُطْلوتَمُجا الأمير آخور الكبير أخو أينبك الأتابك وأحمد ولده ويلبغا الناصرىّ والأمير بلاط السيفىّ ألجاى وتمُر باى الحسنىّ . ومن الطبلخانات بُورِى الأحمدىّ وآقبغا آص الشيخونىّ فى آخرين ومائة مملوك من المماليك السلطانية ومائة مملوك من مماليك الأتابك أينبك .

وفى تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور من سنة تسع وسبعين وسبعمائة خرج طُلْب السلطان الملك المنصور وطُلْب الأتابك أينبك البدرىّ وأطلاب بقيّة العساكر من الأمراء وغيرهم إلى الرَّيْدانية فأقاموا بالريدانية إلى يوم السبت مستهلّ شهر ربيع الآخر استقلّوا بالمسير قاصدين البلاد الشامية، وساروا حتى وصلوا بلبيس[4] رجعوا على أعقابهم بالعساكر إلى جهة الديار المصرية .

وخبرُ ذلك أن قطلوتمجا أخا أينبك مقدّم الجاليش بلغه أن الجماعة الذين معه مخامرون وأنهم أرادوا أن يكبسوا عليه فآستقصّ الخبر حتّى تحقّقه فركب من وقته وساعته وهرب فى الحال وهو فى ثلاثة أنفس عائدا إلى أخيه أينبك فآجتمع به وعرّفه

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) يطلق الجاليش على الراية وعلى مقدمة الجيش . انظر السلوك طبعة زيادة (ص ١٢٤ ، ٦٩٢ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥) .
(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث يوجد لها شرح واف .
(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

الخبر ففي الحال أخذ أينبك السلطان ورجع به إلى نحو القاهرة حتّى وصلها في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر وطلع به إلى قلعة الجبل وأنزل الأتابك أينبك السلطانَ الملك المنصور إلى الإسطبل السلطانيّ وجاءه بعض أمراء من أصحابه ثم أخذ أينبك في إصلاح أمره وبينما هو في ذلك بلغه أن الأمير قُطْلُقْتَمُر العلائيّ الطويل والأمير أَلْطُنْبُغَا السلطانيّ وكانا رجعا معه من بلبيس، ركبا بجماعتهما في نصف الليل ومعهما عدّة من الأمراء وسائر المماليك السلطانية وخرج الجميع إلى قبّة النصر[1] موافقة لمن كان من الأمراء بالجاليش المقدّم ذكره، فجهز أينبك الأمير قطلوبغا في مائتي مملوك لقتال هؤلاء، فخرج بهم قطلوبغا إلى قُبّة النصر، فتلقاه القوم وحملوا عليه فانكسر ومُسِك.

فلما بلغ أينبك ذلك جهّز الأمراء الذين كانوا بقلعة الجبل وأرسلهم إلى قبة النصر وهم: آقْتَمُر من عبد الغنيّ نائب السلطنة وأَيْدَمُر الشمسيّ وبهادُر الجماليّ الأستادار ومُبارك الطازيّ. هذا وقد ضَعُف أمر أينبك المذكور وخارت قواه، فإنّه بلغه أن جميع العساكر اتّفقت على مخالفته حتى إنه لم يعلم مَنْ هو القائم بهذا الأمر لكثرة مَنْ خرج عليه، فلمّا رأى أمره في إدبار ركب فرسه ونزل من الإسطبل السلطانيّ من غير قتال وهرب إلى ناحية كيمان مصر فتبعه أيدمر الخطائيّ وجماعةٌ من العسكر فلم يقف له أحدٌ على أثر، كلُّ هذا وإلى الآن لم يجتمع مَنْ بالجاليش مع مَنْ هو بقُبّة النصر من الأمراء، غير أنّ الفِتْنة قائمة على ساق والغَوْغاءَ ثائرةٌ والسعد قد زال عنه من غير تدبير ولا عَمَل واختفى أينبك بتلك الجهة ثم وجدوا فرسه وقَبَاءه ولُبْسه، ولمّا استولت الأمراء على القلعة على ما سنحكيه — إن شاء الله تعالى — بعد أن نذكر قتلة أينبك المذكور ألزموا والي القاهرة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا.

ومصر بإحضاره فنُودِى عليـه بالقاهرة ومصر وهُدِّد مَنْ أخفـاه بأنواع النَّكَال، فخاف كلُّ أحد على نفسه من تقريبه، فلم يجِد بُدًّا من طلب الأمان من الأمير يَلْبُغا الناصرىّ الآتى ذكره، فأمّنه بعد مدّة فطلَع أَيْنَبَك اليه فحـال وقع بَصَرُ القوم عليه قَبَضُوه وأرسلوه مقيَّدا إلى سجن الإسكندرية وكان ذلك آخِرَ العَهْد به ، كما سيأتى ذكره بعد آستيلاء الأمراء على القلعة . قلتُ "وكما تَدين تُدَان" . وما من طالم إلّا سيبلى بظالم .

وفى أَيْنَبَك هذا يقول الأديب شهاب الدين بن العَطّار : [المنسرح]

من بعـدِ عِزٍّ قد ذَلَّ أَيْنَبَكا * وآنحطَّ بعد السُّمُوّ مَنْ فتكا

وراح يبْـكِي الدماءَ منفرِدًا * والناس لا يعرِفون أيْنَ بَكَى

وأمّا الأمراء فإنهم لمّـا بلَغهم هروبَ أَيْنَبَك من قلعة الجبل رَكِبوا الجميع من قُبّة النصر وطلعوا إلى الإسطبل(١) السلطانىّ من القلعة وصار المتحدّث فيهم قُطْلُقْتَمُر العـلائى الطويل وضربَ رَنْكه(٢) على إسطبل شيخون(٣) بالرمـيلة تجاه باب السلسلة وأقام ذلك اليوم متحدثا ، فأشار عليه مَنْ عنده من أصحابه أن يُسلطن سلطانا كبيرا يرجع الناس إلى أمره ونهيه، فلم يفعله وقال: حتّى يأتى إخواننا، يعنى الأمراء الذين كانوا بالجاليش مع قطلوبغا وهم الذين ذكرناهم فيما تقدّم عند خروج الجاليش ومعهم من الأمراء الطبلخانات والعشرات جماعة : منهـم بَرْقُوق العثمانىّ اليلبغاوىّ و بركة الجُوبانىّ اليَلْبُغَاوىّ وكان أَيْنَبَك قد أنعم على كل واحد منهما بإمرة طبلخاناه، بعد واقعة قَرَطاى دفعة واحدة من الجندية ، قبل خروج السفر بأيام قليلة وهذا أوّل

(١) راجع الحاشية رقم ٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد له شرحا وافيا .

(٢) الرنك : الشعار . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة

(٣) إسطبل شيخون هو بذاته دار شيخون التى تكلمنا عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ٣٠٤ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

ظهور برقوق وبركة في الدّول ثم حضرت الأمراء الذين كانوا بالجاليش إلى الإسطبل السلطانيّ وهم جمعٌ كبير ممّن أنشأه أينبك وغيرهم وتكلّموا فيمن يكون إليه تدبير الملك وآشتوروا في ذلك فاختلفوا . في الكلام وظهر للقادمين الغدر ممّن كان بالإسطبل السلطانيّ ممّن ذكرناه ، فقبَضُوا على جماعة منهم وهم : قُطْلُقْتَمر العلائيّ الطويل المذكور الذي كان دبّر الأمر لنفسه وأُلْطُنْبُغا السلطانيّ ومبارك الطازيّ في آخرين وقُيِّـدوا الجميع وأرسلوا إلى الإسكندرية صحبة جمال الدين عبـد الله بن بَكْتَمُر الحـاجب وآتّفقوا على أن يكون المتكلم في المملكة الأمير يَلْبُغـا الناصريّ ، فصار هو المتحدّث في أحـوال الملك وسَكَن الإسطبل السلطانيّ وأرسل بإحضار الأمير طَشْتَمر العلائيّ الدوادار نائب الشام .

ثم في يوم الأحد تاسع شهر ربيـع الآخر لمّا تزايد الفحص على أَيْنَبَك حضر أينبك بنفسه إلى عند الأمير بلاط فطلع به بلاط إلى يلبغا الناصريّ بعد أن أخذ له منه الأمان حسب ما تقـدّم ذكره ، فلم تطل أيام يلبغـا الناصريّ في التحدث وظهر منه لِينُ جَنْب ، فآتّفق برقوق وبركة وهما حينذاك من أُمراء الطبلخاناتت ، لهم فيها دون الشهرين مع جمـاعة أُخر وركبوا في سادس عشر شهر ربيع الآخر المذكور وركبت معهـم خُشْداشِيّتُهم من المـاليك اليلبغاوية ومسكوا دِمرداش اليوسفيّ وتَمُرباى الحَسَنيّ وآقبغا آص الشيخونيّ وقُطْلُوبغا الشعبانيّ ودِمِرْداش التمـان تمريّ المعـلّم وأَسَندمر العثمانيّ وأَسَنْبُغا تُلَكي وقَيَّدوا وأُرسِـلوا إلى سجن الإسكندرية فسُجنوا بهـا . وقد أضربنا عن أشياء كثيرة من وقائع هـذه الأيام لآختلاف نَقْول النـاس فيها ، لأنّ غالب مَنْ وثب وأثار الفتنة من واقعة الملك الأشرف شعبان إلى هذه الأيام كان فيما قيل في العام المـاضي إمّا جنديا و إمّا أمير

عشرة لا يُعرَف من أحواله إلا القليل وأيضا لم يكن فى هــذه الواقعة رجلٌ عظيم له شأن قام بأمر وتبعته الناس ، بل كل واقعة من هؤلاء تكون فيها جماعة كبيرة، كلٌّ منهم يقول : أنا ذاك ! ولهذا آختلفت النقول. وقد ذكرنا المقصود من ذلك كلّه وما فيه كفاية . إن شاء الله تعالى .

ولنشرع الآن فى سياق ما وقع فى أيام الملك المنصور — إلى أن يتوفّى إلى رحمة الله تعالى — فنقول :

ثم فى النهار المذكور (أعنى اليوم الذى مُسِك فيــه الأمراء) قُبِض أيضا على الطواشى مختار الحسامىّ مقدّم المماليك السلطانية وحُبِس بالبُرج[(١)] من القلعة ثم أُفرِج عنه بعد أيام قلائل وأُعيد إلى تقدمة المماليك على عادته. ثم بعد مدّة يسيرة آستقرّ برقوق العثمانىّ اليلبغاوىّ أمير آخور كبيراً دَفْعة واحدة وسكَن بالإسطبل السلطانىّ وأنزل معه الأمير يلبغا الناصرىّ وآستقرّ الأمير زين الدين بركة الجوبانى اليلبغاوىّ أمير مجلس . ثم حضر الأمير طَشْتَمر الدوادار نائب الشام إلى الديار المصرية بطلب من يلبغا الناصرىّ لمــا كان متحدّثا فى أمور المملكة ، فخرج السلطان الملك المنصور وسائر الأمراء لتلقيه إلى الرَّيْدَانيــة[(٢)] خارج القاهرة ، فلمّا رأى السلطانَ نزل عن فرسه وقبّل الأرض بين يديه وبكى وطلع فى خدمة السلطان إلى القلعة وخُلِع عليه بآستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية وحَضَر مع طَشْتَمر من الشام الأمير تمرباى التمرتاشىّ والأمير تَغْرى بَرْمش وسُــودون الشيخونىّ وكان أينبك قد نقله إلى الشام والأمير طَقَطمش ونزل طَشْتَمر إلى بيت شيخون بالرُّمَيْـلة وسكن به ليحْكُم بين الناس .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا للريدانية .

فلمّا كان فى ثالث جُمادَى الأولى أَمَر طشتمر أن يُنادَى بالقاهرة ومصر «مَن كان له ظُلامة فعليه بباب المقرّ الأشرف طشتمر العلائىّ» .

ثم فى خامس جمادى الأولى المذكور أخلع السلطان على تمر باى التمرداشىّ باستقراره رأس نَوبة كبيرا عوضا عن دمرداش اليوسفىّ وخلع على برقوق العثمانىّ باستمراره على وظيفة الأمير آخورية وعلى بركة الجُوبانىّ باستمراره فى إمرة مجلس وأُنعِم على الأمير أَطْلَمَش الأرغونىّ بتقدمة ألف واستقرّ دوادارا كبيرا واستقرّ يلبغا المَنْجَكىّ شادا لشراب خاناه ورسم للأمير بلاط أمير سلاح أن يجلس بالإيوان ثم استقرّ دينار الطواشى الناصرىّ لالا السلطان الملك المنصور عوضا عن مُقبل الكَلْبَكىّ بحكم نفيه .

وفى سلخ جمادى الآخرة عُزِل الأمير آقتمر عبد الغنىّ من نيابة السلطنة بديار مصر .

ثم استقرّ الأمير تَغرى بَرْمش حاجب الحجّاب بالقاهرة واستقرّ أمير علىّ ابن قَشْتَمر حاجبا ثانيا بإمرة مائة وتقدمة ألف ويقال له : حاجب مَيْسرة .

ثم فى يوم الأحد ثانى شهر رجب توجّه الأمير أيْتَمَش البَجَاسىّ إلى الإسكندرية بالإفراج عن جميع مَن بها من الأمراء المسجونين خلا أربعة أنفس : أَيْنَبَك وأخوه قُطلوَنْجا وأسندمر الصَّرْغتمشى وقيل جَرْكَس الجاولى الرابع وأنّ أَينبك كان قُتِل . فلما أحضروا الأمراء من الإسكندرية أُخرِجوا إلى بلاد الشام . ثم ولى الأمير بَيْدَمَر الخُوَارَزمىّ نيابة الشام بعد موت الأمير آقتمُر الصاحبىّ الحنبلىّ وكان آقتمر أحد من نُفِى من أكابر الأمراء المشايخ .

وأُخلِع على مبارك شاه المشطوب بنيابة غزة .

وفى مستهلّ شعبان آستقرّ قُطْلُقْتَمر العلائىّ نائب ثغر الإسكندرية عوضا عن خليل بن عرّام ثم نُفِى بيبغا الطويل العــلائىّ أحد أمراء الطبلخانات إلى الشام بطّالا . ثم نُقِل الأمير منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ من نيابة حَماة إلى نيابة طَرابُلُس عوضا عن أَرْغُون الإسعردىّ ونُقِل أرغون الإسعردىّ إلى نيابة حماة عوضَه لأمر آقتضى ذلك ونُقِل الأمير آقبغا الجوهرىّ حاجب حجّاب طَرَابُلُس إلى نيابة غزّة عوضا عن مبارك العلائىّ ونُقِل مبارك العلائىّ عوضَه فى حجوبيّة طرابلس. ثم أخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام المعزول عن نيابة إسكندرية بآستقراره وزيرا بالديار المصرية عوضا عن القاضى كريم الدين بن الرُّوَيْهِب . وقُبِض على آبن الرُّويهب وصُودِر .

وفى شوّال توجّه بلاط أمير سلاح إلى خيــله بالجيزة فأُرْسِل إليه خِلْعةٌ بنيابة طرابُلُس ،فأجاب وخرج من القاهرة فرُسِم له بأن يتوجه إلى القدس بطّالا وآستقرّ عوضه يلبغا الناصرىّ أمير سلاح وأُخلِـع على إينـال اليوسفىّ اليَلْبُغاوىّ وآستقرّ رأسَ نوبة ثانيا بتقدمة ألف ، عوضا عن يلبغا الناصرىّ المذكور . وأخلِـع على القاضى بدر الدين محمد آبن القاضى بهـاء الدين أبى البقاء السبكىّ الشافعىّ قاضى قضاة الديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين آبن جماعة بحكم توجّهه إلى القدس بحسب سؤاله على ذلك .

ولمّـا صار الأمر للأتابك طَشْتَمر العــلائىّ الدوادار أخذ فى تنفيد الأمور على القواعد فعظُم ذلك على بَرْقُوق وآتّفق مع بركة الجوبانىّ خجداشه ومع جماعة أُخر على الركوب على طَشْتَمر ، فلما كان ليـلة تاسع ذى الحجة من ســنة تسع وسبعين المذكورة رَكِب برقوق العثمانىّ وخجداشــه بركة الجوبانىّ بمن وافقهما من الأمراء وغيرهم وأَنْزلُوا السلطان الملك المنصور بُكْرة النهار وهو يوم عرفة ودُقت الكوسات ،

وقصد برقوق مسك طشتمر الأتابك ، فركبت مماليك طشتمر وخرجوا إليهم وتقاتلوا معهم قتالا عظيما ، حتى تكاثر جمعُ برقُوق وبركة وقوِى أمرُهم فحينئذ أنكسرت مماليك طشتمر وأرسل طَشْتَمر يطلب الأمان فأرسل السلطانُ إليه منديل الأمان ، فطلع إلى القلعة فمُسِك في الحال هو والأمير أطلمش الأرغونى الدوادار وأمير حاج بن مغلطاى ودوادار الأمير طشتمر المذكور وأُرسل الجميع إلى سجن الإسكندرية فآعتُقِلوا بها .

ثم في يوم الآثنين ثالث عشر ذى الحجة استقرّ برْقوق العثمانى أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن طَشْتَمُر العلائى المقدّم ذكره وآستقرّ برَكة الجُوبانى رأس نَوْبة كبيرا أطابكيًّا[1] — وهذه الوظيفة الآن مفقودة فى زماننا — وسكن برَكة[2] فى بيت قَوْصون تُجاه باب[3] السلسلة وآستقرّ الأمير أيْتَمُش البَجاسى أمير آخور كبيرا بتقدمة ألف عوضا عن برقوق وآستقرّ برقوق بسكنه بالإسطبل السلطانى وصار هؤلاء الثلاثة هم : نظام المُلْك وإليهم العَقْدُ والحلُّ وبرْقُوق كبيرُهم الذى يُرجع إليه والمعوّل على الآثنين : برقوق وبركة ، حتى لَهِجت الناس بقولهم : (برقوق وبركة . نصبا على الدنيا شبكة) .

ثم بعد يومين مُسِك الأمير يلبغا الناصرى أمير سلاح وأُرسل إلى سجن الإسكندرية ومعه الأمير كُشْلى[2] أحدُ أمراء الطبلخانات . ثم أُخرج يلبغا الناصرى بعد مدّة إلى نيابة طرابُلُس ، ويَلْبُغا الناصرى هذا هو صاحب الوقعة مع برْقوق الآتى ذكرها فى سلطنته . إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر هامشة ٤ ص ١٤٩ من هذا الجزء . (٢) ضبطها المؤلف فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٥٦) بضم الكاف وسكون الشين المعجمة . قال : ومعناه باللغة التركية : متعلق .

ثم فى العشرين من ذى الحجّة خُلِع على الأمير إينال اليوسفىّ وآستقرّ أمير سلاح عوضا عن يلبغا الناصرىّ .

ثم فى مستهلّ شهر المحرّم سنة ثمانين وسبعمائة أُنْعِم على آقتمر العثمانىّ بتقدمة ألف وآستقرّ دوادارا كبيرا عوضا عن أطلمش الأرْغونىّ . ثم بعد أيام قُبِض على صراى تَمُرْ نائب صَفَد وسُجِن بالكَرَك وآستقرّ عوضه فى نيابة صَفَد آقبغا الجوهرى نائب غَزّة وآستقرّ عوضه فى نيابة غَزّة مبارك شاه .

ثم فى سادس صفر تولّى كَرِيم الدين عبد الكريم بن مكانِس الوزرَ والخاصّ معا ووكالة بيت المال ونظر الدواوين . ثم آستقرّ بَرقوق بالأمير مَنْكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ نائب طرابُلُس فى نيابة حلب عوضا عن إشْقَتُمر المارِدينىّ بحكم عزله بالقبض عليه بمدينة بلبيس وسجنه بالإسكندرية . وقد قدّمنا أنّ إشْقَتُمر هذا كان ممن ولى الأعمال الجليلة من سلطنة السلطان حسن وبرقوق يوم ذاك من صغار مماليك يلبغا العمرىّ . انتهى .

ثمّ أخرجَ برقوق يلبغا الناصرىّ وولّاه نيابة طرابُلُس عوضا عن مَنْكلى بُغا الأحمدىّ البلدىّ المنتقل إلى نيابة حلب . ثمّ بعد مدّة يسيرة قُبِض على منكلى بغا المذكور وآعتُقِل بقلعة حلب وتَوَلّى حلب عوضَه الأمير تَمُرْباى الأفضلىّ التمرداشى . ثمّ رُسِم بالإفراج عن إشْقَتُمر الماردينىّ من سجن الإسكندرية وأن يتوجّه إلى القُدس بطّالا .

ثم فى هذه الأيام رُسِم بعزل الأمير بَيْدَمُر[1] الخُوَارَزْمِىّ عن نيابة الشام بالأمير كَمُشْبُغَا الحموىّ اليَلْبُغاوىّ .

(١) ستأتى وفاته سنة ٧٩٩ هـ .

قلت : وبَيْدَمر هذا أيضا ممّن ولى نيابة طرابُلُس فى أيام يلبغا العُمَرِىّ وغيرها من الأعمال وحضر بيدمر إلى القاهرة وقُبِض عليه وآعتُقِل بسجن الإسكندرية.

ثمّ استقرّ الأمير قرادمرداش الأحمدىّ اليلبغاوىّ أمير مجلس وآستقر أَلْطُنْبُغَا الجُوبانىّ اليلبغاوىّ رأس نوبة ثانيا بتقدّمة ألف وهـذه الوظيفة هى الآن وظيفة رأس نوبة النوب وآستقر الأمير بُزلار العمرىّ الناصرىّ نائب إسكندرية عوضا عن الأمير قطلقتمر بتقدمة ألف وآستقر منكلى بغا الطرخانىّ نائب الكرك، عوضا عن تمراز الطازىّ وآستقر خليل بن عَرّام المعزول عن نيابة إسكندرية وعن الوزر وهو يومئذ من جملة أمراء الألوف أستادار بركة الجُوبانىّ وهـذا شىء لم يُسمع بمثله كون أمير مائة ومقدّم ألف يكون أستادارا عنـد بعض أعيان الأمراء، فهذا شىء عجيب .

ثم آستقرّ الأمير بركة الجوبانىّ ناظر الأوقاف الحُكْمِية[1] جميعها وجعل نائبه فى النظر جمال الدين محمود العجمىّ الحنفى .

ثمّ آستعفى الأمير تَغْرِى بَرْمَش من الإمرة والجوبيـة الكبرى بديار مصر فأُعْفِى، فآستقر عوضـه الأمير مأمور القلمطاىّ اليلبغاوىّ أمير مائة ومقـدّم ألف وحاجب الحجاب .

وفى هـذه الأيام آتّفق جماعة على قتـل الأتابك برقوق العثمانىّ، ففَطِن بهم فمَسك منهم جماعة منهم طشبغا الخاصّكى وآقْبُغا بَشْمقدار أُلجاى وآقبغا أمير آخور أُلجاى فى آخرين تقدير أربعين نفسا، فنَفَى برقوق بعضَهم وحبَس البعض، ثمّ مسك

---

(١) عبارة السلوك ج ٣ ص ٢٢٦ : « وفيه استقر الأمير بركة ناظر الأوقاف جميعها واستناب والتحدث عنه جمال الدين محمود العجمى المحتسب ، فلم يبق وقف حكمى ولا أهلى إلا وصار مباشريه وتحدث فيه ... الخ » ومنها يفهم أن الأوقاف الحكمية هى التى تديرها الحكومة .

برقوق ألطنبغا شادى وجماعة من مماليك ألجاى اليوسفىّ ثمّ أُمْسكَ بعد ذلك بمدّة سبعة عشر أميرا وقيّدهم وأرسلهم إلى الإسكندرية .

ثمّ فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل سَمَّر برقوق آقبغا البَشْمقدار ومعه أحد عشر مملوكا من المماليك السلطانية ، وعشرين من مماليك طشتمر الدوادار لكلام صدر منهم فى حق برقوق .

وفى أوّل هذه السنة (أعنى سنة ثمانين) كان الحريق العظيم بديار مصر بظاهر باب زَوِيلة[1]، احترق فيه الفاكهيون والنقليون[2] والبراذعيون وعَمِل الحريق إلى سور القاهرة، فرَكب الأمير بركة والأمير أيْتَمش والأمير قراد مرداش الأحمدىّ وجماعة كبيرة من الأمراء والحكّام، حتى قدروا على طفيه بعد أيام واستمرّ مواضع الحريق خرابا من أوّل هذه السنة إلى آخرها .

ثمّ فى سادس عشرين ذى القعدة اجتمع الأمراء والقضاة عند الأتابك برقوق وقالوا : إنّ العساكر قلّت فى الإسلام ونريد أن نَحُلّ الأوقاف المحدَثة ، بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فمنعهم الشيخ سراج الدين البُلْقِينىّ من ذلك ، فلم يسمعوا له وحَلُّوا أوقاف الناس وجعلوها إقطاعات وفرّقوها .

---

(١) هو أحد أبواب القاهرة القديمة فى سورها القبلى ، ويسميه العامة : « بوّابة المتولى » . وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٦ ص ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والجزء العاشر (ص ١٣٧ ح ١٠) من هذه الطبعة . (٢) يستفاد مما ورد فى الخطط المقريزية أن هذه الأسواق الثلاثة كانت واقعة خارج باب زويلة وبالقرب منه ، وبالبحث عن أماكنها تبين لى أن الفاكهيين الذين يبيعون الفاكهة ، والنقليين الذين يبيعون النقل والفستق والبندق والزبيب ونحوه كانت مشارع تحت الربع تجاه جامع المؤيد والبراذعيين الذين يصنعون البراذع وهى سروج الحمير ، كانوا بشارع الدرب الأحمر فى أوّله من جهة باب زويلة بالقاهرة .

وفى مستهل شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وثمانين وسبعمائة طُلب إِشقْتَمُر المَارِدِينىّ من القُدس[1] الى القاهرة ، فحضر فى أوّل جُمادَى الأولى وتَوَلّى نيابة حلب بعد عزل تَمُرباى الأفضلىّ التَّمُرداشىّ ، ولمّا حضر إِشقْتَمُر إلى القاهرة تلقّاه الأتابك برقوق والأمير بركة الى الحوض التحتانىّ[2] من الريدانية وترجّلا له عن خيولها ، وأنزله برقوق عنده وخدَمه أتمّ خدمة ، ثمّ عُزِل الأمير كشبغا الحموىّ اليلبغاوىّ عن نيابة دِمَشق ، وتولّى عوضه بيدمر الخُوَارَزْمىّ على عادته ، وكان بيدمر معتقلا بالإسكندرية .

ثمّ فى أثناء هذه السنة كانت واقعة الأمير إينال اليوسفىّ اليلبُغاوىّ مع الأتابك برقوق .

وخبر هذه الواقعة : أنه لمّا كان فى يوم رابع عشرين شعبان ركب الأتابك برقوق من الإسطبل السلطانىّ فى حواشيه ومماليكه للتسيير على عادته ، وكان الأمير بركة الجوبانىّ مسافرا بالبُحيرة[3] للصيد ، فلما بلغ إينال اليوسفىّ أمير سلاح ركوب برقوق من الإسطبل السلطانىّ انتهز الفرصة لركوب برقوق وغَيْبة بركة ، وركب بمماليكه وهجم الإسطبل السلطانىّ وملَكه ومسك الأمير جركس الخليلىّ ، وكان مع إينال المذكور جماعة من الأمراء : منهم سودون جركس المنجكىّ أمير آخور ، والأمير صصلان الجمالىّ ، وسودون النَّوْرُوزىّ ، وجُمَق الناصرىّ ، وقُمارى ،

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٦٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٢) الحوض المذكور هو أحد الحوضين اللذين كانا خارج قبة النصر السابق التعليق عليهما فى الحاشية رقم ١ ص ٤١ من هذا الجزء ، وأما الريدانية فهو اسم المنطقة الصحراوية الواقعة فى شمال القاهرة وسبق التعليق عليها فى أوّل هذا الجزء . راجع الحاشية رقم ٥ ص ١ من الجزء العاشر من هذه الطبعة . (٣) هكذا فى «م وف» ، وقد سبق التعليق على البحيرة فى الحاشية رقم ٥ ص ٢٠٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وجماعة أخر، ولما طلع إينال الى باب السلسلة[1] وملكها أرسل الأمير قُبارى لينزل بالسلطان الملك المنصور إلى الإسطبل ، فأبى السلطان من نزوله ومنعه ، ثم كبس إينال زَرَدْخاناه برقوق، وأخرج منها اللَّبوس وآلة الحرب ، وأخذ مماليك برقوق الذين كانوا وافقوه وألبسهم السلاح وأوقفهم معه وأوعدهم بمال كبير وإمريات ، وبلغ برقوقا الخبرُ فعاد مسرعا ، وجاء الى بيت الأمير أيتمش البَجَاسىّ بالقرب من باب الوزير[2] وألبس مماليكه هناك ، وجاءه جماعة من أصحابه ، فطلع بالجميع الى تحت القلعة وواقعوا إينال اليوسفىّ . وأرسل برقوق الأمير قُرط فى جماعة الى باب السلسلة الذى من جهة باب المدرَّج ، فأحرقه ، ثم تسلّق قرط المذكور من عند باب سر قلعة الجبل[3] ونزل ففتح لأصحابه الباب المتصل الى الإسطبل السلطانىّ ، فدخل أصحاب برقوق منه وقاتلت إينال ، وصار برقوق بمن معه يقاتل من الرُّمَيلة[4] فانكسر إينال ونزل الى بيته جريحا من سهم أصابه فى رقبته من بعض مماليك برقوق ، وطلع برقوق الى الإسطبل وملكه وأرسل الى إينال من أحضره ، فلمّا حضر قبَض عليه وحبسه بالزَّرَدْخاناه وقرّره بالليل فأقرّ : أنه ما كان قَصْدُه إلّا مسك بركة لا غير .

ثم إنّ برقوق مسك جماعة من الأمراء وغيرهم من أصحاب إينال اليوسفىّ ما خلا سودون النوروزىّ وجُمَق الناصرىّ وشخصا جنديًّا يسمى أُزْبَك وكان يدّعى أنه من أقارب برقوق . ثم حُمِلَ إينال فى تلك الليلة إلى سجن الإسكندرية

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) بالبحث تبين لى أن هذا البيت كان واقعا بجوار المدرسة الأيتمشية التى تعرف اليوم بجامع أيتمش الواقع بشارع المحجر عند تلاقيه بشارع باب الوزير وأن البيت المذكور قد اندثر ولم يبق له أثر .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

ومعه سُودُون جركس . ثم أخذ برقوق فى القبض على مماليك إينال اليوسفىّ ، ونُودِى عليهم بالقاهرة ومصر ؛ وفى هذه الواقعة يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار : [الرجز]

ما بالُ إينالٍ اتى * فى مِثل هذى الحركةْ
مع علمه بأنها * خاليةٌ مِن بركةْ

وله أيضا — عفا الله عنه : [السريع]

قد ألبس الله برقوق المهابة فى * نهارِ الاثنينِ مِن نصرٍ وتمكينِ
وراح إينال مع سُودون وآنكسرا * وكان يوما عسيرا يومُ الاثنينِ

وله عفا الله عنه : [الوافر]

بَغى إينالُ وآعتقدَ الأمانى * تُساعِدُه فما نال المُؤَمَّلْ
ومدّ لأخذِ برقوقٍ يديه * ولم يعلم بِأنّ الخوخ أسفلْ

ثمّ فى الثامن والعشرين من شعبان حضر الأمير بَرَكَة من السَّرْحة، فركب الأتابك برقوق وتلقّاه من السَّحَر وأعلمه بما وقع من إينال اليوسفىّ فى حقه . ثم آتّفقا على طلب الأمير يلبغا الناصرىّ من نيابة طَرابُلُس فحضر وأنعم عليه بإقطاع إينال اليوسفىّ ووظيفته إمرة سلاح وكانت وظيفةَ يلبغا قبل إينال . وتولّى مكانه فى نيابة طرابُلُس منكلى بغا الأحمدىّ البلدىّ ثم آستقر بَلُّوط الصَّرْغتمش فى نيابة الإسكندريّة ، بعد عزل بُزْلار عنها ونفيه إلى الشام بطّالا .

ثمّ نُقِل حَطَط من نيابة أَبُلُسْتَيْن إلى نيابة حماة عوضا عن أرغون الإسعردىّ ثمّ آستقر قُرط فى نيابة الوجه القبلىّ مضافا إلى أُسوان .

ثمّ أَمْسَكَ برقوق مثقالَ الجمالىّ الزِّمام وسأله عن ذخائر الملك الأشرف شعبان فأنكر فعرضَ عليه العقوبة فأقرّ بصُندوق داخل الدار السلطانية فأرسله ، ومعه خادمان فأتى بالصندوق وفيه ثلاثون ألف دينار . ثمّ قرّره فأخرج من قاعة المَجْدِىّ ذخيرةً فيها خمســةَ عَشر ألف دينار وبَرْنِيّة فيهـا فصوصٌ ، منها فصُّ عَيْنُ هِرٍّ ، زِنَتُـه ستة عشر درهما .

ثمّ بعثه إلى الأمير بَرَكَة فعَصَره فلم يعترف بشيء ثمّ وجدوا عنــد دَادَة الملك الاشرف أوراقا فيها دفتر بخــط الملك الأشرف : فيــه كلُّ شيء اِدّخره مفَصّلا ، فوجدوا الذخائر كلَّها قد أُخِذت ولم يتأخر إلا عند طشتمر الدوادار ذخيرة فيها خمسة عشر ألف دينار وعُلْبة فصوص وعُلْبة لؤلؤ ، وما وجدوا فى ذلك آسم مثقال المذكور فأُفرِج عنه .

وفى هذه السنة وجّه الأميرُ بَرَكة دوادَارَه سودون باشا إلى الحجاز الشريف لإجراء المـاء الى عَرَفة ، وكان فى أوائل هذه السنة بَرَزَ المرسومُ الشريف بأن يُعْمَلَ على قنطرة فم الخُور[1] التى عند موردة الجبس سلسلةٌ تمنع المراكبَ من الدخول إلى الخليج

(١) سبق أن تكلمنا فى الحـاشية رقم ٣ ص ١٢٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة على خليج فم الخور ومجراه وأنه كان يأخذ مياهه من النيل عند موردة الجبس التى مكانها اليوم شارع ماسبرو عند تلاقيه بأوّل شارع الملكة نازلى وديوان مصلحة المجارى الرئيسية قبــل أن يتحوّل النيل إلى مجراه الحالى . ثم يسير خليج فم الخور إلى الشمال محاذيا شارع الملكة نازلى .

وبعد إنشاء الخليج الناصرى الذى تكلمنا عليه فى الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من الجزء التاسع من هــذه الطبعة كانوا يستعملون خليج فم الخور وقت الفيضان ليغذى بمائه خليج الذكر الذى كان يغــذى الخليج المصرى ويغــذى كذلك الخليج الناصرى الذى عليه بركة الرطلى وكان خليج فم الخور يتقابل مع خليج الذكر والخليج الناصرى فى النقطة التى يتلاقى فيها اليوم شارع الملكة نازلى بشارع توفيق وشارع قنطرة الدكة .

وكان على فم الخليج فم الخور عنــد موردة الجبس السابق ذكرها قنطرة تفتح وتقفل عند الحاجة . ويظهر من عبارة المؤلف أن المراكب كانت تدخل من النيل إلى الخليج المصرى وإلى الخليج الناصرى الذى عليه بركة الرطلى من تلك القنطرة . فأصدر السلطان مرسوما بوضع سلسلة عليها لمنع مرور المراكب منها .

وإلى بركة الرطلى[(١)]، فعمل شعراء العصر فى ذلك أبياتا، منها قول بدر الدين ابن الشاميّة أحد صوفية الخانقاة الرُّكْنية بيبرس : [البسيط]

يا سادةً فعلهمْ جميلٌ * وما لهم فى الورى وحاشَهْ
سلسلتمُ البحرَ لا لذنبٍ * وأرسلتمو للحجاز باشَهْ

---

(١) الخليج المذكور يقصد به الخليج المصرى الذى مكانه اليوم بشارع الخليج المصرى بالقاهرة وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ٤٣ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والاستدراك المدرج بصفحة ٣٨٠ من الجزء السادس منها .

وأما بركة الرطلى فقد ذكرها المقريزى فى خططه (ص ١٦٢ جـ ٢) فقال : إن هذه البركة من جملة أرض الطبالة عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب ، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى سنة ٧٢٥ هـ التمس الأمير بكتمر الحاجب أن يمر الخليج بجانب بركة الطوابين هذه و يصب ماؤه من بحريها فى الخليج الكبير (الخليج المصرى) فمر الخليج الناصرى من ظاهر هذه البركة فلما جرى ماء النيل فيه وروى أرض البركة فعرفت ببركة الحاجب لأن أرضها كانت بيد الأمير المذكور. ثم قال : وكان فى شرقىّ هذه البركة زاوية يقيم فيها الشيخ خليل بن عبد ربه يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الأرطال ، فلما جرى الماء فى الخليج الناصرى ودخل منه إلى هذه البركة عمل الجسر بين البركة والخليج فحكره الناس وبنوا فوقه الدور ثم تتابعوا فى البناء حول البركة حتى لم يبق بدائرها خلو وصارت المراكب تعبر إليها من الخليج الناصرى فتدور فيها تحت البيوت وهى مشحونة بالناس فتمر هنالك وللناس أحوال من اللهو يقصر عنها الوصف وتظاهر الناس فى المراكب بأنواع المنكرات من شرب المسكرات وتبرج النساء الفاجرات واختلاطهن بالرجال من غير إنكار .

فاذا نضب ماء النيل زرعت هذه البركة بالقرط (وهو البرسيم) وغيره فيجتمع فيها الناس فى يوم الأحد والجمعة عالم لا يحصى لهم عدد .

وهذه الأحوال هى التى حملت السلطان إلى إقفال قنطرة فم الخور حتى لا تتكرر هذه الحوادث المنكرة .

و بركة الرطلى هذه كانت موجودة إلى حوالى سنة ١٨٥٠ م تروى بماء النيل أثناء الفيضان ثم تزرع أصنافا شتوية بعد ذلك .

ومن تلك السنة بطلت الزراعة منها وتحولت تدريجا إلى أراضى للبناء . وأقدم خريطة للقاهرة ورد بها رسم تلك البركة هى الخريطة التى رسمتها الحملة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ م .

وبتطبيق حدود رسم البركة على الأرض الحالية يتبين لى أنها كانت تشغل المنطقة التى تحدّ اليوم من الشمال بشارع الظاهر ومن الغرب بشارع يوسف باشا سليمان (شارع أبو الريش سابقا) ومن الجنوب بشارع يوسف باشا وهبة (شارع الحكيم سابقا) وما فى امتداده إلى الشرق حتى يتقابل مع شارع الكربة ، ومن الشرق بشارع الكربة بالقاهرة .

قلت : لم تصح التورية معه فى قوله : باشه، لعدم معرفته باللغة التركية، لأن آسم باشا بالتفخيم والألف و باشــه مرقّقة وفى آخرها هاء و بينهما بون فى اللفظ ، وكثير مثل هذا يقع للشعراء من أولاد العرب، فيأخذون المعانى الصالحة فيجعلونها هجوا مثل لفظة نكريش وغيرها ، لأن نكريش باللغة العجمية معناه : «جيد اللحية» ، فاستعملوها الشعراء فى باب الهجو وكثير مثل هذا . وقد أوضحنا ذلك فى مصنّف[1] بيّنا فيه تحاريف أولاد العرب فى الأسماء التركية وغيرها . وقال الأديب عبد العال البغدادىّ فى المعنى : [مخلّع البسيط]

أطلقتُ دمعِى على خليج * مــذ سلسلوه فصار يُقفَلْ

من رام مِن دهرِنا عجيباً * فلينظرِ المطلقَ المُسَلْسَــلْ

وقال غيره : [مخلّع البسيط]

قــد أُطلقوا البحرَ من فُسوقٍ * مــذ سَلْسَلُوا منه خَيْرَ جَدْوَلْ

ورقَّ قلبُ الهَوى عليـــه * فَبِـــذا نهـــرُه المسلســلْ

وفى هذه السنة كانت بالديار المصرية واقعةٌ غريبة من كلام الحائط، وخبرُه : أن فى أوائل شهر رجب من هذه السنة ظهر كلامُ شخص من حائط فى بيت العَدْل شهاب الدين [أحمد] الفِيشِى[2] الحنفىّ بالقرب من الجامع الأزهر، فصار كلُّ مَنْ

(١) أطلنا البحث عن هذا المصنف فلم نجد له أثرا .

(٢) الفيشى : نسبة إلى فيشا وهو اسم لعدّة قرى بمصر وهى : فيشا الكبرى وفيشا الصغرى بمركز منوف بمديرية المنوفية ، وفيشابنا بمركز أجا بمديرية الدقهلية ، وفيشا سليم وهى التى يقال لها : فيشا المنارة بمركز طنطا بمديرية الغربية ، وفيشا بلخة وأصلها من زمام ناحية الخزان ثم فصلت عنها سنة ١٩٤٠ واسمها فى الدليل الجغرافى نظارة فيشا بلخة بمركز المحمودية بمديرية البحيرة ، وإلى إحداها ينسب شهاب الدين المذكور .

يأتى الى الحائط المذكور ويسأله عن شىء يردّ عليه الجواب ويكلّمه بكلام فصيح، فجاءته الناس أفواجًا وتردّدت الى الحائط المذكور أكابرُ الدولة وتكلّموا معه وآفتتن الناسُ بذلك المكان وتركوا معايشهم وآزدحموا على الدار المذكورة وأكثرَ أربابُ العقول الفَحْصَ عن ذلك ، فلم يقفوا له على خبر، وتحيّر النـاس فى هـذا الأمر العجيب ، إلى أن حضر الى البيت المذكور القاضى جَمـال الدين[1] محمود القَيْصَرىّ العَجَمِىّ محتسب القاهرة وفَحَص عن أمره بكلّ ما يُمكن القُدْرة اليـه ، حتّى إنه أخربَ بعض الحائط فلم يُؤثّر ذلك شيئا وآستمرّ الكلام فى كلّ يوم الى ثالث شعبان، وقد كادت العامّة أن تتعبد بالمكان المذكور . وأكثروا من قولهم : « ياسلام سلّم، الحيطة بتتكلّم » وخاف أهل الدولة من إفساد الحال وقـد أعياهم أمرُ ذلك، حتّى ظهر أنّ الذى كان يتكلّم هى زوجة صاحب المنزل، فأُعْلِم بذلك الأتابك برقوق، فاستدعى بها مع زوجها فحضرا فأنكرتْ المرأة فضربهـا فاقرّت ، فأمر بتسميرها وتسمير شخص آخر معها يسمى « عمر » وهو الذى كان يجمع الناس إليها ، بعد أن ضَرَب برقوق الزوجَ وعمرَ المذكورَ بالمقارع وطِيفَ بهما فى مصر والقاهرة ثم أفرج عنهم، بعـد أن حُبِسوا مدّة، وفى ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار :

[البسيط]

يا ناطقًا من جِدارٍ وهو ليس يُرَى * اظهَرْ وإلّا فهـذا الفعـلُ فتّانُ

فما سمعنا وللحيطانِ ألْسِـنةٌ[2] * وإنّمـا قيـل للحيطانِ آذانُ

---

(١) هو محمود بن محمد بن على بن عبدالله قاضى القضاة جمال الدين أبو الثناء القيصرى الرومى الأصل العجمى الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية وناظر جيوشها . ترجم له المؤلف ترجمة طويلة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٤٦ ب) .

(٢) رواية « ف » : « وما سمعنا لحيطان ألسنة » ورواية « م » : « وما سمعنا لأ لحيطان » وما أثبتناه عن المنهل (ج ٣ ص ٣٤٧ ب) .

وقال غيره : [البسيط]

قد حار في منزل الفيشي الورى عجبا * بناطق من جدار ظل مُبْـديه
وكلُّهـم فى حـديدٍ باردٍ ضَرَبُوا * وصاحِبُ البيتِ أدرى بالذى فيـه

وفى هذه السنة أمر الأميرُ بركة بنقـل الكلاب وقرر على كل أمير شيئا مُعَيَّنا وعلى أصحاب الدكاكين على كل صاحب دُكّان كلباً ، فتتّبع الناس الكلابَ حتى أُبِيـع كلُّ كلب بدرهم فأخذ بركة جميعَ الكلاب ونفاها إلى بَرّ الجيزة .

وفى يوم الأربعاء سابع صفر من سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة كان آبتداء الفتنة بين الأَتَابك برقوق وبين نجداشـه بركة الجُوبانىّ وهو أن بركة أرسـل يقول إلى برقوق فى اليوم المذكور : إن أَيْتَمُش البَجَاسىّ لابس آلة الحرب هو ومماليكه بإسطبله فأرسل برقوق إلى أَيْتَمُش فى الحال فلم يجد الأمرَ صحيحا . ثم طلع أيتمش إلى بَرْقُوق وأقام عنده وتردّدت الرسل بين برقوق و بركة ، والذى كان الرسول بينهما العَـلّامة أكمل الدِّين شـيخ الشيوخ بالشيخونية ، أراد بذلك إخماد الفتنة والشيخ أمين الدين الحـلوانىّ ولا زالا بهما حتى أوقع الصلح بينهما ورضى بركة على أيتمش البجاسىّ وخلع عليه قَبَاء «نَخّ» عند نزوله إليه بأمر برقوق صحبة الشيخين المذكورين .

ثم فَسَد ما بينهما أيضا بعـد آثنى عشر يوما فى ليـلة الجمعة تاسع عشر صفر وبات تلك الليلة كلُّ أمير من أمراء مصر مُلبسا بمماليكه فى إسطبله ، وسببه : أن بركة أراد أن يُمْسِك جماعة من الأمراء، ممّن هو من ألزام برقوق فأصبح نهار الجمعة والأمراء لابسون السلاح ولـمّا وقع ذلك ، طلَب برقوق القضاة إلى القلعة لِيُرَشِّد السلطان الملك المنصور وقال لهم : نُرَشِّد السلطانَ فيتكلم فى أمور مملكته وأنكف أنا وغيرى من التّكلُّم وأنا مملوك من جملة مماليك السلطان، فتكلّم القضاة بينه و بين

الأمير بركة وترددوا فى الرَّملية غير مرّة إلى أن أذعن كلٌّ منهما إلى الصلح وتحالفا على ذلك وآصطلحا وأصبحت الأمراء من الغد رَكِبُوا إلى المَيْدان ولَعِبُوا بالكُرة وخلَع بركةُ على أَيْتَمُش ثانيا . وآستقرّ الصلح وخلَع برقُوق على القضاة الأربعة وآلتزم بركة أنه لا يتحدّث فى شيء من أمور المملكة أَلْبتّة .

وآستقرّ الأمراءُ على ذلك إلى يومِ الآثنين سابع شهر ربيع الأوّل رَكِبَت الأمراءُ ٥ وسيَّروا بناحية قُبّة النصر ورجعوا وطلع برَقوق إلى الإسطبل السلطانىّ، حيث سكنه، وذهب برَكةُ إلى بيته وكان برقوق قد وُلِدَ له وَلَدٌ ذَكر وعَمِل سِماطاً للناس وطلَع إليه الأمير صَرَاى الرَّجبىّ الطويل وكان من إخوة بركة وقال لبرقوق : إن بركة وحاشيته قد آتّفقوا على قَتْلك إذا دخلتَ يوم الجمعة إلى الصلاة هجموا عليك وقتلوك فبقى برقوق مُتفكِّرا فى ذلك مُتحيِّرا لايشكّ فيما أخبره صَرَاى لصحبته مع بركة وبينما برقوق ١٠ فى ذلك إذْ طَلَع إليه الأمير قَرَادِمُرْداش الأحمدىّ اليلبُغاوىّ أمير مجلس وطُبُج المحمدىّ وآقتمر العثمانىّ الدَّوادار الكبير . وهم من أعيان أصحاب برَكة وهنّئوه بالولد وأكلوا السِّماط ، فلمّا فرَغُوا طلَب برقوق الأمير جَرْكَس الخليلىّ ويُونُس الدَّوادار وأمرَهُما بمسك هؤلاء الثلاثة ومن معهم، فمُسِكوا فى الحال . ثم أمَرَ برقوق حواشِيَه بلُبْس السلاح فلَبِسُوا ونزل بُزْلار الناصرىّ من وقته غَارةً إلى مدرسة السلطان ١٥ حسن مع مماليكه وطَلعَ إليها وأغلق بابها وصَعِد إلى سطحها ومآذنها ورَمى بالنُّشّاب على بركة فى إسطبله الملاصِق للمدرسة المذكورة وهو بيت قوصون تُجاه باب السلسلة ، فلمّا رأى بركةُ ذلك أمَرَ مماليكه وأصحابَه بلُبْس السلاح ، فلبسوا ونادى برقوق فى الحال للعامّة تنهب بيتَ بركة ، فتجمّعوا فى الحال وأحرقوا بابه ولم يتمكّن بركة من قتالهم من عِظَم الرمى عليه من أعلى سطوح المدرسة ، فخرج من بابه الذى ٢٠

بالشارع الأعظم المتّصل إلى صليبة آبن طُولُون[1] وخرج معه سائر أصحابه ومماليكه وترك ماله بالبيت ودخل من باب[2] زويلة وأخذ والى القاهرة معه إلى باب الفتوح[3]، ففتحه له فإنه كان أُغْلِق عنـد قيام الفتنة مع جملة أبواب القاهرة وسار بركة بمن معه من الأمراء والمماليك إلى قُبّة النصر، خارج القاهرة فأقام بها ذلك اليوم فى مخيّمه ثم أَخرج طائفة من عساكره إلى جهة القلعة فتوجّهوا يريدون القلعة فَندَب برقوق لقتالهم جماعةً من أصحابه، فنزلوا إليهم وقاتلوهم قتالا شديدا، قُتِل فيه من كلّ طائفة جماعةٌ . ثم رجعت كلُّ طائفة إلى أميرها وباتوا تلك الليلة .

فلمّا أصبح نهارُ الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأوّل من سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة، ندب برقـوق لقتال بركة الأمير عَلّان الشعبانىّ وأَيْتَمُش البَجاسِىّ وقُرْط الكاشف فى جماعة كبيرة من الأمراء والمماليك وتوجّهوا إلى قُبّـة النصر فبرَزَ لهم من أصحاب بركة الأمير يلبغا الناصرىّ أمير سـلاح بجماعة كبيرة وآلتقَوْا وتصادموا صَدْمة هائلة آنكسر فيها يلبغا الناصرىّ بمن معه وآنهزم إلى جهة قبة النصر، فلمّا رأى الأميرُ بركة آنهزام عسكره ركِب بنفسه وصدَمهم صدْمةً صادقة وكان من الشُّجعان كسرهم فيها أقبح كَسرة وتتبّعهم إلى داخل التُّرَب، ثم عاد إلى مخيّمه وطلع أصحاب برقوق إلى باب السلسلة فى حالة غير مَرْضِية وباتوا تلك الليلة، فلمّا أصبح نهارُ الأربعاء تاسع شهر ربيع الأوّل المذكور، أنزل برقوق السلطان الملك المنصور إلى عنده بالإسطبل السلطانىّ، ونادى للمماليك السلطانية بالحضور، فحضروا فأَخرج جماعةً كبيرة من الأمراء ومعهم المماليك السلطانية وندبهم لقتال بركة ودُقّت الكوسات بقلعة الجبل

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٧ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .
(٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

حربية ، هذا وقد جهّز بركة أيضا جماعةً كبيرة أيضا من أصحابه ، ليلتقي مَن نَدَبه بَرقوق لقتاله ، وسار كلٌّ من الفريقين إلى الآخر حتّى تواجَها على بُعد ، فلم يتقدّم أحدٌ من العسكرين إلى غريمه ، فلما كان بعد الظهر بعث الأمير بركة أمير آخر سيف الدين طُغَاى يقول لبرقوق : ما هذا العمل ! هكذا كان الاتفاق بيننا ؟ فقال برقوق : هكذا وقع ، قل لأستاذك يتوجه نائبا في أيّ بلد شاء ، فرجع أمير آخوره بركة له بهذا القول ، فلم يوافق بركة على خروجه من مصر أصلا ، فلما أيس منه أمير آخوره قال له : إن كان ولا بدّ فهذا الوقت وقت القَيْلُولة والناس مُقَيِّلة ، فهذا وقتك ، فركب بركة بأصحابه ومماليكه من وقته وساقوا فرقتين : فرقة من الطريق المعتادة ، وفرقة من طريق الجبل . وكان بركة في الفرقة التي بطريق الجبل ؛ وبَلَغ برقوقًا ذلك فأرسل الأمراء والمماليك في الوقت لملتقاه ، فلمّا أقبل بركة هرب أكثرُ عساكر برقوق ولم يثبت إلاّ الأمير عَلّان الشعبانيّ في نحو مائة مملوك ، وآلتقى مع بركة . وكان يلبغا الناصريّ بمَن معه من أصحاب بركة توجّه من الطريق المعتادة ، فآلتقاه أَيْتَمِش البَجاسيّ بجماعة وكسره وضربه بالطَّبَر وأخذ جاليشه وطبلخاناته ورجع مكسورا بعد أن وقع بينهم وقعة هائلة جُرِح فيها من الطائفتين خلائق .

وأمّا بركة فإنه لمّا آلتقى مع عَلّان صدَم علان صدمة تَقَنْطر فيها عن فرسه وركب غيره ، فلمّا تقنطر آنهزم عنه أصحابه ، فصار في قلّة فثبت ساعة جيّدة ثم انكسر وآنهزم إلى جهة قبّة النصر ، وأقام به إلى نصف الليل فلم يجسُر أحد من البرقوقية على التوجّه إليه وأخذه .

فلمّا كانت نصف ليلة الخميس المذكورة رأى بركة أصحابه في قلّة وقد خلّ عنه أكثر مماليكه وحواشيه وهَرب من قُبّة النصر هو والأمير آقبغا صيوان إلى جامع

المقسىّ[1] خارج القاهرة فغُمز عليه فى مكانه فمُسك هو وآقبغا المذكور من هناك وطُلع بهما إلى برقوق وتَتبّع برقوق أصحابَ بركة ومماليكه فمَسك منه جماعة كبيرة حسب ما يأتى ذكرُه مع مَنْ مُسك مع بركة من الأمراء وبَقِيت القاهرة ثلاثة أيام مُغلقة والناس فى وجَل بسبب الفتنة فنادَى برقوق عند ذلك بالأمان والاطمئنان .

---

(١) هذا الجامع من أقدم المساجد فى مصر، ذكره القلقشندى فى « صبح الأعشى » (ص ٣٦٥ ج ٣) فقال : الجامع بالمقس بباب البحر وهو المعروف بالجامع الأنور، بناه الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز نزار الفاطمى فى سنة ٣٩٣ هـ . ثم ذكره المقريزى فى خططه باسم جامع المقس (ص ٢٨٣ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع أنشأه الحاكم بأمر الله على شاطئ النيل بالمقس لأن المقس كان خطة كبيرة وهى بلد قديم من قبل الفتح . ثم قال : ولما أمر السلطان صلاح الدين بإدارة السور على مصر والقاهرة وجعل نهايته التى تلى القاهرة عند المقس ، بنى فيه برجا يشرف على النيل و بنى مسجده جامعا واتصلت العمارة منه إلى البلد وصار تقام فيه الجمعة والجماعات ، ثم قال : وفى سنة ٧٧٠ هـ جدّد بناء هذا الجامع الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسىّ فصار العامة يقولون : جامع المقسى ، ظنا منهم أنه هو الذى أنشأه ، فى حين أنه جدّده . ثم قال : ولما انحسر النيل عن تجاه الجامع ، فأصبح الجامع على حافة الخليج الناصرى .

وأقول : إن هذا الجامع يعرف اليوم بجامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا من جهة ميدان باب الحديد بالقاهرة ، وكان قد لحقه الإهمال والخراب ، حتى تسلمه ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٢٩٨ هـ وقيض الله له حسن باشا حلمى الأندوسى وكيل مجلس شورى القوانين فبناه من أساسه بماله الخاص تحت إشراف نظارة الأوقاف وتم بناؤه فى سنة ١٣١٢ هـ كما هو ثابت بالنقش فى لوح من الرخام فوق الباب الداخل بدهليز الجامع ، ومكتوب فوق الباب الخارجى الذى تحت المئذنة ما نصه : « أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمى الثانى الأنظم أدام الله أيامه سنة ١٣١٤ هـ » .

وهو جامع لطيف عامر بالشعائر يعلو بابه الذى على الشارع مئذنة جميلة ويحجب الجامع عن الشارع دكان على يمين الباب الخارجى يعلوه كتّاب . وعلى يسار الباب منزل صغير من دورين للاستغلال . وقد عرف هذا الجامع بالجامع الأنور وجامع المقسم وجامع المقس وجامع المقسى ، كما سماه المؤلف جامع باب البحر وجامع ميدان باب الحديد وهو اليوم معروف بجامع أولاد عنان ، نسبة الى الشيخ الصالح الزاهد محمد بن حسن بن أحمد الطهوائى البرهمتوشى المصرى الشهير بابن عنان الشافعى ، مات فى شهر ربيع الأوّل سنة ٩٢٢ هـ ودفن فى قبره بجوار الجامع ثم قام أولاده من بعده بخدمة المسجد فاشتهر بهم .

وفي واقعة بركة يقول طاهر بن حبيب : [ا . حـ]

يا لُؤمَها مِن حالةٍ * وشُؤمَها مِن حَرَكَهْ
وقُبْحَها مِن فِتنــةٍ * فيها زوالُ بركهْ

وعَظُم كسرةُ بركة ومسكُهُ على الناس، لأنه كان محبّبا للرعيّه وفيه كَرَمٌ وحشمةٌ وكان أكثر مَيْل الناس إليه .

ولمّا كان عشيّة ليلة الخميس المذكورة أخذ برقوق خُجْداشَه بركة وقيّده وأرسله إلى سجن الإسكندرية فحُبِس به صحبة الأمير قُرْدَم الحسنيّ ومعه جماعةٌ في القيود من أصحابه الأمراء وهم : الأمير قَرَادمرداش الأحمدىّ أمير مجلس المقبوض عليه قبل واقعة بركة وأقْتَمُر العثمانىّ الدوادار وأمير آخر .

ثم أخَذ برقوق في القبض على الأمراء من أصحاب بَرَكَة ، فمَسَك جماعة كبيرة وهم : أيْدَمُر الخطائىّ وخُضَّر (بضم الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجمة وراء ساكنة) وقَراكسك وأمير حاج بن مُغْلَطاى وسودُون باشا ويلبغا المنجكىّ وقَرَابلاط وقرابُغَا الأبو بكرىّ وتمربغا السيفىّ تمرباى وإلياس الماجرىّ وتمربغا الشمسىّ ويوسف ابن شادى وقطلبك النظامىّ وآقبغا صيوان الصالحىّ وكزل القِرِمىّ وطولو تَمُر الأحمدىّ وطوجى الحسنىّ وتَنْكِز العثمانى وقُطْلُو بغا السيفىّ وغريب الأشرفىّ وكمجىّ[1] وألْطُنبغا الأرْغونىّ ويلبغا الناصرىّ رفيق منطاش الآتى ذكرهما وأطلمش الطازىّ وتمرقيا .

فأرسل منهم برقوق في ليلة الأحد ثانى عشر ربيع الأول جماعةً إلى الإسكندرية صحبةَ الأمير سُودون الشيخونىّ وهم : يلبغا الناصرىّ وهو أكبر الجماعة

(١) في هامش م : « بكجى » .

وطُبج المحمدىّ و يَلبغا المَنجكىّ وأطلمش الطازىّ وقرابَلاط وتُمُرقيا السيفىّ تَمُربغا وإلياس وقَرابُغا .

ثم عَرَض برقوق مماليك بركة فأخذ أكابرهم فى خدمته، وكذلك فعَل بمماليك يَلبغا الناصرىّ، ثم أمسك أرسلان الأشرفىّ دوادار بَركة . ثم أفرج برقوق عن ستة
٥ أمراء ممن أمسكهم .

ثم أنعم برقوق على جماعة من أصحابه بتقادِم ألوف فأنعم على ولده محمد بن برقوق بإقطاع بركة بتمامه وكماله ، ثم أنعم على أربعة أخر بتقادِم ألوف وهم : جَركس الخليلىّ و بُزلار العُمَرىّ الناصرىّ وألطُنبغا المعلّم وآلابغا العثمانىّ وأنعم على أطلمش الطازىّ أحد أصحاب بركة بإمرة طبلخاناة بالشام .

١٠ ثم فى يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل المذكور أنعم على جماعة بإمرة طبلخانات ، وهم : آقبُغا الناصرىّ وتَنكِزبغا السيفىّ ... وفارس الصرغتمشىّ وكشبغا الأشرفىّ الخاصّكى وقطلوبغا السيفىّ كوكاى وتمربغا المَنجكىّ وسودون باق السَّيفىّ تمرباى وإياس الصرغتمشىّ وعلى جماعة بإمرة عشرات وهم : قوصون الأشرفىّ و بيبرس التمان تَمُرِىّ وطغا الكريمىّ و بيرم العلائىّ وآقبغا اللّاجينىّ .

١٥ ثم فى حادى عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور أخلع برقوق على جماعة من الأمراء بوظائف ، فآستقرّ أيتمش البَجاسىّ رأس نوبة كبيرا أطابكا عوضا عن بركة — وهذه الوظيفة بطلت من أيام الملك الناصر فرج — وآستقرّ عَلّان الشعبانىّ أمير سلاح عوضا عن يلبغا الناصرىّ وآستقرّ أَلطُنبغا الجُوبانىّ أميرَ مجلس عوضا عن قرادمرداش الأحمدىّ وآستقرّ آلابغا العثمانىّ دوادارا عوضا عن آقتمر العثمانىّ
٢٠ وآستقرّ أَلطُنبغا المعلّم رأس نوبة ثانى بتقدمة ألف (أعنى رأس نوبة النُّوَب) وآستقرّ جَركس الخليلىّ أميرَ آخور كبيرا وآستقرّ قرابغا الأبو بكرىّ حاجبا وآستقرّ

بجان[1] المحمدى من جملة رءوس النوب وأستقر كشبغا الأشرفى الخاصكى شاد الشراب خاناه .

وفى ثانى عشرينه آستقر الأمير صلاح الدين خليل بن عرّام نائب إسكندرية عوضا عن بلوط الصرغتمشى فتوجه آبن عرّام إلى الإسكندرية ثم عاد إلى القاهرة ، بعد مدّة يسيرة وشكا من الأمير بركة ، فأوصاه برقوق به فى الظاهر وسيّره إلى الإسكندرية ثانيا .

ثم أمسك برقوق الأمير بيدمر الخوارزمى نائب الشام وأمسك معه جماعة من أصحابه من الأمراء وكان بيدمر من حزب بركة وخرج عن طاعة برقوق فولّى برقوق عوضه الأمير إشقتمر الماردينى نائب حلب .

وتولّى نيابة حلب بعد إشقتمر منكلى بغا الأحمدى البلدى نائب طرابلس .

ثم فى آخر جمادى الأولى أفرج برقوق عن جماعة الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية ما خلا أربعة أنفس ، وهم : بركة ويلبغا الناصرى وقرا دمرداش الأحمدى وبيدمر الخوارزمى نائب الشام وحضرت البقيّة إلى القاهرة فأخرج بعضهم إلى الشام ونُفى بعضهم إلى قوص .

ثم فى شعبان باست الأمراء الأرض للسلطان الملك المنصور على وسألوه الإفراج عن المسجونين بالإسكندرية وذلك بتدبير برقوق فرسم السلطان بالإفراج عنهم وهم : بيدمر الخوارزمى ويلبغا الناصرى وقرا دمرداش الأحمدى ولم يبق بسجن الإسكندرية ممّن مسك من الأعيان فى واقعة بركة غير بركة المذكور ومات فى شهر رجب على ما يأتى ذكره ، بعد أن نحكى قدوم آنص والد الأتابك برقوق من

(١) فى بعض المصادر التى تحت يدنا « نجمان » بالنون » بدل الباء وبعد بحث طويل لم نتبين وجه الصواب فيه .

بلاد اجْرَكس ولمّا حصر الأمراء إلى مصر أُخرِج يلبغا الناصرىّ إلى دِمشق على إمرة مائة وتقدمة ألف بها وقَرَا دمرداش إلى حلب على تقدمة ألف أيضا بها وتوجّه بَيْدَمر الْخوارزمىّ إلى ثغر دِمْياط بطّالا .

ثم رَسَمَ برقوق بالإفراج عن الأمير إينال اليُوسفىّ صاحب الواقعة مع برقوق المقدّم ذكرها من سجن الإسكندرية وآستقرّ فى نيابة طرابُلُس . ثم آستقرّ كَشْبُغَا الحموىّ اليَلْبُغَاوى فى نيابة صفد عوضا عن تَمُرْباى الأفضلىّ التَّمرداشىّ مدّةً يسيرةً ونُقِل إلى نيابة طرابُلُس بحكم آنتقال إينال اليوسفىّ إلى نيابة حلب بعد وفاة مَنْكَلى بُغَا الأحمدىّ البلدىّ .

ثم فى ذى الحِجّة من السنة وصَل الخبرُ بوصول الأمير آنص الجَرْكَسىّ والد الأمير الكبير برقوق العثمانىّ صحبةَ تاجر برقوق الخواجا عثمان بن مُسافر، فخرج برقوق بجميع الأمراء إلى لقائه فى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة المذكورة، فسافر برقوق إلى العِكْرِشة[1] . قال قاضى القضاة بدر الدين محمود العينىّ الحنفىّ : وهو المكان الذى آلتقى به يوسف الصِّدِّيق أباه يعقوبَ عليهما السلام على ما قيل .

---

(١) يستفاد مما ورد فى كتاب الانتصار لابن دقاق عند ذكر ضواحى القاهرة (ص ٤٣ جـ ٥) أنه كان يوجد بناحية دات وحدة مالية تسمى البركة قال : وهى شرق العش وتعرف بالعكرشة بالقرب من سرياقوس وهى بخلاف ناحية بركة الحب المعروفة ببركة الحاج .

وبالبحث : تبين لى أن العكرشة اسم يطلق على بركة واقعة فى الطريق الصحراوى بين القاهرة وبلبيس ، وأن هذه البركة لا تزال باقية الى اليوم بأراضى بلدة (أبو زعبل) وشرق سكنها و يدل عليها حوض العكرشة رقم ٤٧ بأراضى الناحية المذكورة .

وأما قوله : والنزول بالمخيم بالخانقاه ، فيقصد من ذلك أن الخيمة التى نزل بها السلطان كانت بالخانقاه القريبة من العكرشة ، وتلك الخانقاة هى البلدة التى تعرف اليوم بالخانكة المجاورة لبلدة (أبو زعبل) وسبق التعليق عليها باسم خانقاه سرياقوس فى الحاشية رقم ١ ص ٤٤ ١ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

وكان قد هيّأ له ولدُه الأتابك برقوق الإقامات والخيَم والأسمطة وآلتق برقوق مع والده فحال وقع بصرُ آنص على ولده برقوق مدّ له يدّه فأخذها برقوق وقبّلها ووضعها على رأسه ثم سَلّم عليه أكابرُ أمراء مصر على مراتبهم وأُقعِدَ آنص والدُ برقوق فى صدر المُخيّم وقعد الأمير أقتَمُر عبد الغنيّ النائب من جانب والأمير أيْدَمر الشمسيّ من جانب آخر وجلس برقوق تحت أيدمر وهو يوم ذاك مُرَشّح للسلطنة، فآنظر إلى تلك الآداب والقواعد السالفة . ولمّا آستقرّ بهم الجلوس أخذ آنص يُخاطب برقوقًا ولَدَه بآسمه من غير تحشم، كما يخاطب الوالد ولده على قاعة الجراكسة، والقاعدةُ عندهم : أنّ الولد والخديم عندهم سواء، وكان المُلْتَقَى بالعِكْرِشة والنزول بالمُخيّم بالخانِقاه، فإنهم لمّا تلاقَوْا ساروا على ظُهْر إلى خانقاه سِرْياقُوس وحضر مع الأمير آنص جماعةٌ كبيرة من أقاربه وأولاده إخوة الأتابك برقوق خَوَنْد الكُبْرى والصُّغْرى أمّ بيبَرْس الأتابك وغيرهما .

ثم مُدّت الأسمِطة من المآكل والمشارب والحلاوات وغيرها ودام برقوق والأمراء بخانِقاة سِرْياقُوس إلى ظهر اليوم المذكور ثم رَكِبُوا الجميع وعادوا إلى جهة الديار المصريّة والموكب لآنص والد برقوق وأكابر الأمراء عن يمينه وشماله وتحته فرسٌ بسَرْج ذهب وكُنْبُوش زركش بذهب هائل قد تناهَوْا فى عملهما وسار الجميعُ حتّى دخلوا إلى القاهرة وآجتازوا بها وقد أُوقِدَتْ لهم الشموعُ والقناديلُ فتحيّر والدُ برقوق ممّا رأى وكان جركسيًّا جنسه «كسّا» لا يعْرِف باللغة التركيّة شيئا، لأن الكسّا بالبعد عن بلاد التّتار وطَلَعَ والدُ برقوق مع آبنه إلى القلعة وصار هو المشار إليه على ما سنذكره .

وأمّا أمرُ بَرَكة فإنه لمّا كان شهر رجب من هذه السنة ورد الخبرُ من [illegible] صلاح الدين خليل بن عَرّام نائب الإسكندرية بموت الأمير زَيْن الدين [illegible]

الجوبانيّ اليلبُغاويّ المقدّم ذكره بسجن الإسكندرية، فلمّا بلغ الأتابك برقوقا ذلك عَظُم عليه في الظاهر — والله سبحانه وتعالى متولى السرائر — وبعث بالأمير يُونُس النُّورُوزيّ الدَّوادار بالإسكندرية لكشف خبر الأمير بركة وكيف كانت وفاته فتوجّه يونس إلى الإسكندرية، ثم عاد إلى مصر ومعه آبن عَرّام المذكور نائب الإسكندرية وأخبر برقوقا بأنّ الأمر صحيح وأنه كَشَف عن موته وأخرجه من قبره فوجد به ضَرَبات: إحداها في رأسه وأنه مدفون بثيابه من غير كَفَن وأنّ يُونُس أخرجه وغسّله وكفّنه ودَفَنَهُ وصلّى عليه خارج باب رَشِيد[1] وبَنَى عليه تُرْبَةً وأن الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام هو الذي قتله، فحبَس برقوق آبنَ عَرّام بخزانة شمائل[2]. ثم عصره وسأله عن فصوص خلّاها بركة عنده فأنكرها وأنكر أنه ما رآها .

فلمّا كان يوم الخميس خامس عشرين شهر رجب المذكور طلع الأمراء الخدمة على العادة وطُلِب آبن عَرّام من خزانة شمائل فطلعوا به إلى القلعة على حِمار فرَسَم برقوق بتسميره[3]، فخرج الأمير مأمور القَلَمطَاوِي حاجبُ الحجّاب وجلس بباب القُلّة هو وأمير جاندار وطُلب آبن عَرّام بعد خدمة الإيوان فعُرِّيَ وضُرِب بالمقارع ستةً وثمانين شَيْبًا ثم سُمّر على جَمَل بلُعْبَة تسمير عَطَب وأُنْزِل من القلعة إلى سُوق الخيل بالرُّمَيْلة بعد نزول الأمراء وأوقفوه تجاه الإسطبل السلطانيّ ساعة فنزل إليه جماعة

(١) باب رشيد كان من أبواب مدينة الإسكندرية في سورها الشرقي ، وسمي بذلك لأنه كان على رأس الطريق التي توصل من الإسكندرية إلى مدينة رشيد، وقد اندثر هذا الباب، ومكانه اليوم في الحدائق الواقعة شرقي مدخل شارع فؤاد الأول (شارع باب رشيد سابقا) عند اتصاله بشارع أبو قير بمدينة الإسكندرية . وكانت خارج ذلك الباب جبانة قديمة لدفن موتى المسلمين ولما اندثرت قبورها أصبحت أرضها مخصصة اليوم لدفن طائفة من المسيحيين باسم جبانة الإفرنج الكاثوليك بأوّل شارع أبو قير .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤٥ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

من مماليك بركة وضربوه بالسيوف والدبابيس حتى هبّروه وقطّعوه قطعا عديدة ثم إن بعضهم قطع أذنه وجعل بعضها صفة الأكل وأخذ آخر رجله وآخر قطع رأسه وعلّقها بباب زويلة وبقيت قطع منه مرمية بسوق الخيل، وذكر أن بعض مماليك بركة أخذ من لحمه قطعة شواها . والله أعلم بصحة ذلك .

ثم جُمِع ابن عَرّام بعد ذلك ودُفن بمدرسته (١) خارج القاهرة عنـد جامع أمير حسين بن جندر بحكر جوهر النوبي (٢) وقـد صار أمر ابن عَرّام المذكور في أفواه

(١) هذه المدرسة ذكرها المقريزى فى خططه باسم مدرسـة ابن عرام (ص ٣٩٤ جـ ٢) فقال : إنها بجوار جامع الأمير حسين بحكر جوهر النوبى من بر الخليج الغربى ، أنشأها الأمير صلاح الدين خليل ابن عرام . وبالبحث عن مكان هذه المدرسة وعن تاريخ إنشائها تبين لى أنها هى التى تعرف اليوم ، بجامع المرصفى عند قنطرة الأمير حسين بالقاهرة ، وأنها أنشئت حوالى سنة ٧٨٠ هـ . وفى أوائل القرن العاشر الهجرى نزل بها الشيخ العالم الزاهد نور الدين على بن خليل المرصفى ، والظاهر أنها كانت معطلة فى زمنه ، فاتخذها زاوية له .
ولما مات سـنة ٩٣٥ هـ دفن بها وبعد وفاته صارت جامعا بمنبر وخطبـة ، إلى أن استولى عليـه الإهمال ثم الخراب وهـو اليوم خرب ، وليس بظاهر من وجهته إلا البـاب ، وحده الغربى ينتهى بحائط جامع الأمير حسين وبه ضريح الشيخ على المرصفى ولذلك نسب اليه . ولما تكلم على باشا مبارك فى خططه على هذه المدرسة (ص ٥٦ جـ ٣) و (ص ٢ جـ ٦) قال : إن بابها يقع تجاه باب جامع الأمير حسين وأنها زالت ولم يبق من آثارها إلا الباب والساقية وقبر منشئها تسميه العامة بالشيخ الأربعين ، ثم آل أمرها بعد ذلك أن أصبحت زريبة للمواشى .
ولما تكلم على جامع المرصفى فى شارع الناصرة (ص ٨٥ جـ ٣) قال : إنه كان زاوية للشـيخ على المرصفى ، وبعد وفاته صارت جامعا بمنبر وخطبة . وأقول : إنه ثبت لى من جميع المباحث التى أجريتها ما يدل على أن مدرسة ابن عرام هى بذاتها جامع المرصفى كما ذكرت وليس مكانها الزريبـة التى أشار إليها مبارك باشا بدليل : أولا . إن جامع المرصفى واقع بحكر النوبى وأما الزريبة فواقعة فى أرض بستان العدة . ثانيا . إن جامع المرصفى يجاور جامع الأمير حسين من الجهة الشرقيـة ، كما ذكر المقريزى . ثالثا . إن الشيخ على المرصفى نفسه الذى نزل بهذه المدرسة ، قال فى حديثه للشيخ الشعرانى ونقله عنه فى الطبقات الكبرى ما نصه : «ومن وصيته لى : إياك أن تسكن فى جامع أو زاوية لها وقف ومستحقون ، ولا تسكن إلا فى المواضع المهجورة منها التى لا وقف لها» . وهذا واضح على أن هـذه الزاوية ليست له . بل إنها مدرسة مهجورة ونزل بها كوصيته للشعرانى . رابعا . دلتنى كثرة مباحثى على أن جميع الزوايا التى اتخذها مشايخ الصوفية للسكن والعبادة لم تكن من إنشائهم بل أصلها من الجوامع والمدارس التى أهملت وتعطلت كما يرى القارئ مما ذكرناه منها فى هذا الكتاب . ومما ذكر يتبين أن ما ورد فى الخطط التوفيقية عن مدرسة ابن عرام لا يتفق والواقع ، والصواب ما ذكرنا .

(٢) هذا الجامع سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم (٢ ص ٦٢) من الجزء التاسع من هذه الطبعة =

العامّة مثلا يقولون : نحول آبن عَرام وكان ابن عرام المذكور أميرا جليلا فاضلا تنقّل فى الولايات والوظائف وكان له يدٌ طولى فى التاريخ والأدب وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير فيه فوائد ومُلَح وفى هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد ابن العطار : [البسيط]

أيَابنَ عَرّام قـد شُهِّرتَ مُشتهِرًا * وصار ذلك مكتوبًا ومحسوبَا
ما زِلتَ تجهَـدُ فى التاريخ تكتُبُهُ * حتّى رأينـاك فى التاريخ مكتوبا

وفيه يقول أيضا : [الوافر]

بدَتْ أجزا آبنِ عَرّامٍ خليـــلِ * مقطّعةً من[(1)] الضرب الثقيـلِ
وأبدتْ أبحـرُ الشعر المـرائى * محـزورة[(2)] بتقطـيع الخليـلِ

= وأما حكر جوهر النوبى فقد ذكره المقريزى فى خططه (ص ١١٩ ج ٢) فقال : إن هذا الحكر تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربى فى شرقى بستان العدّة ، ويسلك منه إلى قنطرة الأمير حسين تجاه باب جامع أمير حسين الذى تعلوه المئذنة وما زال بستانا الى نحو سنة ٦٣٠ ، فحكر وبنى فيه الدور فى أيام الظاهر بيبرس ، وعرف بجوهر النوبى أحد الأمراء فى الأيام الكاملية ، وكان خصيا .

وبالبحث عن مكان هذا الحكر وتعيين موقعه وحدوده ، تبين لى أنه يقع فى المنطقة التى تحدّ اليوم ، من الشرق بشارع الخليج المصرى ، ومن الشمال بشارع الشيخ على يوسف (شارع السويقة سابقا) ومن الغرب بدرب أبو طبق وما فى امتداده جنوبا إلى أن يتقابل بحارة الأمير حسين ، ومن الجنوب بحارة الأمير حسين وقنطرة الأمير حسين .

وأما التحديد الذى ذكره على باشا مبارك فى خططه عن حكر النوبى عند الكلام على شارع الخليج المرخم (٨٦ ج ٣) فإنه لا ينطبق على حكر النوبى بل ينطبق على بستان العدّة المجاور له ، والمبينة حدوده فى الخطط المقريزية (ص ١١٩ ج ٢) وعلى ذلك تكون الأرض الواقعة فى شمال حارة الأمير حسين وقنطرة الأمير حسين ، حيث يوجد جامع الأمير حسين ومدرسة ابن عرام ، هى مكان حكر النوبى ، والأرض الواقعة فى جنوبهما من القنطرة إلى شارع محمد على هى مكان بستان العدّة .

(١) فى الأصلين : « فى » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٧٤ (ا)) وهى الرواية الصحيحة التى بها يتزن البيت . (٢) رواية المنهل الصافى . (ج ٢ ص ٧٤ ب) : «محززة» .

حدّثني الزيني فيروز الطواشي الروميّ العزّاميّ وكان ثقة صاحب فضل ومعرفة ودين أن أستاذه صلاح الدين خليل بن عَرّام المذكور كان مليحَ الشكل فصيحَ العبارة بلغات عديدة مع فضيلة تامّة ومعرفة بالأمور وسياسة حسنة وتولّى نيابة ثغر الإسكندرية غير مرة سنين طويلة وتولّى الوزر بالديار المصرية وتنقّل في عدّة وظائف أخر، قال: وكان من رجال الدهر وكان محبًّا في الفقهاء والفقراء وأرباب الصلاح . انتهى .

وقال غيرُه : كان بَشَّره الشيخ يحيى الصنافيري[1] والشيخ المعتقَد نهار أنه يموت مقتولا بالسيف مُسَمَّرا ، وفي معنى ما قاله الشيخ نهار المذكور يقول الشيخ الشهاب ابن العطار المقدّم ذكره : [السريع]

وَعْدُ ٱبن عَرّامٍ قـديمٌ بما * قد نال من شيخ رفيع المَنَارْ
يا ليلةً بالسِّجنِ أبدتْ له * ما قاله الشيخُ نهارُ جِهَارْ

وقال العَيْنيُّ — رحمه الله — : وذكر القاضي تاجُ الدين بن المِليجيّ شاهدُ الخاصّ الشريف أنّه طلع إلى القلعة وهم يُسَمِّرون ٱبنَ عرّام فقعد إلى أن تخِفّ الناس ، فلمّا فرغوا من تسميره، جازوا به عليه فسمعه وهو يقول في تلك الحالة ويُنشد أبيات أبي بكر الشِّبليّ[2] وهي قوله : [الخفيف]

لك[3] قلبي تُحِلُّهُ * فدمي لِمْ تُحِلُّهُ
قال إن كنتُ قاهرًا * فلِيَ الأمرُ كُلُّهُ

انتهى . وقد خرجنا عن المقصود وأطلنا الكلام في قصّة بَرَكة وٱبن عَرّام على سبيل الاستطراد ولْنرجع لِما كنّا فيه .

---

(١) سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٨٠ هـ (٢) هو شيخ الصوفية، تقدّمت وفاته سنة ٣٣٤ هـ ص ٢٨٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) هذان البيتان نسبا في نهاية الأرب (ج ٧ ص ١٣٦ طبع دار الكتب المصرية) إلى أبي فراس الحمداني الشاعر المعروف ونصهما فيه :

لك جسمي تعلّه * فدمي لم تطلّه
قال إن كنت مالكا * فلي الأمر كلّه

وأما برقوق فإنه آستمرّ على حاله كما كان قبل مَسْك بَركة وقتله وإليه حلّ المملكة وعقدها ولم يجسُر على السلطنة ، وبينما هو فى ذلك مَرِض السلطان الملك المنصور علىّ ولَزِم الفراش، حتى مات بين الظهر والعصر من يوم الأحد ثالث عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ودُفِن من ليلته بعد عِشاء الآخرة فى تربة جدّته[1] لأبيه خَوَنْد بَركة بالقُبّة التى بمدرستها بالتبانة . وكان الذى تولّى تجهيزه وتغسيلَه ودفنَه الأميرُ قُطْلوبُغا الكُوكَائىّ . وكانت مدّة سلطنته على ديار مصر خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما . ومات وعمره آثنتا عشرة سنة ولم يكن له فى سلطنته سوى مجرّد الآسم فقط . وإنما كان أمر المملكة فى أيام سلطنته إلى قَرَطاى أوّلا ثم إلى برقوق آخرا ، وهو كالآلة معهم لصغر سنه ولغلبتهم على الملك . وتسلطن من بعده أخوه أمير حاجّ آبن الملك الأشرف شعبان بن حسين ولم يقدر برقوق — مع ما كان عليه من العظمة — أن يتسلطن . وكان الملك المنصور علىّ مليحَ الشكل حَسَن الوجه، حيِيًّا كثير الأدب واسع النفس كريما . رحمه الله تعالى .



السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور على آبن الملك الأشرف شعبان على مصر

وهى سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، على أنه تسلطن فى الثامن من ذى القعدة من السنة الخالية .

فيها . (أعنى سنة تسع وسبعين وسبعمائة) كانت واقعة قَرَطاى الطازىّ مع صهره أَيْنبكَ البدرىّ وقُتِل قَرَطاى . ثم بعد مدّة قُتِل أينبك أيضا .

---

(١) راجع الحاشية رقم (١ ص ٥٩) من هذا الجزء .

وفيها كان ظهور برقوق وبركة، وآبتداء أمرهما حسب ما ذكرنا ذلك كله فى أصل ترجمة الملك المنصور هذا .

وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرُّعَيْنى الغرناطى المالكى بحلب عن سبعين سنة وكان إليه المنتهى فى علم النحو والبديع والتصريف والعَرُوض وله مشاركة فى فنون كثيرة ومصنفات جيدة وكان له نظم ونثر . ومن شعره ما كتبه على ألفية الشيخ يحيى[2] : [البسيط]

يا طالب النحو ذا اجتهادٍ * تسمو بهِ فى الورى وتحيا

إن شئتَ نيلَ المُرادِ فاقصدْ * أُرْجُــوزَةً للإمام يَحْــيَى

وتُوفِّى الشيخ الإمام بدر الدين حسن بن زين الدين عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبى الشافعى بحلب عن سبعين سنة وكان باشر كتابة الحكم وكتابة الإنشاء وغير ذلك من الوظائف الدِّينية وكان إمامَ عصره فى صناعتى الإنشاء والشروط وله تصانيف مفيدة منها : « تاريخ دولة الترك » أنهاه إلى سنة سبع وسبعين وسبعمائة وذيّل عليه ولَدُه أبو العزّ طاهر وقال : [البسيط]

ما زِلت تُولَــع بالتاريخ تكتُبه * حتّى رأينــاكَ فِى التاريخ مكتوبَا

قلت : وأكثر الناسُ من نظم هذا المعنى الركيك البارد فى حقّ عدّة كثيرة من المؤرخين، وتزاحموا على هذا المعنى المطروق . انتهى .

قلت : وكان له نظم كثير ونثر وتاريخه مرجّز وهو قليل الفائدة والضبط ولذلك لم أنقل عنه إلّا نادرا ، فإنه كان إذا لم تُعجِبْه القافية سكت عن المراد .

(١) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة (ج ١ ص ٣٤٠) .

(٢) هو العلامة زين الدين يحيى بن عبد المعطى النحوى صاحب الألفية التى أشار اليها ابن مالك، توفى بمصر سنة ٦٢٨ هـ . انظر ح ١ ص ٢٧٨ ج ٦ من هذه الطبعة .

وليس هـذا مَذْهبي فى التاريخ . ومن شعر الشيخ بدر الدين حسن هـذا — رحمه الله تعالى — : [السريع]

الورد والنَّرجِسُ مُدّعايَـا * نَيْـلَوفرًا يلزمُ أنهـارَه
شَمَّرذا لخوْضِ عن ساقِهِ * وفكَّ ذا للعَـوْمِ أزْرارَه

وله فى مليح يُدْعَى موسى : [الرجز]

لما بدا كالبدرِ قال عاذِلِى * من ذا الذى قد فاق عن شمس الضُّحَا
فقلت موسى وٱستَفِق فإنه * أهونُ شىء عنده حَلْقُ اللِّحَى

وله عفا الله تعالى عنه : [الرجز]

يا أيها الساهون عن أُخرَاكُمْ * إنّ الهدايا فيكم لا تُعرَفُ
المالُ بِالميزانِ يُصْرفُ عندكُم * والعمر بينكُمُ جُزافاً يُصْرَفُ

وله قصيدة على رَوِىّ قصيدة كمال الدين علىّ بن النَّبِيه ، قد أثبتناها فى ترجمته فى المنهل الصافى ، أوّلُها : [البسيط]

جوانِحِى لِلِقا الأحبابِ قد جَنَحت (١) * وعادِياتُ مرامِى نحوَهم جَنحت

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين قُطْلُقتَمُر بن عبد الله العلائىّ صاحب الواقعة مع الأمير أَيْنَبك البدرىّ وغيره وهو ممن قام على الملك الأشرف شعبان وأخذ تقدمة ألف بالديار المصرية دفعةً فلم يتهنأ بها وعاجلته المنية ومات ولحِقه من بقِى من أصحابه بالسيف .

وتُوُفِّى الأمير طَشْتَمر اللَّفاف المحمدىّ مقتولا فى ثالث المحرّم وهو أيضا ممن قام على الملك الأشرف وصار أميرًا كبيرا أتابَك العساكر دفعة واحدة من الجندية ، وقد تقدّم ذكرُ هؤلاء الجميع فى أواخر ترجمة الملك الأشرف شعبان وفى أوائل ترجمة ولده الملك المنصور علىّ هذا .

(١) جنحت الأولى : بمعنى مالت والثانية بمعنى أسرعت .

وتُوفّى الأمير الكبير سيف الدين آقْتَمُر الصاحبى المعروف بالحنبلى نائب السلطنة بديار مصر، ثم بدمشق بها فى ليلة الحادى عشر من شهر رجب وكان من أجلّ الأمراء وأعظمهم، باشر نيابة دمشق مرتين وتولّى قبلها عدّة ولايات . ثم بعد النيابة الأولى لدمشق ولى نيابة السلطنة بالقاهرة وساس الناس أحسن سياسة وشُكِرت سيرتُه وكان وَقورا فى الدول مهابا وفيه عقلٌ وحشمة وديانة وكان سُمّى بالحنبلى لكثرة مبالغته فى الطهارة والوضوء .

وتُوفّى الأمير سيف الدين يَلْبغا بن عبد الله النظامى الناصرى، وكان أوّلا من خاصكية الملك الناصر حسن ثم تَرَقّى إلى أن صار أميرَ مائة ومقدّم ألف بمصر، ثم ولى نيابة حلب وبها مات فيما أظنّ وكان شجاعا مقداما .

وتوفى الأمير سيف الدين قرطاى أتابك العَساكر مخنوقا بطرابُلُس وقد تقدّم واقعته مع صِهره أَيْنَبك البدرى وهو أحد رءوس الفتن وممن ولى أتابكيّة العساكر من إمرة عشرة، وكان قتلُه فى شهر رمضان . وجميع هؤلاء من أصاغر الأمراء لم تَسْبِق لهم رياسة لِيُعْرَف حالُهم وإنما وثب كل واحد منهم على ما أراد فأخذَه، فلم تَطُلْ مدّتُهم وقَتَل بعضهم بعضا إلى أن تفانَوْا .

وتُوفّى القاضى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عُمَر بن السَّفّاح الحلبى الشافعى وهو عائد من الحج بمدينة بُصْرى[1] وكنيته أبو النُّسك ، ومَولِدُه فى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة بحلَب وبها نَشأ ووَلِىَ بها وكالة بيت المال ونظرَ الأوقاف وعِدّةَ وظائف أُخَر . وهو والد شهاب الدين أحمد كاتب سر حلب ثم مصر وكان كاتبا حَسَن التصرّف، ذَكَره [زَيْن الدين] أبو العِزّ طاهر بن حبيب فى تاريخه وأورد له نظما من ذلك .

[الدوبيت]

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

لا نِلْتُ مِن الوِصــالِ ما أمّلتُ * إن كان مَتَى ما حُلْتَ عَنّى حُلْتُ[(١)]
أحببتكم طِفــلًا وها قــد شِبْتُ * أَبْغِى بَــدَلًا ضـاق علىّ الوقتُ

وتُوُفّى الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين قوصون فى ثانى عشر ذى الحجّة وكان من جملة أمراء الطبلخاناه بمصر وله وجاهة فى الدول .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين أَلْطُنْبغا بن عبد الله السلاح دار المعروف بأبى دَرَقَة[(٢)] وكان أيضا من جُمْلة أمراء مصر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم خمسة أذرع وأربعــة وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا .

*
* *

السنة الثانية من سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان
على مصر وهى سنة ثمانين وسبعمائة

فيها كانت وقعة الأمير تمُــرباى الأفضلىّ التَّمُرداشىّ نائب حلب مع التُّرْكمان .

وتُوفّى العلّامة شمس الدين أبو عبد الله محمد آبن الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى الحسن بن علىّ بن جابر الأندلسىّ المــالكىّ الموارِىّ بحلب عن سبعين سنة ، وكان عالمــا بارعًا فى فنون كثيرة ، وله نظمٌ ونثرٌ وله مصنّفات كثيرة . ومن شعره :
[الخفيف]

وقفتْ للوَداعِ زينبُ لمّــا * رَحَلَ الرَّكْبُ والمدامعُ تُسْكَبْ
فالتقتْ بالبَنــانِ دَمْعى وحُلْوٌ * سَكْبُ دمعى على أصابع زَيْنَبْ

(١) زيادة عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٢٠٠ (أ)) .
(٢) فى الأصلين : (أبو درقة) وفى السلوك (ج ٣ ص ٣٢٦ أبو ثورة)

وتُوفّى الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين أبو محمد عبد الله ابن الشيخ سعد الدين سعد العَفيفىّ القَزْوينىّ الشافعىّ الشهير بابن قاضى القِرَم بالقاهرة فى ثالث عشر ذى الحجة عن نَيِّف وستين سنة. وكان من العلماء عارفا بعدّة علوم، كان يدرّس فى المذهبين: الحنفية والشافعية. وكتب إليه زَيْنُ الدين طاهر بن حبيب يقول:

[الخفيف] ٥

قل لربّ النَّدَى ومن طلبَ العلـ * ـمَ مُجِدًّا إلى سبيل السواءِ
إن أردتَ الخلاصَ من ظُلْمةِ الجَهْـ * ـلِ فما تهتدى بغير الضياءِ

فأجابه ضياء الدين:

قل لمن يطلب الهداية منّى * خِلْتَ لَمْعَ السَّراب بركةَ ماءِ
ليس عندى من الضياءِ شُعاعٌ * كيف تبغى الهُدى من اسم الضياءِ ١٠

وتُوفّى الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع المعتَقَد شهاب الدين أبو العباس أحمد المعروف ببادار بالقدس الشريف عن نيِّف وسبعين سنة، بعد أن كف بصره، وكان يعرف علم التصوّف وعلم الحَرْف جيِّدا وللناس فيه اعتقادٌ كبير. رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته.

وتُوفّى الشيخ صالح المعتَقَد أبو النُّسُك صالح بن نجم بن صالح المصرىّ المقيم ١٥ بزاويته بمُنْيَة الشَّيرج[1] من ضواحى القاهرة وبها مات ودُفِن فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان عن نيف وستين سنة، وكان على قَدَم هائل من العبادة والزُّهْد والوَرَع. وفيه يقول أبو العِزّ طاهر بن حبيب: [الطويل]

إذا رُمتَ وجهَ الخير فالشيخُ صالحٌ * عليك به فالقصدُ إذ ذاك ناجحُ
وحَىَّ هَلًا وأنشده فى الحى مُنْشِدًا * ألا كُلُّ ما قرّتْ به العينُ صالحُ ٢٠

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

وتُوُفّى الشيخ المعتَقَد الصالح المجذوب صاحب الكرامات الخارقة والأحوال العجيبة نَهَار المغربىّ الإسكَنْدرىّ بها فى يوم الأثنين سادس عشرين جمادى الأولى . وقيل يوم الثلاثاء ودفن بتربة الديماس داخل الإسكندرية — ومن كراماته : ما آتّفق له مع الأمير صلاح الدين خليل بن عَرّام نائب الإسكندرية ، وكان آبن عرام يخدُمه كثيرا ، فقال له الشيخ نَهار : يا بن عَرّام ! ما تموت إلّا موسَّطا أو مُسَمَّرا ، قبلَ قتل آبن عَرّام بسنين ، مرارا عديدة وآبن عرام يقول له : فى الغزاة : إن شاء الله تعالى ، فكان كما قال . وقد تقدّم ذلك .

وتُوُفّى الشيخ الصالح المعتَقَد عبد الله الجَبَرْتىّ الزَّيْلعىّ الحنفىّ فى ليلة الجمعة سادس عشر المحرّم ودُفِن بالقرافة وقبرُه معروف بها يُقْصَد للزيارة . وكان من عباد الله الصالحين : رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير شرف الدين موسى ابن الأَزْكُشىّ فى سادس عشر ذى القعدة بالمحلّة[(١)] من أعمال مصر وحُمل إلى داره بالحسينية[(٢)] وهو إذ ذاك من أمراء الطبلخانات وكان دَيِّنا عفيفا ، تولّى ولايات جليلة منها : الأستادارية العالية والحجوبية وآستقر فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حُسين مُشير الدولة وكان إذا رَكِب يَحْمِل مملوكه وراءه دواة ومرملة .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين أَطْلمُش بن عبد الله الدوادار أحدُ أمراء الألوف بديار مصر فى شهر ربيع الآخر[(٣)] بدمشق وقد أُخْرِج إليها منفيا على إمرة مائة وتقدمة

---

(١) سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٨ ص ٣٠٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ من الجزء الرابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) فى « م » : ربيع الأوّل وتصويبه عن « ف » .

ألف لمّا ملك برقوق و بركة ديار مصر وصار لهما أمرها ونهيها وكان من أعيان الأمراء وهو أيضا أحد من قام على الملك الأشرف شعبان .

وتُوفّى القاضى علاء الدين علىّ بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله ابن عَرَب مُحتسِب القاهرة فى ثالث عشر ذى الحجة بمكة بعد قضاء الحج .

٥ وتُوفّى الأمير علاء الدين علىّ بن كَلْبك شادّ الدواوين فى جُمادى الآخرة وكان وَلِى فى بعض الأحيان وِلايةَ القاهرة .

وتوفى الشيخ المُعَمَّر سَنَدُ الوقت صلاحُ الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله ابن الشيخ أبى عمر المقدسىّ، آخر من بقى من أصحاب ابن البخارىّ فى شوّال بصالحيّة دِمَشق[(1)] .

١٠ وتُوفّى الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهرى الكُرْدىّ نائب سيس وكان فقيها شافعيا فاضلا كاتبا .

قلت : و بنو شهرى معروفون : منهم جماعة إلى الآن فى قيد الحياة و يلى بعضُهم أعمال البلاد الحلبية فى زماننا هذا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وآثنان وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وخمسة أصابع وقيل أربعة عشر .

١٥

* * *

السنة الثالثة من سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

وهى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

فيها كان ركوب إينال اليوسفىّ على الأتابك برقوق وقد تقدّم ذكرُ الواقعة فى أصل هذه الترجمة .

٢٠ وفيها كان الكلام من الحائط كما تقدّم أيضا .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٥٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفيها تُوُفِّى الشيخ تقىّ الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن علىّ الواسطىّ الأصل المصرىّ المولد والوفاة الشافعىّ المُقْرِئُ المحدّث الشهير بابن البغدادىّ ، بعد ما عَمِى فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة ومولده ببغداد سنة سبع وتسعين وستمائة وكان ولى قضاء المالكية بدمشق مدّة ثم صُرف . كان فقيها تصدّر للإقراء بمدرسة[1] الحاج آل ملك والجامع الطولونى[2] وتولى مشيخة الحديث بالخانقاه[3] الشيخونية .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد ابن مَرْزُوق العَجِيسِىّ[4] التِّلِمْسَانىّ المغربىّ المالكىّ ، كان من ظُرفاء عصره ، ترقى عند الملك الناصر حسن حتى صار صاحب سرّه وإمامَ جُمُعَتـه ومِنْبره . ثم توجه فى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة إلى الأندلس خوفا من النَّكْبة ، ثم عاد إلى مصر وتولى عِدّة تداريس وكان له سماعٌ كثيرٌ وفضلٌ غزير .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام الأديب البارع المُفْتَنّ الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام المفتى شرف الدين عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ابن شادى بن هلال الطائىّ الطَّرِيفىّ القِيرَاطِىّ الشافعىّ بمكة المشرفة فى ليلة الجمعة

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٤) (بفتح العين المهملة وكسر الجيم وتحتية مهملة) نسبة إلى عجيس قبيلة من البربر . راجع ترجمة له فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٢٦٠) وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٧١) ، والشيخ مرزوق دفين الزاوية المالكية بصحراء قرافة السيدة نفيسة على يمين السالك من شارع السيدة نفيسة إلى الإمام الشافعى وهى زاوية صغيرة تابعة لوزارة الأوقاف مسجلة بلجنة الآثار ، بها عدّة قبور للسادة المالكية ، رحمهم الله .

العشرين من شهر ربيع الأوّل ودُفِنَ بالمَعْلَاة بعد صلاة الجمعة والطَّرِيفيّ[1] نخذٌ من طيئ والقيراطيّ نسبه إلى قِيراط[2] وهي بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية . ومولده ليلة الأحد حادى عشرين صفر من سنة ست وعشرين وسبعمائة . ونشأ بالقاهرة وطلب العلمَ ولازمَ علماءَ عصره إلى أن برَع في الفقــه والأصول والعربية ودرّس بعدّة مدارس وسَمِــع الكثير وبرَع في النظم وقال الشعر الفائقَ الرائقَ . وعندى أنه أقربُ الناس في شــعره لشيخه الشيخ جمــال الدين بن نُباتة مــن دون تلامذته ومعاصريه على ما سنذكره من شعره هنا وقد آستوعبنا نُبْذَةً كبيرة في المنهل الصافى ومن شعره : [السريع]

(١) يريد المؤلف : وطريف نخذ من طيئ .

(٢) ورد ذكر قيراط في الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٠ بالجزء السادس من هذه الطبعة ، ولما كان ذلك التعليق مختصرا رأيت أن أعيده وافيا بالآتى :

هذه القرية وردت في كتاب التحفة السنية لابن الجيعان باسم القيراط ، وكان يشترك معها في الزمام قرية أخرى وهي الشوبك التي تعرف اليوم باسم شوبك بســطة إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية بمصــر .

وفي العهد العثماني فصلت القيراط عن الشوبك وأصبحت ناحية قائمة بذاتها ، ولأن أراضى القيراط أصبحت وقفا باسم وقف شمس الدين الخولى ، فلما مسحت أراضى تلك الناحية في تاريع سنة ١٢٢٨ هـ قيد زمامها في دفتر المساحة باسم وقف شمس الدين الخولى . وبذلك اختفى اسم القيراط من عداد النواحى المصرية وظهر بدلا عنه اسم الوقف المذكور .

وفي سنة ١٩٠٣ م طلب الشيخ عطية منصور سالم النحال عمدة هذه البلدة تغيير اسمها باسم كفر النحال نســبه إلى جدّه ، فوافقت نظارة الداخلية على ذلك بقرار في ٢٨ مايو سنة ١٩٠٣ وبذلك اختفى أيضا اسم وقف شمس الدين وظهر بدلا عنه كفر النحال ضمن قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية .

وبسبب مجاورة هذا الكفر لمساكن مدينــة الزقازيق وإقامة الكثير من المبانى على أراضيه الزراعية واختلاط مساكنه بمساكن تلك المدينة ، أصدر مجلس مديرية الشرقية قرارا في ٢٩ مارس سنة ١٩٤٣ بإضافة هذا الكفر من الوجهة الإدارية على بندر الزقازيق مع بقائه ناحية مالية من جهــة الأطيان والصــراف .

تنفّس الصـــبحُ فجاءت لنـا * من نحـــوه الأنفاسُ مِسْـكيّهْ
وأطربتْ لي العُـــودَ قُمْرِيّةٌ * وكيف لا تُطْـــرِبُ عُودِيّهْ(١)

وله فى طبّاخ : [السريع]

هَوِيتُ طَبّاخًا له نَصْبَةٌ * نيرانُها للقلبِ جنّـاتُ
يكسِر أجفانًا إذا ما رَنَا * لها على الأرواحِ نَصْباتُ

وله أيضا : [السريع]

جَفْنِي وجفنُ الحِبِّ قد أحْرَزَا * وصفَيْنِ من نيـــلِك يا مصرُ
جَفْـــنِي له يومَ الوَداعِ الوفَا * وجَفْـــنه السّاجِي له الكَسْرُ(٢)

وله أيضا : [مخلّع البسيط]

لو لم يكن كَفُّـهُ غمـاما * ما أنبتَتْ فى الطروس زَهْـــرَا
نعـــم ولولاهُ بحـــرَ جُـــودٍ * ما أبرزَ اللّفـــظُ منـــه دُرّا

ومن شعره — رحمه الله تعالى وعفا عنه — قصيدته التى أوّلها(٣) :

[الكامل]

قَسَمًا بروضـــة خدّه ونَبَاتِهـا * وبآسِها المخضـــرِّ فى جَنَباتِهـا
وبسُـــورة الحسن التى فى خدّه * كتبَ العِـــذارُ بخطِّه آياتِهـا
وبقامـــةٍ كالغُصنِ إلا أنني * لم أجْنِ غيرَ الصّدِّ من ثمراتِهـا
لأُعَزِّرَنّ غصـــونَ بانٍ زوّدتْ * أعطافه بالقَطْـــعِ من عذَباتِهـا

(١) العودية : المطربة التى تجيد الضرب على العود .
(٢) كسر السدّ هو العيد المعروف اليوم بعيد وفاء النيل .
(٣) ذكرها المؤلف فى المنهل الصافى (ج ١ ص ١٩ (ب) .

وأبا كِرَن رياضَ وجنّتِــه التى * ما زَهْرَةَ الدنيا سِوَى زَهَراتها
ولأُصْبِحَنّ للــذّنى مُتيقّظيا * ما دامتِ الأيامُ فى غفلاتهـا
كم ليـلةٍ نادمتُ بدرَ سمائهـا * والشمسُ تُشرِقُ فى أكُفِّ سُقاتها
وجرتْ بنـا دُهْمُ الليالى للصّبَا * وكؤوسُنا غُـررٌ على جَبَهاتهـا
فصرفتُ دينارى على دينارِها * وقضيْتُ أعوامى على ساعاتهـا
خالفتُ فى الصّهباءِ كلّ مقـلِّدٍ[(١)] * وسعَيْتُ مجتهـدًا إلى حاناتها
فتحيّرَ الخمّـارُ أيْن دِنانُهـا * حتى اهتدى بالطِّيبِ من نَفَحاتها
نشـمتُـا ورأيتُهـا ولمستُها * وشربتُها وسمعتُ حسنَ صِفاتها
فتَبِعتُ كلَّ مُطاوِعٍ لا يختشى * عنـد ارتكابِ ذنو به تَبِعاتهـا
يأتى إلى اللذاتِ مِنْ أبوابهـا * ويَحُـجُّ للصّهْباء من مِيقاتهـا
عَرَفَ المُدامَ بحسنها وبنوعها * وبفضلهـا وصفاتها وذواتهـا
ياصاحِ قـد نَطَق الهَزَارُ[(٢)] مؤذنًا * أيليقُ بالأوتار طـولُ سُكاتها
خُذِ ٱرتِفاعَ الشمسِ مِن أقداحنا * وأقِم صـلاةَ ٱللّهوِ فى أوقاتها
إن كان عِندك يا شرابُ بقيّةٌ * ممـا تُزيلُ بهـا العقـولَ فهاتها
الخمرُ من أسمائها والدُّر من * تيجانهـا والمِسـك مِن نَسَماتها
وإذا العقودُ من الحَبَاب تنظّمت * إيّاك والتفريـطَ فى حبّاتهـا
أتحـرّك الأوتارِ إن نفوسَنَا * سكناتُهـا وقفٌ على حركاتهـا
دارَ العِذارُ بحُسنِ وجهك مُنْشِدًا * لا تخـرُجِ الأقمارُ عن هالاتهـا
كَسَراتُ جفْنك كلّمتْ قلبى فلم * يأتِ الصِّحاح لنـا بمثـل لُغاتها

---

(١) فى « م » : «لأعزّزن» .

(٢) الهزار كالسحاب : طائر حسن الصوت .

والبـدرُ يُستَرُ بالغيـوم ويَنجلي * كتنفُّسِ الحسناءِ في مرآتِهـا
وتلا نسـيمُ الروض فيهـا قارئا * فأمال مِن أغصانِهـا ألفاتِها
ومليحةٍ أرغمتُ فيهـا عاذِلي * قامت إلى وصـلي برغم وُشاتِها
لا مالَ وجهي عن مَطالعِ حُسْنها * وحيـاة طَلعة وجهها وحياتِهـا
يا خجلةَ الأغصانِ مِن خَطَراتِها * وفضيحةَ الغـزلانِ مِن لَفَتاتِهـا
ما الغصنُ مَيّاسًا سِوى أعطافِها * ما الوردُ مُحمرا سِـــوى وجناتِها
وعَدَتْ بأوقاتِ الوِصالِ كأنّهـا * ظنّتْ [(١)] سَـــلامَتَنا إلى أوقاتِهـا

وتُوُفِّي الشيخ المُسنِد المعمَّر ناصر الدين محمـــد الكُرْدِيّ الحَرَازِيّ المعـروف بالطَّبردار في ثامن عشر شهر ربيع الأوّل وكان سَمِع الكثير وتفرّد بأشياء كثيرة، منها . «كتاب فضل الخيـل» سَمِعه من مصنِّفه الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدِّمْياطيّ وهو آخر من روى عنه . ووقع لنا سماعُ فضل الخيل المذكور من طريقه عاليًا .

وتُوُفِّي الشيخ المُعتَقَد حسن المغـربيّ الصَّبّان الحاجاويّ في العشرين من شهر ربيع الأوّل بداره بالحُسَيْنية ودُفِن بباب النصر .

وتُوُفِّي الأمـير قارَا بنُ مُهَنّا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حَديثـة بن غَضْبَة ابن فضل بن ربيعة أمير آل فضل ومَلِك العـرب وكان كريما جليلا شجاعا مشكور السِّيرة . وتولّى عِوضَه إمرة آل فضل زامِل بن موسى .

وتُوُفِّي الشيخ الصالح المعتَقَد صالح الجَزيريّ ساكن جزيرة أَرْوَى [(٢)] أعني الجزيرة الوُسْطَى بها في رابع شهر ربيع الأوّل ودُفِن بزاويته بالجزيرة الوسطى .

(١) في الأصلين : «بياض» والتكلة عن المنهل الصافي (ج ١ ص ٢٠ ١ أ) .

(٢) الجزيرة الوسطى هي التي تعـرف اليوم بجزيرة بلاق أو الجزيرة الكبرى ، وسبق التعليق عليها عند الكلام على جزيرة أروى في الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ بالجزء التاسع من هـذه الطبعة ، وأما الزاوية فقد اندثرت وليس لها أثر اليوم بتلك الجزيرة .

وتُوفّي الأمير سيف الدين حَطَط بن عبد الله اليلبُغاوِيّ نائب حَماة بها . وتولى بعده الأمير طَشْتَمُر خازندار يَلْبغا أيضا . وكان حطط المذكور غيرَ مشكور السِّيرة وعنده ظُلْمٌ وعَسْفٌ وهو من الذين قاموا على أستاذهم يَلْبُغا العُمَرِيّ الخاصّكى حسب ما تقدّم ذكرُه .

وتُوفّي الأمير سيف الدين مَامَاق بن عبد الله المَنْجكيّ أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصريّة في يوم الخميس ثالث شعبان ودُفِن بتربته (١) عند دار الضِّيافة (٢) تُجاه قلعة الجبل .

(١) دلنى البحث على أنه كانت يوجد جبانة قديمة بالجهة القبلية من جامع قانباى الجركسى المجاور لدار الضيافة بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة بالقاهرة ، وأن تلك الجبانة كان بها عدّة ترب للأمراء وغيرهم ولابدّ أن يكون من بينها تربة ماماق المنجكى المذكور، لأنها كانت أقرب جبانة لدار الضيافة : وقد اندثر ما كان بها من الترب وأقيم في مكانها المساكن الحالية المجاورة لجامع السالف الذكر .

(٢) يستفاد مما ورد في كتاب الضوء اللامع للسخاوى في ترجمة الملك الظاهر أبي سعيد جقمق أنه لما مات سنة ٨٥٧ هـ ودفن بتربة قانباى الجركسى التى جدّدها عند دار الضيافة بالرميلة بالقرب من القلعة وكذلك ذكر في ترجمة قانباى الجركسى الأمير آخور أنه لما مات بدمياط في سنة ٧٦٦ هـ نقلت جثته إلى القاهرة ودفن بتربته التى جدّدها بالقرب من دار الضيافة ، ومدفون معه فيها أستاذه جاركس وآخرون .

ولما كان جامع قانباى الجركسى لايزال باقيا بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة بالقرب من القلعة بالقاهرة ، فقد بحثت عن مكان دار الضيافة عند ذلك الجامع فتبين لى أنها كانت واقعة تجاه الجامع من الجهة البحرية وقد اندثرت . ومكانها اليوم مجموعة المبانى التى تحدّ من الشرق بميدان السيدة عائشة ومن الشمال بعطفة الخيمى ومن الغرب المساكن المجاورة لها ومن قبلى عطفة رجب ثم مدخل شارع البقلى الذى يفصل الآن بين مكان دار الضيافة وبين الجامع الجركسى .

ولزيادة العلم أقول : إنه كان يوجد قبل دار الضيافة هذه دار ضيافة أخرى كانت واقعة بجوار القلعة من جهتها البحرية الشرقية ، يدل على ذلك : أولا — لما تكلم المقريزى في خططه على باب الدرفيل قال : ويتوصل إلى هذا الباب من تحت دار الضيافة — ثانيا : لما تكلم المقريزى في كتاب السلوك على الخانقاه النظامية التى أنشأها الشيخ نظام الدين إسحاق الأصبهانى القرشى قال : إن هذه الخانقاه واقعة على طرف الجبل خارج باب الوزير تحت دار الضيافة بالقاهرة — ثالثا : ذكر المقريزى كذلك في الكتاب المذكور أنه لما مات نظام الدين في سنة ٧٨٣ هـ دفن بخانقاته فوق الشرف بجوار دار الضيافة .

ولما كانت الخانقاه النظامية لاتزال آثارها قائمة إلى اليوم بشارع الدحديرة بالجهة الشرقية من القلعة بحثت عن دار الضيافة التى كانت بتلك الجهة فتبين لى أنها اندثرت ويدل على مكانها اليوم بقايا جامع قديم خرب يعرف بجامع السبع سلاطين أو جامع الترابى لوجود قبر الشيخ على الترابى فيه ، ويقع هذا الجامع بلصق سور القلعة من الجهة البحرية الشرقية ، والظاهر أنه أقيم داخل دار الضيافة هذه ، ولما أهملت وبنى بدلا عنها دار الضيافة بالرميلة وهى السابق الكلام عليها أهمل معها هذا الجامع ، وانتهى الحال بخراب الدار والجامع .

وتُوُفّى الأمير ناصر الدين محمد آبن الأمير أُلْجِيبُغَا العادلى نائب غَزّة بها، بعدما آستعفى فى سلخ جمادى الآخرة وتولى بعده نيابة غزة آقْبُغَا بن عبد الله الدّوادار .
وكان آبن أُلْجِيبُغَا هذا شجاعاً مِقداما وله حُرمة ووقار فى الدولة .

وتُوفّى الأمير حاجّى بك بن شادى أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها فى هذه السنة .

وتُوُفّى الطواشى زَيْن الدين ياقوت بن عبـد الله الرّسولىّ شيخ الخدّام بالمدينة النبويّة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — فى ليـلة الجمعة سابع عشرين شهر رمضان — وكان من أعيان الخدّام، له وجاهةٌ فى الدول وثروةٌ كبيرة .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين سَطْلَمُش بن عبدالله الجَلالى بدِمَشق فى ذى القعدة . وكان أوّلا من جملة أمراء مصر ثم نُفِى منها على إمرة فى دمشق .

وتُوُفّى القاضى شمس الدين محمد بنُ أحمد بن مُنْهِر أحدُ موقّعى دمشق بهـا فى شوّال عن نحو الأربعين سنة وهو أخو القاضى بدر الدين محمد بن مُنْهِر كاتب سرّ مصر .

وفيها كان الطاعون بالديار المصرية وضـواحيها ومات فيها عالَم كثير جدّا .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم سـتة أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وإصبعان . والله أعلم .

*
* *

السنة الرابعة من سلطنة الملك المنصور علىّ على مصر

وهى سنة آثنتين وثمانين وسبعمائة .

فيها كانت الوقعة بين الأتابَك بَرْقُوق العثمانىّ اليَلْبُغَاوىّ وبين خُشداشـه زَيْن الدين بَرَكة الجُوبانىّ اليلبُغاوىّ ومُسِك بركة وحُبِس ثم قُتـل حسب ما تقدّم ذكره وحسب ما يأتى أيضا فى الوفيات .

وفيها حضر من بلاد الجَرْكس الأميرُ آنص والد الأتابَك برقوق وأخواتُه النسوة كما تقدّم ذِكْرُه .

وفيها قُتِل ابن عَرّام وقد تقدّم ذكره وكيفيةُ تَسْميرِه في أواخر ترجمة الملك المنصور هذا، فلا حاجة لذكر ذلك ثانيا .

وفيها تُوُفّى مَامَاى ملك التتار وحاكمُ بلاد الدَّشْت[1] وكان ولِيَ المُلْك بعد كلدى بك خان في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وكان من أجلّ ملوك الترك وأعظمهم، ومات قتيلًا .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلّامة جلال الدين محمد[2] المعروف بجار الله ابن الشيخ قُطْب الدين محمد بن الشيخ شرف الدين أبي الثناء محمود النَّيْسابُوري الحنفيّ قاضي قضاة الديار المصرية عن نيِّف وثمانين سنة، بعد أن حكم خمس سنين وكانت ولايتُه بعد آبن منصور، وتولّى القضاء بعده صدر الدين بن منصور ثانيا . وكان عالما بارعا في فنون من العلوم وتولى مشيخةَ الصَّرْغتمشيّة بعد موت العلامة أرْشَد الدين السَّرائيّ ، وفيه يقول الأديب أبو العِزّ زَيْن الدين بن حبيب — رحمه الله تعالى — : [الكامل]

لله جارُ الله حاكِمُنا آلذي * ما مِثْلُه يُسْعى له ويُزارُ
حُبًّا له وكرامةَ مِن ماجِدٍ * حَسُنَت خلائِقُه ونِعْم الجارُ

ورثاه شهاب الدين بن العطار . [البسيط]

قاضي القضاةِ جلالُ الدينِ مات وقَدْ * أعطاه ما كان يرجو بارئُ النَّسَمِ
حاشاه أن يُحْرِمِ آلراجى مكارِمَهُ * أو يرجع الجارُ منه غيرَ مُحْتَرَمِ

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٥ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لهذه البلاد .

(٢) ذكره المؤلف ترجمة ممتعة في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٦١ (أ) .

وتُوُفّى الأمير الكبير زَيْن الدين بَرَكَة بن عبد الله الجُوبانِىّ اليَلْبُغاوِىّ رأس نَوْبة الأمراء وأطَابَك الديار المصريّة مقتولا بثغر الإسكندرية بيد صلاح الدين خليل آبن عَرّام نائب الثغر المذكور فى شهر رجب. وقد ذكرنا ماوقع لآبن عرّام بسببه من الضرب والتّسمير والتّقطيع بالسيوف فى ترجمة الملك المنصور هـذا. كان بركة من مماليك يَلْبُغا وصار من بعده فى خدمة أولاد الملك الأشرف شعبان إلى أن كانت قَتَلَةُ الملك الأشرف شعبان، قام هو وخُشداشُـه بَرْقُوق مع أَيْنَبَك فأنعم أينبك على كلّ منهما بإمْرَة طبلخاناه دَفْعــة واحدة من الجُندية ونَدَبهما بعــد شهر للسفر مع الجاليش إلى الشام فآتّفق بركةُ هــذا مع خُشْداشيته ووثبوا على أخى أَيْنَبَك حتى كان من أمر أينبك ماذكرناه، صار بركة هذا أميرَ مائة ومقدّم ألف هو و برقوق وأقام على ذلك مُدّة. ثم آتفق مع برقوق وخشداشيته على مَسْك الأمير طَشْتَمُر العلائىّ الدّوادار فمُسِك طشتمر بعد أن قاتلهم، ومن يوم ذاك آستبدّ برقوق بالأمر و بركةُ هذا شريكه فيسه وصار برقوق أتابك العساكر و بركة أطابكَ رأس نَوْبة الأمراء، وحَكَما مصر إلى أن وقع الخُلْف بينهما وتقاتلا، فآنتصر بَرْقوق على بَرَكة هذاوأمسكه وحبَسه بثغر الإسكندرية إلى أن قتــله آبن عَرّام، حسب ما تقدّم ذِكْرُ ذلك كلّه فى ترجمة الملك المنصور. وإنما ذكرناه هنا ثانيا تنبيها لِمـا تقدّم، فكان بركة مَلِكا جليلا شُجاعا مُهابا تركىّ الجنس وفيه كرمٌ وحِشْمة وله المـآثر بمكة المشرّفة و بطريق الحجاز الشريف وغيره. رحمه الله تعالى.

وتُوُفّى[1] قاضى القضاة جلال الدين أبو المعالى محمد آبن قاضى القضاة نجم الدين محمد آبن قاضى القضاة فخــر الدين عثمان بن جلال الدين أبى المعـالى علىّ بن

---

(١) ترجم له صاحب الدرر الكامنة ترجمة لا بأس بها (ص ١٩٧ ج ٤).

شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الزُّرَعِيّ الشافعيّ سِبْط الشيخ جمال الدين الشَّرِيشيّ في هذه السنة وقد قارب الأربعين سنة ، وكان قد وَلِي قضاء حَلَب وحُمِدت سيرتُه .

وتُوُفِّي الوزيرُ الصاحبُ تاجُ الدِّين عبد الوهّاب المكّيّ المعروف بالنَّشْو في المُصادرة تحت العقوبة عن نَيِّف وستين سنة، بعد أن وَلِي الوزارة أربع مَرّات . وكان مشكورًا في وزارته محسنًا لأصحابه . وهذا النَّشْوُ غيرُ النشوِ[1] الذي تقدّم ذكره في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيف الدين مَنْكَلِي بُغَا بن عبد الله الأحمديّ البلديّ نائب حلب بها ودُفِنَ خَلْفَ تُربة قُطْلُوبُغَا الأحمديّ بين الجَوْهريّ والجمالية. وكان من أجلّ الأمراء وممّن طالت أيامُه في السعادة ، وَلِي نيابة طَرَابُلُس وحَماة وحَلَب مرّتين ، مات في الثانية وعِدّةَ وظائف بالديار المصريّة ، وكان حازما هَيُوبا كريما ذا مُروءة كاملة وتَحَشُّم . وكان يقول: كلُّ أمير لا يكون مصروف سِماطِه نِصْفَ إقطاعه ما هو أمير .

وتُوُفِّيَ الأمير الطَّواشي زَيْن الدين مختار السَّحَرْتِيّ الحبشيّ مقدّم المماليك السلطانية وكان صاحبَ معروف وصدقة وفيه كرمٌ مع تَحَشُّم .

وتُوُفِّيَ قاضي القضاة شرف الدين أبو العباس أحمد بن نور الدين عليّ بن أبي البركات منصور الدِّمشقيّ الحنفيّ قاضي قضاه الديار المصريّة، ولِيَها ثم عَزَل نفسه وكان من أعيان العلماء . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام نورُ الدين أبو الحسن عليّ بن أُخْاوِيّ (بالجيم) أحدُ فقهاء المالكيّة في رابع عشر ذي الحجة، بعد ما أفْتَى ودرَّس وأشغلَ .

(١) راجع ص ٣٢٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد له ترجمة وافية .

وتُوُفّى الشيخ الإمام المقرئ شمس الدين أبو عبدالله المعروف بالحكْرِى الشافعى فى ذى الحجة بالقاهرة، وكان فقيها فاضلا بارعا فى القراءات .

وتُوُفّى الشيخ الصالح المعتقـد زَيْن الدين محمد بن المَوّاز فى شهر ربيع الأوّل، وكان صاحب عِبادة وللناس فيه آعتقاد حسن .

وتُوُفّى الشيخ الإمام شمس الدين محمـد بن نجم بن عمر بن محمد بن عبد الوهّاب آبن محمد بن ذُؤَيْب الأسدىّ الدِّمَشقى المعروف بآبن قاضى شهبة أحد أعيان الفقهاء الشافعية فى ثامن المحرّم . ومولده ليلة الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الأوّل سـنة إحدى وتسعين وستّمائة بِدمَشْق . وكان بارعًا فقيها مدرّسا مفتيًّا .

وتُوُفّى الشيخ زَيْنُ الدين أبو محمد حِجّىّ بن موسى بن أحمد بن سعد السَّعْدِىّ الحُسْبَانىّ الشافعىّ الدِّمشقىّ فى ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، وكان أحدَ فقهـاء الشافعيـة بدمشق ، وحِجّىّ هـذا هو والد بنى حِجّى رؤساء دِمَشق فى عصرنا . إنتهى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم سـتة أذرع وستة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع — إنتهى .

ذكر سلطنة الملك الصالح حاجىّ الأولى على مصر

السلطان الملك الصالح صـلاح الدين أمـير حاج آبن السلطان الملك الأشرف شعبان آبن الأمير الملك الأمجد حسين آبن السلطان الملك الناصر محمد آبن السلطان الملك المنصور قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية .

تسلطن بعـد وفاة أخيه الملك المنصور علاء الدين علىّ فى يوم الآثنـين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة .

وخبرُ سلطنته أنه لمّا مات أخوه الملك المنصور علي تكلّم الناس بسلطنة الأتابَك برقوق العثمانيّ وأُشيع ذلك فعظُمت هذه المقالة على أكابر أمراء الدولة وقالوا : لا نرضى أن يتسلطن علينا مملوكُ يلبغا وأشياء من هذا النّمط، وبلَغ برقوقا ذلك ، فخاف ألّا يتمّ له ذلك ، فجمع برقوق الأمراءَ والقضاةَ والخليفةَ في اليوم المذكور بباب الستارة بقلعة الجبل وتكلم معهم في سلطنة بعض أولاد الأشرف شعبان، فقالوا له : هذا هو المصلحة وطلبوهم من الدور السلطانية وحضر أمير حاج هذا من جملة الإخوة ، فوجدوا بعضهم ضعيفا بالجُدَري والبعض صغيرا ، فوقع الاختيار على سلطنة أمير حاج هذا، لأنه كان أكبرهم ، فبايعه الخليفة وحلَف له الأمراءُ و باسوا يَده ثم قبّلوا له الأرض ، ولُقّب بالملك الصالح وهو الذى غيّر لقبَه في سلطنته الثانية بالملك المنصور، ولا نعرف سلطانا تغيّر لقبُه غيرَه، وذلك بعد أن خُلِع برقوق وحُبِس بالكَرَك على ما سنذكره إن شاء الله تعالى مفصّلا في وقته — انتهى .

ولمّا تمّ أمرُ الملك الصالح هذا ألبسوه خِلْعة السلطنة وركب من باب الستارة بأُبّهة المُلْك و برقوق والأمراء مشاةٌ بين يديه إلى أن نزل إلى الإيوان بقلعة الجبل وجلس على كرسيّ الملك وقبّلت الأمراءُ الأرضَ بين يديه، ثم مُدّ السِّماط وأكلت الأمراءُ . ثم قام السلطان الملك الصالح ودخل القصر وخلَع على الخليفة المتوكّل على الله خِلْعةً جميلةً ونُودِي بالقاهرة ومصر بالأمان والدعاء للملك الصالح حاجّي وخلَع على الأتابك واستقرّ على عادته أتابك العساكر ومدبّر الممالك لصغر سنّ السلطان ، وكان سنّ السلطان يوم تسلطن نحوَ تسع سنين تخمينًا .

ثم في سابع عشرين صفر المذكور جلس السلطان الملك الصالح بالإيوان للخدمة على العادة . ثم قام ودخل القصر، بعد أن حضر الخليفةُ والقضاةُ والأمراءُ والعساكرُ

وقرئ تقليدُ السلطان الملك الصالح عليهم ، وعند فراغ القراءة أخذ بدرُ الدين محمد ابن فضل الله كاتب السر التقليد وقدّمه للخليفة فعَـلَّم عليه بخطّه وخلَع السلطان على القضاة وعلى كاتب السرّ المذكور . وانفضّ الموكب وأخذ برقوق فى التكلّم فى الدولة على عادته من غير معانِد وفى خدمته بقية الأمراء يركبون فى خدمته وينزلون عنـده ويأكلون السّماط .

وأما القضـاة والنوابُ بالبـلاد الشاميّة وأرباب الوظائف بالديار المصريّة فى هذه الدولة ، فكان أتابك العساكر برقوق العثمانىّ اليَلْبُغاوى ورأس نَوْبة الأمراء أيْتَمُش البجاسىّ وأمير سلاح عَلّان الشّعبانىّ وأمير مجلس ألْطُنْبُغا الجُوبانىّ اليلْبُغاوىّ والدوادار الكبير آلابُغَـا العثمانىّ والأمير آخور جَرْكس الخليـلىّ وحاجب الحجّـاب مأمـور القَلْمطاوى اليَلْبُغـاوى وأسـتادار العاليـة بهادُر المَنْجَكىّ ورأس نوبة ثانى — أعنى رأس نَوْبة النّوب فى زماننا — قَرْدَم الحَسَنى وهـؤلاء غير نائب السلطنة وهو الأمير آقْتَمُر عبد الغنى وغير أيدمر الشمسى وهما من أجل الأمراء وأقدمهم هجرة ، يجلس الواحد عن يمين السلطان والآخَر عن يساره .

والقضاة : الشافعىُّ برهان الدين بن جماعة والحنفىُّ صـدرُ الدين بن منصور والمـالكىُّ عَلَم الدين البساطىّ والحنبلىُّ ناصرُ الدين العسقلانىّ وكاتب السر بدر الدين ابن فضل الله العُمَرى والـوزير شمس الدين المقسى وناظـر الجيش والمحتسب جمال الدين محمود القَيْصَرى العَجَمىّ وناظر الخاصّ هو ابن المقسى أيضا ، ونائب دِمَشْق إشْقَتَمُر المـارِدِينى ونائب حلب إينال اليوسفىّ ونائب طَرَابُلُس كَمَشْبُغَا الحَمَوى ونائب حَمَاة طَشْتَمُر القاسمى ونائب صفد الأميرُ الكبير طَشْتَمُر العلائىّ ، نُقِـلَ إليها من القُدْس ونائبُ غزّة آقْبُغا بن عبد الله ونائب إسكندريّة بَلُّوط الصَّرْغَتْمشىّ .

والذين هم معاصروه من ملوك الأقطار : صاحبُ بغداد وتبريز وما والاهما الشيخ حُسَيْن بن أُوَيْس وصاحبُ ماردين الملك الظاهر مجد الدين عيسى وصاحب اليمن الملك الأشرف ابن الملك الأفضل وصاحب مكّة الشريف أحمد بن عَجْلان وصاحب المدينة الشريفة عطية بن منصور وصاحب سيواس القاضي برهان الدين أحمد وصاحب بلاد قَرَمان الأمير علاء الدين وصاحب بلاد سَمَرْقَنْد وما والاها تَيْمورلَنْك كوركان وصاحب بلاد الدَّشْت طُقْتَمُش خان من ذرية جنْكِزخان انتهى.

ولمّا كان يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر: أنعم على الأمير تَغْرِى بَرْمش بتقدمة ألف بديار مصر بعد وفاة أمير علىّ بن قَشْتَمُر المنصوري . ثم أنعم على سُودُون الشيخوني بتقدمة ألف أيضا وٱستقرّ حاجبا ثانيا عوضا عن علىّ بن قَشْتَمُر المنصوري . ثم بعد مدّة ٱستقرّ تغرى برمش المقدّم ذكْرُه أميرَ سلاح بعد وفاة علّان الشعبانىّ . ثم ٱستقرّ مأمور القَلَمْطاوى حاجب الحُجّاب في نيابة حَماة بعد وفاة طَشْتَمر خازندار يَلْبُغا العمرى .

ثم طُلِب يلبغا الناصرى من دِمَشق وكان منفيًّا بها على تقدمة ألف ، فحضر في آخر شعبان، فتلقاه الأتابك برقوق والأمراء وترجَّلَ له برقوق وأركبه مركوبا من مراكيبه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة وأجلس راس مَيْسرة فوق أمير سلاح فلم تَطُل مدّته بديار مصر وأخلع عليه بنيابة حلب في يوم الخميس ثانى شوّال بعد عزل إينال اليوسفى وطلَبه إلى مصر، فلما وصل إينال إلى غَزّة قُبِض عليه وأُرسِل الى سجن الكَرَك. ثم أنعَمَ الأتابك برقوق على دواداره الأمير يُونُس النَّوْرُوزى بتقدمة ألف بمصر عوضا عن يلبغا الناصرى وخَلَع على الأمير جَركس الخليلى الأمير آخور الكبير وٱستقرّ مُشيرَ الدولة ورَسَم للوزير الا يتكلم في شيء إلّا بعد مراجعته.

وفى العشر الأخير من شوّال أنعم على قُطْلُوبُغا الكُوكَائِى بتقدمة ألف بعد وفاة الأمير آنص والد الأتابك برقوق العثمانى الذى قَدِم قبل تاريخه من بلاد الجَرْكَس، يأتى ذكرُ وفاته فى الوفيات .

ثم فى يوم الاثنين تاسع ذى الحِجّة من ســنة ثلاث وثمانين وسبعمائة تَخلّى الأمير تَغْرِى بَرْمِش أمير ســلاح عن إمرته ووظيفته وتوجّه إلى جامــع قَوْصُون ليُقيم به بطّالا ، فأرْسَل الأتابك إليه الأمير سُودُون الشيخونى الحاجب الثانى وقَرْدَم الحَسَنِى رأس نوبة وتوجّها إليـــه وسألاه أن يرجع إلى وظيفتـــه وإمرته فلم يَرْجِـع لها ، فعادا بالجواب إلى برقوق بذلك .

ثم إنّ تَغْــرِى برمش المذكور نَدِم من ليلته وأرســل يسأل الشيخ أكمل الدين شيخ الشيخونية أن يسأل برقوقا أن يُعيده إلى إمرته ووظيفته فأرسل أكمل الدين إلى برقوق بذلك فلم يَقْبل برقوق ورَسَم بخروجه إلى القُدْس ماشيًا ، فأخرجه النُّقَبَاءُ إلى قُبة النصر ماشيا . ثم شُفِــع فيه فركب وسار إلى القدس .

ثم فى العشر الأخير من شعبان أجرى جركس الخليــلى الأمير آخور المــاء إلى الميدان من تحت القلعة إلى الحَوْض الذى على بابه .

قلت : وإلى الآن الحَوْض باقٍ على حاله بلا ماء .

ثم فى التــاريخ المذكور أَخْرَجَ الأميرُ جركس الخليلى فلوسًا جُدُدًا من الفــلوس العتق، منها فَلْس زِنَتُه أوقيّة بربع دِرْهم وفَلْس زنته نصف أوقية وفَلْسٌ بفلسين. فلما فعل ذلك وقف حال الناس وحصل الغــلاء وقَلّ الجالبُ ، فلمّا بلغ الأتابك برقوقا أمَر بإبطالها، وفى المعنى يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار — رحمه الله تعالى : [البسيط]

تغييرُ عُتْقِ فُلُوسٍ قد أضرَّ فَكَمْ * حوادِثٍ جُدَدٍ جَلّت مِن العددِ
فكيف تمشى علاقاتُ الأنامِ إذًا * والحال واقفةٌ بالعُتْقِ والجُدَدِ

وقالت العامّة — لمّا فعل الخليلى ذلك ورَسَم بنقش آسمه على الفلوس — :
الخليلى من عكسو، نقش آسمو على فلسو . انتهى .

ثم حضر إلى الديار المصرية فى ذى الحجّة الأمير كَمُشْبُغا الحَمَوى نائب طرابُلُس وكان السلطان والأتابك بَرقوق فى الصيد بناحية كُوم بَرّا (١) ؛ فأُخلع السلطان عليه بآستقراره على نيابة طرابُلُس .

ثم فى يوم الخميس ثالث المحرّم سنة أربع وثمانين وسبعمائة آستقرّ سُودُون الفخرى الشيخونى حاجب الحجاب بالديار المصرية، وكانت شاغرة من العام الماضى منذ توجّه مأمور القَلَمْطاوى إلى نيابة حَماة .

ثم أرسل الأتابك برقوق بَكْلَمُش الطازى العلائى إلى دِمياط (٢) لإحضار بَيْدَمُر الخُوارَزْمى المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه فحضر فى العشرين من المحرّم وتلقّاه الأتابك برقوق من البحر (٣) وخَلَع عليه باستقراره فى نيابة دِمَشق على عادته عوضا عن إشقتمُر المارديني .

وفى سَلْخ صفر تولّى القاضى بدر الدين بن أبى البقاء قضاء الشافعية بديار مصر عوضا عن قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة ورَسَم بانتقال مأمور القلمطاوى من

(١) هى من القرى المصرية القديمة اسمها المصرى « أربت » وقد وردت فى المشترك لياقوت الحموى باسم كوم بورى بكورة الجيزية . وفى قوانين الدواوين لابن مماتى : « كوم برا » وفى تحفة الإرشاد : « كوم برى » ثم حرف إلى « كوم بره » وهو اسمها الحالى وتكتب كذلك كومبره وهى إحدى قرى مركز إمبابة بمديرية الجيزة بمصر، ويبلغ مساحة أراضيها الزراعية حوالى ألف فدان ، وعدد سكانها حوالى ألفى نفس .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٣) المقصود من البحر أنه تلقاه عند قدومه بنهر النيل عند بولاق .

نيابة حَماة إلى نيابة طَرابُلُس عوضا عن كَمَشْبُغا الحموى بحكم آنتقال كمشبغا إلى دمشق على خبز جَنْتَمُر أخى طاز بحكم توجُّه جنتمر إلى القُدْس بطّالا ونُقل إلى نيابة حماة الأمير الكبير طَشْتَمُر العلائى الدَّوادار الذى كان قبل تاريخه حكمَ مصر ، وتولّى نيابة صَفَد بعد طشتمر الدوادار تِلُو حاجب حُجّاب دمَشق .

وفى العشر الأوسط من شعبان نام الأتابك بَرْقُوق بمَبِيته بسكنه بالإسطبل السلطانىّ وقَعد شيخ الصَّفَوىّ الخاصكى يُكَبِّسه و بينما هو نائم مَسَكه شيخ المذكور فى جنبه قوِيًّا خارجًا عن الحدّ ، فقعد برقوق من آضطجاعه وقال له : ما الخبر؟ فقال: إنّ مملوكك أيْتَمُش آتفق مع مماليك الأسياد الذين فى خدمتك ومعهم بُطا الأشرفىّ على أنهم الساعة يقتلونك ، فسكت برقوق وجلس على حاله ، فإذا أيتمش المذكور دخلَ عليه فقام برقوق وأخذ بيده قوْسًا وضربه به ضَرْبةً واحدةً صَفَحا أرماه وأمر بمَسْكه وقال له : يا مُتَخَنِّث ! الذى يأخذ المُلْك ويقتُل الملوك يقع من ضربة واحدة . ثم مَسَك بُطا الخاصّكى وخرج برقوق وجلس بالإسطبل وطلب سائر الأمراء الكِبار والصغار، فطلع الجميع إليه فى الحال فكلّمهم بما سَمِع وجَرى ثم أمسك من مماليك الأسياد نحو سبعة عشر نفرا، منهم : كُزل الحَطَطِىّ ، ويَلْبُغا الخازندار الصغير وجماعة من رءوس نُوَب الجَمَدارِيّة عنده .

ثم فى صبيحة نهاره أمسكَ جماعةً من رُءوس نُوَب الجمدارية وجماعةً أخر تتمة خمسة وستين نفرا من مماليك الأسياد وهَرَب مَنْ بَقِى منهم . فالذين كان قَبَض عليهم اول يوم حبَسهم بالبُرْج[1] من قلعة الجبل والذين مَسَكهم من الغَد حبَسهم بخزانة شمائل[2] . ثم أنزِل بُطا الخاصّكى الأشرفىّ وأيْتَمُش إلى خزانة شمائل . ثم أمسك الأتابك

(١) راجع الحاشية رقم ٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة

برقوق الأميرَ ألَابُغا العثمانى الدوادار الكبير وأحدَ مقــدّمى الألوف بالديار المصرية وسجنه. ثم أخرجه على إمرة طبلخاناه بطرابُلُس. ثم نقله بعــد مدّة يسيرة إلى تقدامة ألف بدمشق .

ثم فى يوم السبت مستهلّ شهر رمضان أَخرَج برقوق من خِزانة شمـائل ثلاثةً وأربعين مملوكاً من الممسوكين قبل تاريخه، وأمر بتخشيبهم وتقييدهم ومَشَوْا وهم مُزَنْجَرين بالحديد. ومعهم سودُون الشَّيْخونىّ حاجب الحُجّاب ونقيب الجيش إلى أن أوصلوهم إلى مصر القديمة وأنزلوهم إلى المراكب، وصحبتهم جماعةٌ من الجبليّة فتوجّهوا بهم إلى قُوص .

وكان سبب اتفاق هؤلاء المماليك على برقوق وقتـله بسكنه ببـاب السلسلة لفُرْصة كانت وقعتْ لهم باشتغال الأمير جَرْكَس الخليلى الأمير آخور بجسْرٍ كانَ عَمّره بين الروضة ومصر فى النيل .

وخبرُه أنه لمّا كان فى أوائل شهر ربيع الأوّل من هــذه السنة اهتمّ الأمـير جركس الخليلىّ المذكور فى عمـل جِسر بين الروضة[1] و بين جزيرة أَرْوَى[2] المعروفة بالجـزيرة الوُسْطَى، طوله نحــو ثلاثمائة قصبة وعَرْضُــه عشر قَصَبات وأقام هو بنفسه على عمله ومماليكه وجعل فى ظاهر الجسر المذكور خوازيق[3] من سنط وسمّر عليها أفلاق نخل، جعلها على الجسر كالستارة تقيه من المـاء عند زيادته، وانتهى العمل منه فى آخر شهر ربيع الآخر. ثم حَفَرَ فى وسط البحر خليجا من الجسر المذكور إلى زربيــة قَوْصُون[4] ليمرّ المـاء فيه عند زيادته . و يصير البحر ممرّه دائما منه صيفا

(١) هذا الجسر سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) فى الأصلين : « هرانيق من سنط » وما أثبتناه عن هامش « م » .

(٤) زربية قوصون سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وشتاء، وغُرِّمَ على هذا العمل أموالا كثيرة فلم يحصل له ما أراد على ما يأتى ذكره .

وفى هذا المعنى يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار . [الخفيف]

شَكَتِ النِّيلَ أرضُهُ * لِلخليــلى فأحْـضَرَهْ
ورأى المـاء خائفًا * أن يطَـأْهَا بجِسْرِهْ

وقال فى المعنى شرف الدين عيسى بن حَجّاج العَالِيَة — رحمه الله تعالى — [الكامل]

جِسْرُ الخَلِيلِى المقرّ لقـد رَسَا * كالطَّوْدِ وَسْطَ النِّيل كيف يُرِيدُ
فإذا سألتُم عنهما قلنـا لـكم * : ذا ثابتٌ دهرًا وذاك يَزِيدُ

فهذا هو الذى كان أشغل الخليـلى عن الإقامة بالإسطبل السلطانى . وأيضا
١٠ لمـا كان خَطَر فى نفوسهم من الوثُوب على الملك فإنه من يوم قُتِل الملكُ الأشرف شعبان وصار طَشْتَمُر اللَّفَّاف من الجُنـدِيّة أتابك العساكر . ثم من بعـده قَرَطَاى الطازى . ثم من بعده أَيْنَبَك البَـدْرى . ثم من بعده قُطْلُقْتَمر . ثم الأتابك بَرْقوق وبَرَكَة، وكُلٌّ من هؤلاء كان إمّا جنديّا أو أمير عشرة وترقّوا إلى هذه المنزلة بالوثُوب وإقامة الفتنة، طَمِـع كلُّ أحد أن يكون مثلَهم ويفعلَ ما فعلوه فذهب لهذا المعنى
١٥ خلائق ولم يصلوا إلى مقصودهم . انتهى .

واستمرّ الأتابك برقوق بعد مَسْك هؤلاء فى تَخَوُّف عظيم واحترز على نفسه من مماليكه وغيرِهم غايةَ الاحتراز. فأشار عليه بعد ذلك أعيانُ خُشْداشيّته وأصحابهُ مثلُ: أَيْتَمُشُ البَجاسِى وأَلْطُنْبُغا الجُوبانى أمير مجلس وقُرْدُم الحسنىّ وجَرْكَس الخليلى ويُونُس النَّوْرُوزِىّ الدوادار وغيرهم - أنْ يتسلطن ويَحْتَجِبَ عن الناس ويستريح ويُرِيح مِنْ
٢٠ هذا الذى هو فيــه من الاحتراز من قيامه وقُعُوده. فجَبُنَ عن الوثوب على السلطنة وخاف عاقبــة ذلك فاستحثَّه مَنْ ذكرناه من الأمراء، فاعتــذر بأنّه يَهابُ قُدَماءَ

الأمراء بالديار المصريّة والبلاد الشامية، فركب سُودون الفخرى الشيخونى حاجبُ الحُجّاب ودار على الأمراء سِرًّا حتّى آسترضاهم، ولا زال بهم حتّى كلّموا برقوقاً فى ذلك وهوّنوا عليه الأمر وضَمِنُوا له أصحابهم من أعيان النُّوّاب والأمراء بالبلاد الشامية، وساعدَهم فى ذلك موتُ الأمير آقتَمُر عبد الغنى، فإنّه كان من أكابر الأمراء، وكان برقوق يجلس فى المَوْكب تحته لقِدَم هِجْرته وكذلك بموت الأمير أَيْدَمر الشَّمْسِى، فإنه كان أيضا من أقران آقتمر عبد الغنى فماتا فى سنة واحدة على ما يأتى ذكرهما فى الوفيات — إن شاء الله تعالى .

فعند ذلك طابَتْ نفسُه وأجابَ، وصار يُقَدِّم رِجْلا ويؤخِّرُ أُخْرى، حتّى كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة طلعَ الأميرُ قُطْلُوبُغَا الكُوكَائِى أميرُ سلاح وأَلْطُنْبغا المعلّم رأس نَوْبة إلى السلطان الملك الصالح أمير حاجّ صاحب التَّرْجمة، فأخذاه من قاعة الدّهيشة(1) وأدخلاه إلى أهله بالدور السلطانية، وأخذا منه النَّمْجاة وأحضراها إلى الأتَابك بَرْقوق العثمانى، وقام بقيّة الأمراء من أصحابه على الفَوْر وأحضروا الخليفةَ والقُضاة وسلطنوه، على ما سنذكره فى أوّل ترجمته، بعد ذكر حوادث سنين الملك الصالح هذا على عادة هذا الكتاب . إن شاء الله تعالى .

وخُلِع الملك الصالح من السلطنة، فكانت مدّةُ سلطنته على الديار المصريّة سنةً واحدةً وسبعةَ أشهر تنقص أربعةَ أيام، على أنه لم يكن له فى السلطنة من الأمر والنهى لا كثيرٌ ولا قليلٌ . وآستمرّ الملك الصالح عند أهله بقلعة الجبل إلى أن أُعيد للسلطنة ثانيا، بعد خَلْع الملك الظاهر برقوق من السلطنة وحَبْسه بالكَرَك فى واقعة يَلْبُغا الناصرى ومِنْطاش، كما سيأتى ذكرُ ذلك مفصّلاً .

(1) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

*
* *

السنة الأولى من سلطنة الملك الصالح أمير حاج الأولى على مصر

وهى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة . على أنّ أخاه الملك المنصور عليًّا حكم فيها من أوّلها إلى ثالث عشرين صفر، حسب ما تقدّم ذكره فى وفاته .

فيها (أعنى ســنة ثلاث وثمانين وســبعمائة) تُوُفّى قاضى القضــاة عماد الدين[1] أبو الفداء إسماعيــل آبن الشيخ شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العِزّ بن صالح الدمشقى الحنفى قاضى قضاة دمشق بها عن نيِّف وتسعين سنة . وكان فقيها رئيسا من بيت علم ورياسة بدمشق . وهم يُعرفون ببنى أبى العز وبنى الكشك .

وتُوُفّى قاضى القضاة كمال الدين أبو القاسم عُمَــر آبن قاضى القضاة فخر الدين أبى عمــر عثمان بن الخطيب هبــة الله المَعَرّى[2] الشافعىّ بدمشق عن إحدى وسبعين سنة بعد أن حكم بها خمس سنين . وكان تنقّل فى البلاد وولى قضاءَ طرابُلُس وحَلَب ودِمشق غيرَ مرة، وكان فقيها عارفا بالأحكام خبيرًا بالأمور .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم شهاب الدين[3] أبو العباس أحمــد بن حَمْدان بن أحمد ابن عبــد الواحد الأَذْرَعِىّ الشافعىّ بحلب عن نيف وسبعين ســنة . وكان عديمَ النظير، فقيها عالمــا، شرح «منهاج النَّوَوى» . وآستوطن حلب وولى بها التدريس ونيابة الحكم إلى أن تُوُفّى . رحمه الله .

---

(١) راجع ترجمته فى المنهل الصافى (جـ ١ ص ٢١٧ (ب) والدرر الكامنة (جـ١ ص ٣٧٩) .

(٢) فى م : « العزى » وما أثبتناه عن الدرر الكامنة (جـ٣ ص ١٧٧) .

(٣) ذكره ابن حجر فى الدرر الكامنة (جـ ١ ص ١٢٥) ترجمة مطولة، كلها محاسن ودرر، وقد ترجم له المؤلف فى المنهل الصافى (جـ ١ ص (٧٠ (أ)) ترجمة ضافية .

وتوفّى الشيخ الإمام العالم الفاضل ركن الدين أحمد القِرَمى الحنفى الشهير بقاضى قِرَم ومفتى دار العدل بالديار المصرية[1] بها عن ثمانين سنة. واستقر عوضه فى إفتاء دار العدل الشيخ شمس الدين محمد النيسابورى ابن أخى جار الله الحنفى. وكان ركن الدين فاضلا عارفا بمذهبه، ناب فى الحكم عن قاضى القضاة جلال الدين جار الله، وكان معدودا من أعيان فقهاء مصر.

وتوفّى شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق ابن الشيخ مجد الدين عاصم ابن الشيخ سعد الدين محمد الأصبهانى الحنفى فى ليلة الأحد ثالث عشر ربيع الآخر؛ قاله المقريزى. وخالفه العينى؛ بأن قال: فى المحرم سنة ثمانين ولم يوافق لا فى الشهر ولا فى السنة. والصواب: المقالة الأولى. وكان قدم إلى القاهرة وتولى مشيخة خانقاه سرياقوس[2]، ثم توجه فى الرسلية إلى بلاد الهند وعاد وقد كثر ماله، حتى إنه أهدى الذهب فى الأطباق. ومما يدل على اتساع ماله عمارته الخانقاه بالقرب من قلعة الجبل تجاه باب الوزير على بعد مترشرقى الجبل وهى فى غاية الحسن. وكان له همة ومكارم، حدثنى حفيده بأشياء كثيرة من مكارمه وفضله وأفضاله.

توفّى الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن حديدة الأنصارى أحد الصوفية بالخانقاه الصلاحية[3] سعيد السعداء فى سادس عشرين شعبان. وكان يروى الشفاء وثلاثيات «البخارى» وغير ذلك. وصنف كتاب «المصباح المضيء» فى كتاب النبى عليه السلام ومكاتباته.

وتوفّى الأمير سيف الدين مازى بن عبد الله اليلبغاوى أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية بها.

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٢) هذه الخانقاه سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ١ ص ١٤٨ بالجزء الثامن من هذه الطبعة.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

وتُوُفّى السيد الشريف عطية بن منصور بن جمّاز بن شيحة الحسنىّ أمير المدينة النبويّة بها وتولى بعده ابن أخيه جمّاز بن هِبَة الله وكان كريمًا عادلا . رحمه الله .

وتُوُفّى الأمير آنص العثمانىّ الجركسىّ والد الأتابك برقوق العثمانىّ أحد مقدّمى الألوف بالديار المصريّة فى العشر الأوسط من شوّال وقد جاوز ثمانين سنة من العمر، أقام عمـره فى بلاد الجركس ، حتى هداه الله تعالى للإسـلام على يد ولده الأتابك برقوق ،وقَدِم القاهرة كما تقدّم ذكرُه فى ترجمة الملك المنصور علىّ وأسلم وحَسُن إسلامُه وأقام بعد ذلك دون السنتين ومات . ومع هذه المدة القصيرة من إسلامه أظهر فيها عن دين كبير وخَيْر وصدقات كثيرة ومحبّة لأهل العلم وشَفقَة على الفقراء وأهل الصّلاح. وكان لا يدّخر شيئا من المـال ، بل كان مَهْمَا حَصَل فى يده فرّقه فى الحال على الفقراء والمساكين . أخبرنى جماعةٌ من خَدَمه أنّه كان إذا رَكِبَ ولَقِى فى طريقه أحدًا من المحابيس المكدّين يأخذه من جَنْدارِه و يُطْلِقُه فى الحال من زَنجيره ، ولم يَقْدِر أحدٌ أن يردّه عن ذلك، فمَنع برقوق من خروج المحابيس للتكدّى خوفًا من أن يُطْلِقَهم، فإنّه كان إذا رأى أحدًا منهم يسأل من مماليكه هذا مُسْلِمٌ أم كافرٌ ؟ فيقولون له : مسلم، فيقول : كيف يُفْعَل بمسلم هكذا فى بلاد الإسلام ! أَطْلِقُوه فيُطْلَق فى الحال . ومات قبل سلطنة ولده برقوق ودُفِن بتربة[1] الأمير يونس الدوادار

---

(١) هذه التربة هى التى ذكرها المقريزى فى خططه باسم خانقاه يونس (ص ٤٢٦ جـ ٢) فقال : إن هذه الخانقاه من جملة ميـدان القبق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر ، أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق ، وهى أوّل مكان بنى هناك . أنشأها الأمير يونس النوروزى الدوادار .

وأقول : إن الأمير يونس قتل فى الشام ولم يدفن فى هـذه التربة التى بمعاينتها تبين لى أنها لا تزال قائمة فى الجهة الشمالية من تربة السلطان برقوق التى تعرف بالمدرسة الناصرية بصحراء جبانة المماليك والباقى منها قبـة وهى التى كان دفن تحتها الأمير آنص العثمانى ، ولما أتم ولده السلطان برقوق بناء مدرسته التى بين القصرين نقل جثة والده إلى هذه المدرسة التى سيأتى التعليق عليها فى الكلام على ولاية السلطان برقوق سنة ٧٨٦ هـ .

برأس الروضة خارج باب البرقية من القاهرة، ثم نقل بعد فراغ مدرسة ولده البرقوقية ببين القصرين إلى الدفن بها في القبة .

وتوفى الأمير الكبير سيف آقتمر بن عبد الله من عبد الغنى نائب السلطنة بالديار المصرية بالقاهرة في هذه السنة ، بعد أن باشر عدة أعمال ووظائف مثل : نيابة صفد، وطرابلس ، ودمشق ، وحجوبية الحجاب بديار مصر ، وإمرة جاندار ، ونيابة السلطنة بها مرتين . وبموته خلا الجو للأتابك برقوق وتسلطن ، مع أنه كان عديم الشر ، غير أنه كان مطاعا في الدولة يرجع إلى كلامه ، فكان برقوق يراعيه ويجلس تحته إلى أن مات في تاسع عشرين جمادى الآخرة .

وتوفى الأمير الكبير عز الدين أيدمر بن عبد الله الشمسى أحد أكابر أمراء الألوف بالديار المصرية بها في ثالث عشر صفر (١) وقد جاوز الثمانين لسنة . وكان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ، أقام أميرا نحوا من ستين سنة ، وهو أيضا ممن كان برقوق يخشاه ويعظمه ويجلس تحته حتى في يوم حضور والد برقوق بخانقاه سرياقوس ، جلس برقوق تحته في الملأ من الناس ، فبموت هؤلاء صفا الوقت لبرقوق وإن كان بقي من القدماء إشقتمر الماردينى وأيدمر الخوارزمى ، فهما ليس كهؤلاء فإنهما لحبهما لنيابة دمشق وغيرها يتواضعان لأصحاب الشوكة . انتهى وكان أيدمر الشمسى هذا كونه مملوك ابن قلاوون يجلس عن اليمين وآقتمر عبدالغنى عن اليسار .

وتوفى الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله القاسمى المعروف بخازندار يلبغا العمرى نائب حماة في هذه السنة في شهر رجب بعين تاب (٢) صحبة العساكر الشامية .

(١) في الأصلين : «في ثالث عشرين صفر» والتصحيح عن المنهل الصافي (ج ١ ص ٢٨٩ (أ))

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وكان من أجلّ مماليك يلبغا العمرىّ وأكابرهم ، وتولّى بعده نيابةَ حماة مأمور القَلَمْطاوىّ اليَلْبُغاوىّ حاجب الحجّاب .

وتُوفّى الأمير علّان بن عبد الله الشعبانىّ أمير سلاح فى ثمانى عشر شهر ربيع الآخر وهو أحد أعيان مماليك يَلْبغا ، وكان من حزب برقوق وقام معه فى نَوْبة واقعة بَرَكة أتمّ قيام وكان برقوق لا يخرج عن رأيه . ٥

وتُوُفّى خَـواجَا فخر الدين عثمان بن مُسافر جالبُ الأتابك برقـوق من بلاده ثم جالب أبيه و إخوته إلى الديار المصريّة بالقاهرة فى سادس عشر شهر رجب . وكان رجلا مقداما عاقلا وَقُورا ، نالته السعادةُ بجَلْبه الأتابك برقوق ومات وهو من أعيان المملكة . وكان برقوق إذا رآه قام له من بُعْـد وأكرمه وقَبِل شفاعتَه وأعطاه ما طلب . ١٠

وتُوُفّى الشيخ الفقير المُعْتَقد على الشامىّ بالقاهرة فى خامس صفر وكان يُعرف بأبى لحاف .

وتُوُفّى الأمير علاء الدين على بن قَشْتَمُر الحاجب الشهير بالوَزِيرِىّ فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر ، كان أميرَ مائة ومقدّم ألف بديار مصر وكان من خواصّ بَرْقوق وأحدُ مَنْ قام معه فى وقائعه وساعده . ١٥

وتُوُفّى الأُستاذ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بآبن السُّورى العَمّارِى المَوْصِلى العَوّاد المُغَنّى — نسبتــه بالعَمّارِى إلى عَمّـار بن ياسر الصحابِىّ رضى الله عنــه — فى يوم العشرين من صفر بالقاهرة ، وقـد آنتهت إليه الرئاسة فى ضرْب العُود والمُوسِـيقى ونالته السعادة من أجْلها ، حتّى إنّه كان إذا مَرِض عاده جميعُ أعيان الدولة . ٢٠

قلتُ : وهو صاحبُ التصانيف الهائلة فى الموسيق .

وتُوفّيت المسندة المُعَمَّرة جُوَيْرِةُ بنت الشّهاب أبى الحسن [أحمد] بن أحمد الهَكّارِى فى يوم السبت ثانى عشرين صفر وقد ٱنفردت برواية النَّسائى وغيرها .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وآثنا عشر إصبعا .

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين بَرْقُوق بن آنص العثمانى اليَلْبُغَاوِى الجَارْكَسِىّ القائم بدولة الجراكسة بالديار المصرية . وهو السلطان الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية والثانى من الجراكسة ، إن كان الملك المظفر بِيبَرْس الجَشْنَكِير جاركسيا ، وإن كان بيبرس تركى الجنس فبرقوق هذا هو الأوّل من ملوك الجراكسة ، وهو الأصحّ وبه نقول .

جلَس على تخت الملك فى وقت الظُّهْر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة الموافق له آخر يوم هاتور وسادس تشرين الثانى ، بعد أن ٱجتمع الخليفةُ المتوكّل على الله أبو عبد الله محمد والقُضاةُ وشيخُ الإسلام سراجُ الدّين عُمَر البُلْقِينِى وخَطَب الخليفةُ المتوكّل على الله خطبةً بليغةً . ثم بايَعه على السلطنة وقلّده أمورَ المملكة ثم بايعه من بعده القضاةُ والأمراء .

ثم أُفِيض على بَرْقوق خِلْعة السلطنة ، وهى خلعةٌ سوداءُ خليفتيّةَ على العادة ، وأشار السِّراج البُلْقِينى أن يكون لقبُه «الملك الظاهر» فإنه وقت الظُّهيرة والظُّهورُ وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافِيًا ، فتلقَّب بالملك الظاهر ورَكِب فَرَس النَّوْبَة من الحرّاقة من المَقْعَد الذى بالإسطبل السلطانىّ من باب السِّلْسِلة . والقُبّة والطّيْرُ

على رأسه، وطلع من باب السر[1] إلى القصر الأبلق[2]، وأمطرت السماءُ عند ركوبه بأبهة السلطنة ، فتفاءل النـاس بيُمْن سلطنته ومشت الأمراءُ والأعيان بين يديه إلى أن نزل ودخل القصر المذكور وجلس على تخت الملك. وكان طالعُ جلوسه على تخت الملك بُرْجَ الحُوت والشمس فى القَوْس متصلةٌ بالقمر تثليثا والقمرُ بالأسد مُتّصلٌ بالمُشترِى تثليثا وزُحَل بالثّوْر راجعا والمُشْترى بالحَمَـل متصلٌ بعُطَارِد من تسْديس والمِرِّيخ بالجَـوْزَاء فى شرَفه والزُّهَرَاءُ بالعقْـرب وعُطَارِد بالقَوْس . ودُقّت البشائر بقلعة الجبل عند ركوبه ثم زُيِّنت القاهرة ومصرُ ونُودِى بالقاهرة بالدعاء للسلطان الملك الظاهر برقوق .

ولـمّا جلس على تخت المُلْك قبّلت الأمراءُ الأرضَ بين يديه وخلَع على الخليفة على العادة .

ثم كَتَب بذلك إلى الأعمال وخَرَجت الأمراء لتحليف النُّوّاب بالبلاد الشامية ثم أَمَر الملك الظاهر فى السلطنة وثبتت قواعد مُلْكه .

ومدَحهُ جماعةٌ من شعراء عصره منهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن العطار فقال:
[السريع]

ظهورُ يومِ الأربعاءِ آبتدا * بالظاهِرِ المُعْـتَزِّ بالقاهِرِ
والبِشْرُ قد تمّ وكلُّ آمرِئٍ * منشرِحُ البـاطِنِ بالظاهِرِ

وقال الشيخ شهاب الدين الأعرج السَّعْدى من قصيدة : [الوافر]

تولّى المُلْكَ برقوقُ المفدّى * بِسَعْدِ آلجَدِّ وآلاقـدارُ حَتْمُ
نهارَ الأربعاءِ بُعَيْـدَ ظُهْرٍ * وللتربيع فى آلاملاكِ حُكْمُ
بِتاسِع عَشْرِ رَمْضانٍ بِعامٍ * لأَربعٍ مـع ثمانِين يـتمّ

(١) باب سر القلعة سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ بالجزء الثامن من هذه الطبعة .
(٢) القصر الأبلق سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ بالجزء السابع من هذه الطبعة .

قلت : ولنذكر أمرَ الملك الظاهر هذا من أوّل ابتداء أمره فنقول :

أصله من بلاد الجاركس وجنسه « كسا » ثم أُخذَ من بلاده وأُبيع بمدينة قِرَم فاشتراه خواجا عثمان بن مُسافر المقــدَّم ذكرُه وجلبه إلى مصر فاشترَاه منه الأتابك يَلْبُغا العُمَرِى الخاصّكى الناصرى فى حدود سنة أربع وستين وسبعمائة أو قبلها بيسير وأَعتقه وجعلَه من جُمْــلة مماليكه ، واستقرّ بخدمته إلى أن ثارت مماليك يلبغا عليــه ٥ وقُتِل فى سنة ثمان وستين وسبعمائة ، فــلم أَدْرِ هل كان برقوق ممّن هو مــع أستاذه يَلْبُغا أم كان عليه . ولــا قُتِل يلبغا وتمزّقت مماليكهُ وحُبِس أكثرُهم حُبِس برقوق هــذا مع مَنْ حُبِس مــدّة طويلةً هو ورفيقُه بَرَكَة الجُوبانىّ ومعهم أيضا جَاركس الخليلى وهو دونهم فى الرتبة . ثم أُفْرِج عنه وخَدَم عند الأمير مَنْجَك اليُوسُفىّ نائب الشام سنين إلى أن طَلَب المــلكُ الأشرفُ ممــاليكَ يَلْبُغا إلى الديار المصرية حضر ١٠ برقوق هــذا من جُملتهم وصار بخدمة الأسياد أولاد الملك الأشرف جُنْدِياً ولم يزل على ذلك حتى ثار مع من ثار من مماليك يلبغا على المــلك الأشرف شعبان فى نَوْبَة قَرَطاى وأَيْنَبَك وغيرِهما فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وقُتِل الأشرف .

ثم لــا وقع بين أينبك وقَرَطاى وانتصر أينبك على قرطاى أنعم أينبك عليــه بإمرة طبلخاناة دَفْعة واحدة من الجندية ، فدام على ذلك نحو الشهر، وخرج أيضا ١٥ مع مَنْ خرج على أينبك من اليَلْبُغاوية فأخذ إمرة مائة وتقدمة ألف وكذلك وَقــع لرفيقه بَرَكة . ثم صار بعد أيام قليلة أميرآخور كبيرا ودام على ذلك دون السنة واتّفق مع الأمــير بركة على مَسْك طَشْتَمُر الدوادار ومسكاه بعد أمور حكيناها فى ترجمــة الملك المنصور علىّ وتقاسما المملكة وصار برقوق أتابك العساكر ، وبركة رأس نَوْبة الأمراء أطابكًا ، فدامَ على ذلك من سنة تسع وسبعين إلى سنة اثنتين وثمانين ووَقع ٢٠

بينه وبين خشداشه بَرَكَة وقبض عليه بعــد أمور وحروب وصفنا له الوقتُ إلى أن تسلطن . وقد تقدّم ذكْرُ ذلك كلّه ، غير أننا ذكرناه هنا ثانيا على سبيل الاختصار ليتنظم سياق الكلام مع سياقه . انتهى .

قال المقريزى — رحمه الله : وكان آسمُه أَلْطُنْبُغَا فغيّره أستاذُه يَلْبغا لمّـا آشتراه وسمّاه برقوقا . وقال القاضى علاء الدين علىّ آبن خطيب الناصريّة (1) : كان آسمــه «سُودُون» نقلا عن قاضى القضاة ولىّ الدين أبى زُرْعة العراقىّ عن التاجر بُرْهان الدين المحلّى عن خواجا عثمان بن مُسافِر . والقولان ليسا بشىء وإن كان النقلة لهذا الخبر ثقات فى أنفسهم فإنهم ضعفاءُ فى الأتراك وأسمائهم وما يتعلّق بهم لا يرجع إلى قولهم فيها . والأصحّ : أنّه من يوم وُلِدَ آسمُه برقوق كما سنبيّنه فى هذا المحلّ من وجوه عديدة منها : أن الخواجا عثمان كان لا يعرف بالعربية ، وكان البُرْهان المحلّىّ لا يعرف باللغة التركية كلمةً واحدة ، فكيف دار بينهما الكلامُ ، حتى حَكَى له ما نُقِل وإن وقــع اجتماعهما فى بعض المجالس وتكالمـا ، فالبرهان يفهم عنه بالرمز لا بالتحقيق وليس بهــذا نستدِل ، بل أشياءُ أُخَر منها : أنّ والد المــلك الظاهر برقوق لمّـا قَدِم من بلاد الجاركس إلى الديار المصرية ونزل الملك الظاهر برقوق فى وجوه الأمراء إلى ملاقاته بالعِكْرِشة وقد تقدّم ذكْرُ ذلك كلّه ، وكان يوم ذلك برقوق مرشّحا للسلطنة ،

(1) هو علاء الدين أبو الحسن على المعروف بآبن خطيب الناصرية ، الحلبي الشافعى ، مولده بحلب سنة ٧٧٤ هـ كان بارعا فى الفقه والأصول والعربية مشاركا فى الحديث والتاريخ وغير ذلك ، مع الرياسة وشهرة الذكر وكثرة المال ، كتب تاريخا لحلب وهو ذيل على تاريخ آبن العديم وهو أحد مواد الضــوء اللامع فى أعيـان القرن التاسع للسخاوى ، كتبه سنة ٨٣٦ هـ فى مجلدين ، تعرّض له آبن حجر فى ديباجة كتابه : «أنباء الغمر بأبناء العمر» وأثنى عليه . انظر أخبار ابن خطيب الناصرية فى وفيات سنة ٨٤٣ فى السلوك (ج ٤ ص ٩٨٣) وانظر ترجمته فى حـ ٥ من تاريخ حلب للطباخ ص ٢٢٤ وانظر أخبار كتابه تاريخ حلب فى حـ ١ ص ٢١ من تاريخ الطباخ المذكور .

فعندما وقع بصرُ والده عليه وأخذ برقوق فى تقبيل يده ناداه باسمه برقوق من غير تعظيم ولا تحشُّم. وكان والد برقوق لا يَعرِف الكلمة الواحدةَ من اللغة التركيّة ، فلمّا جلس فى صدر المخيّم وصار يتكلّم مع ولده برقوق بالجاركس تكرّر منه لفظه «برقوق» غير مرة .

ثم لمّا قَدِم القاهرة وصار أميرَ مائة ومقدَّم ألف آستمرّ على ما ذكرناه من أنه ينادى برقوقا باسمه ولا يقومُ له إذا دخل عليه ، فكلّمه بعض أمراء الجراكسة أن يُخاطبه بالأمير، فلم يفعل وغَضِب وطلب العَوْد إلى بلاد الجاركس ، فلوكان لبرقوق اسم غير برقوق ما ناداه إلّا به ولو قِيل له فى ذلك ما قبِله . وهذا من أكبر الأدلة على أن آسمه القديم « برقوق » . وكذلك وقع لبرقوق مع الخَوَنْدات، فإن أخته الكُبْرى كانت أرضعتْ برقوقا مع ولدٍ لها ، وكانت أيضا لا تعرف باللّغة التركية ، فكان أعظم يمين عندها : وحقّ رأس برقوق . وقدم مع الخوندات جماعةٌ كبيرةٌ من أقاربهم وحواشيهم وتداول مجيئُهم من بلاد الجاركس إلى القاهرة إلى الدولة الناصرية ، ورأيت أنا الخَوَنْدات غيرَ مرّة .

وأما جواريهم وخدَمُهم فصار غالبُهم عندنا بعد موتهم . وآستولد الوالدُ بعضَ مَنْ حضر معهم من بلاد الجاركس من الجوارى وكان غالب من حضر معهم من عجائز الجراكسة يَعْرِف مولدَ برقوق فلم نسمع من أحد منهم ما نقله من تغيير آسمه ولا من أحد من مماليكه مع كثرة عَدَدِهم وآختلاف أجناسهم . ومنهم من يَدّعِى له بقرابة مثل الأمير قَجْماس والد إينال الأمير الآخور الكبير وغيره ، وقد أثبت ذرية قَجْماس المذكور أنّه آبنُ عمّ برقوق بسبب ميراث مماليكه بمحضر شَهِد فيه جماعةٌ من قُدماء الجراكسة وسُمّى فيه برقوقٌ برقوقًا وسُمّى قَجْماس بجماسًا .

ثم لمّا وقفتُ على هـذه النُّقول الغريبـة سألتُ عن ذلك من أكابر ممـاليك برقوق، فكلُّ مَن سألت منه يقول : لم يطرُق هذا الكلامُ سمعى إلّا فى هذا اليوم، هذا مع كثرتهم وتعظيمهم لأستاذهم المذكور وحفظهم لأخباره، وما وقع له قديما وحديثا حتى إنّ بعضَهم قال : هذا آسم جاركسى ويَلْبُغا آسم تَتَرِى لا يُعرف معناه، ثم ذَكَر معناه فقال : هذا الآسم أصلُه «مَلِى جُق»[1] ومعناه بالجاركسى غنـام، فإنّ «ملى» بلغتهم آسم للغنم ثم خفّف على «جُق» ببرقوق ثم ذكر أسماء كثيرة، كان أصلها غير ما هى عليه الآن مثل «بايزير» فسمى «بايزيد» ومنهم مَن جعله كنية أبى يزيد ومثل «آل باى» فسمّى «على باى» وأشياء من ذلك يطول شرحُها. وقد خرجنا عن المقصود لتأييد قولنا، وقد أوضحنا هذا وغيره فى مُصنَّف على حِدَته فى تحريف أولاد العـرب للأسماء التركيّة والعجميّة وفى شهرتهم إلى بلادهم فى مثل جَانْبَـك وتَنْبك وشَيْخون، ومثل من نُسب إلى فَيْرُوز باد واستراباد من زيادة ألفاظ وترقيق ألفاظ يتغيّر منها معناها، حتّى إن بعض الأتراك أو الأعاجم إذا سَمِعها لا يفهمها إلّا بعد جهد كبير . إنتهى .

وأمّا الملك الظاهر بَرْقوق فإنه لمّا تسلطن جلس بالقصر الأبلق[2] ثلاثة أيام، فصارت هذه الإقامة سُـنّةً بعده لمن يتسلطن ولم تكن قبل ذلك . فلمّا كان يوم الآثنين رابع عشرين شهر رمضان قُرِئَ عهدُ الملك الظاهر برقوق بالسلطنة بحضرة الخليفـة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة وخَلَع السلطانُ عليهـم الخِلَعَ السنيّةَ . ثم أَخْلَع على الأمير أَيْتَمُش البَجاسِىّ بآستمراره رأسَ نَوْبة الأمراء وأطَابكًا وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ أمير مجلس على عادته، وعلى جاركس الخليلى الأمير آخور الكبير على

(١) فى «م» «ملى خق» .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

عادته، وعلى الأمير سُودون الفخرىّ الشيخونىّ حاجب الحجّاب باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية، وكانت شاغرةً من يوم مات الأمير آقْتَمُر عبد الغنى. وخلَع على الأمير أَلْطُنْبُغا الكُوكائى أمير سلاح، وآستقرّ حاجب الحجّاب عوضا عن سُودون الشيخونىّ، وعلى الأمير أَلطنبغا المعلِّم بآستقراره أمير سلاح عوضا عن الكُوكائى المُنتقِل إلى الجحوبيّة.

٥

قلت: وهذا مما يدل على أن وظيفة إمرة سلاح كانت إذ ذاك دون الجحوبيّة انتهى.

ثم أخلع السلطان على الأمير يُونُس النَّوْرُوزى دواداره قديمًا باستقراره دوادارا كبيرا بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضًا عن أَلَابُغا العُثْمانى المقبوض عليه قبل تاريخه، وعلى الأمير قُرْدُم الحَسنِىّ اليَلْبُغاوىّ باستقراره على عادته رأسَ نوبةٍ ثانيا بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن أَلَابغا.

١٠

وهذه الوظيفة هي الآن وظيفة رأس نَوْبة النُّوَب وقد بينا ذلك فى غير موضع.

ثم خَلَع السلطانُ على القُضاة الأربعة، وهم: قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء السُّبْكى الشافعىّ. وقاضى القضاة صدر الدين بن منصور الحنفىّ. وقاضى القُضَاة جمال الدين بن خير المالكىّ. وقاضى القضاة ناصر الدين العسقلانى الحنبلىّ. وخَلَع على قُضاة العسكر ومُفْتى دار العدل[1]، ووكلاء بيت المال، وعلى مباشرى الدولة، وعلى القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السر، وعلى عَلَم الدِّين سِنّ إبرة الوزير، وعلى تقىّ الدين محمد بن مُحِبّ الدِّين ناظر الجيش، وعلى سعد الدين بن البقرى ناظر الخاصّ.

١٥

(١) هى الإيوان الذى أنشأه الملك المنصور قلاوون وأعاد بناءه آبنه الملك الناصر محمد وكان الملوك يجلسون فيه لنظر المظالم ولذلك سمى بدار العدل. راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من

٢٠

ثم خلَع الملك الظاهر على القاضى أوحد الدين عبد الواحد موقِّعه فى أيام إمرته ، وعلى جمال الدين محمود القَيْصِرى مُحتسب القاهرة ، وعلى سائر أرباب الدولة وأعيان المملكة فكان يوما مشهودا .

ثمّ فى يوم الخميس سابع عشرينــه طلب السلطان سائر الأمراء والأعيــان ، وحلّفهم على طاعته . وفيــه أيضا خَلَع على الأمير بهادُر المَنْجَكىّ ، وآستقرّ أُستدارًا بإمرة طبلخاناه ، وأُضِيف إليه أُستادارِيّة المَقام الناصرىّ محمد آبن السلطان الملك الظاهر برقوق .

ثم فى يوم الآثنين تاسع شوّال أخلع السلطان على العلّامة أوْحد الدين عبد الواحد ابن إسماعيــل بن ياسين الحنـفىّ باستقراره كاتب السرّ بالديار المصريّة عِوَضا عن القاضى بدر الدين بن فضل الله بحكم عزله .

ثمّ أخلع السلطان على الأمير جُلْبان العلائى وآستقرّ حاجبًا خامسًا ، ولم يُعهـد قبْلَ ذلك بديار مصر خمسة حُجّاب ، وعُدّ ذلك من الأشـياء التى آستجدّها الملك الظاهر بَرْقُوق .

وأخلَع على رجل من صُوفِيّة خَانِقاه شَيْخون يُقال له : خَيْرُ الدين [العَجَمىّ](1) بآستقراره قاضى قضاة الحنفيّة بالقُدس الشريف .

ثم أَخْلَع أيضا على رجل آخَر من صوفيّة خانقاه شَيْخُون يقال له : موفّق الدّين العَجَمِىّ بقضاء غزة ، كلّ ذلك بسفارة الشيخ أكمل الدّين شيخ الخانِقاه الشّيْخُونية . وهذا أيضا ممّا آستجدّه الملك الظاهر ، فإنه لم يكن قبـل ذلك بالقُدس ولا بغزة قاضٍ حَنَفِىّ .

(1) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١٠) .

ثم في يوم الأربعاء[(١)] تاسع عشرين شوّال ركب السلطان الملك الظاهر من قلعة الجبل وعدّى النيل من برّ بُلاق إلى الجيزة وتصيّد ثم عاد من آخر النهار، وقد ركب الأمير أيْتَمِش عن يمينه والعلّامةُ أكملُ الدين شيخ الشَّيْخُونيّة عن يساره.

ثم رسمَ السلطان بعد عوْده من الصّيْد بآستقرار بدْر الدين محمد بن أحمد [ابن إبراهيم][(٢)] ابن مُزْهِر في كتابة سرّ دِمَشق عِوضًا عن القاضي فتح الدين [محمد][(٣)] ابن الشهيد.

ثم وَرَدَ الخبرُ على السلطان من الأمير يَلْبُغَا الناصريّ نائب حلب بأنّ الأمير أَلْطُنْبُغا السلطانيّ نائب أُبُلُسْتِين[(٤)] عَصِيَ وطلَع الى قلعة دَارَنْدة[(٥)] المضافة اليه وأنه أمسك بعضَ أمرائها وأطلع إلى دَارَنْدة ذخائرَه، فركب العسكر الذين هم بالمدينة عليه وأمسكوا مماليكه وحاصروه فطلب الأمانَ منهم، ثم فرّ من القلعة إلى أُبُلُسْتِين ثانيا فكتَب إليه الناصريّ نائبُ حلب يهدّده فلم يرجع إليه ومرّ هاربًا إلى بلاد التّتار وقال: لا أكون في دولة حاكمُها جارَكْسِيّ!

وفي يوم السبت سابع عشر ذي القَعْدة ركب السلطان أيضا من القلعة إلى

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١١): «يوم الثلاثاء».

(٢) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١١).

(٣) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١١).

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٥) كانت قلعة دارندة من بلاد الثغور والعواصم الخارجة عن حدود البلاد الشامية ولها نائب أمير عشرة وربما طبلخاناه وولايتها في الحالتين من نائب حلب (انظر صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢٨).

جهة المطرية[١] ومضى إلى قناطر أبى منجا[٢]، ثم عاد وشق القاهرة من باب الشعرية[٣]، وكان لمروره يوم مشهود وهو أوّل ركوبه ومروره من القاهرة فى سلطنته .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) صواب الاسم قناطر بحر أبى المنجا وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هذا الباب هو أحد أبواب القاهرة الخارجية فى سورها البحرى الذى أنشأه صلاح الدين غربى الخليج المصرى فى المسافة التى بين الخليج و باب البحر و بالقرب من الخليج . فإنه لما تكلم المقريزى فى خططه على سور القاهرة (ص ٣٧٧ ج ١) قال : إن السور الثالث أنشأه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٩ هـ وزاد فيه القطعة التى من باب القنطرة إلى باب الشعرية ومن باب الشعرية إلى باب البحر وقلعة المقس على النيل . ولما تكلم على باب الشعرية (ص ٣٨٣ ج ١) قال : و يعرف بطائفة من البربر (المغاربة) يقال لهم بنو الشعرية هم ومزاته وزناره وهوّارة من أحلاف لواتة، الذين نزلوا بإقليم المنوفية .

وذكر ابن إياس فى كتاب تاريخ مصر (ص ١٧٣ ج ٣) أنه لما مات الشيخ محيى الدين عبد القادر الدشطوطى فى سنة ٩٢٤ هـ دفن بمدرسته التى أنشأها خارج باب الشعرية تجاه زاوية سيدى يحيى البلخى .

و بالبحث عن مكان هذا الباب تبين لى أنه كان قائما إلى عهد قريب بدليل أنه مبين على خريطة القاهرة التى رسمها جران بك مدير التنظيم فى سنة ١٨٧٤ على رأس سكة باب الشعرية التى تعرف اليوم بسوق الجراية وفى سنة ١٨٨٤ هدم هذا الباب بمعرفة الضبطية لخلل فى مبناه وكان يعرف أخيرا باسم باب العدوى لوقوعه تجاه جامع العدوى .

ومما ذكر يتبين أن باب الشعرية كان واقعا بميدان العدوى على رأس شارع سوق الجراية قبل توسيع الميدان المذكور وكان يفتح من الخارج على ميدان العدوى وشارع الزعفرانى وشارع العدوى وسكة الفجالة .

وقد جهل الناس الموقع الأصلى لهذا الباب فأطلقوا اسمه خطأ على باب آخر هو باب القنطرة الذى سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٣٩ بالجزء الرابع من هذه الطبعة وسموه باب الشعرية فى حين أن البابين غير متجاورين فباب القنطرة يقع كما ذكرنا فى سور القاهرة الغربى على رأس شارع أمير الجيوش الجوانى شرقى شارع الخليج المصرى وأما باب الشعرية فيقع كما ذكرنا فى سور القاهرة البحرى تجاه جامع العدوى الواقع غربى الخليج المصرى والمسافة بين البابين لا تقل عن ٢٢٠ مترا .

ومما يلفت النظر أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم باب العدوى الذى هو بذاته باب الشعرية على زقاق بشارع البغالة البحرى شرقى شارع الخليج المصرى فى حين أن هذا الباب يقع غربى شارع الخليج كما ذكرنا .

ثم قَدم الخبرُ على السلطان بفرار الأمير آقْبُغا من عبد الله نائب غزّة منهـا إلى الأمير نُعير[1] .

وفى هـذه الأيام أخلع السـلطان على الأمير قَرْقَماس الطّشْتَمُرِىّ باسـتقراره خازندارا كبيرا .

وفى سابع[2] عشر ذى الحجّة من سنة أربع وثمانين وسبعمائة ركب السلطان من القلعة وعدّى النيل إلى برّ الجيزة ثم عاد من بُلاق فى سابع عشر ذى الحجّة المذكور .

وفى سابع عشرين ذى الحِجّة قَدِم الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ امير مجلس من الحجاز وكان حج مع الركب الشامىّ وعاد من طريق الحجّ المصرىّ .

وفى يوم السبت أوّل مُحَرّم سنة خمس وثمانين وسبعمائة قَدِم الأمير يلبُغا الناصرىّ نائب حلب إلى الديار المصرية فخـرج الأمير سُودون الشَّيْخُونىّ النـائب إلى لقائه وجماعة من الأمراء، وطَلَع الجميع فى خدمته إلى القلعة، وقبّل الناصرىّ الأرضَ بين يدَى السلطان الملك الظاهر .

وخَلَع السلطان عليه بالاستمرار على نيابة حلب، فكان مجىء الناصرى إلى مصر أوّلَ عظمة نالت الملك الظاهرَ برقوقا ؛ لأنّ يَلْبُغا الناصرى المذكور كان من كبار ممـاليك الأتابك يلبُغَـا العُمَرى وممن تأمّر فى أيام يلبُغَا ، وبرقوق كان من صغار مماليكه، وأيضا فإن الناصرى كان فى دولة الملك الأشرف شعبان بن حُسين أميرَ مائة ومقدّم ألف وبرقوق من جملة الأجناد ممن يتردّد إليه ويقوم فى مجلسه على قدميه، فلم يمض غيرُ سنيات حتى صار كلٌّ منهما فى رتبة معروفة . فسبحان مغيِّر حال بعد

(١) ضبطه المؤلف فى المنهل الصافى بضم النون جـ ٣ ص ٣٨٦ (أ) .

(٢) رواية السلوك (جـ ٣ ص ٤١٢) : « وفى رابع عشريه ركب السلطان ... الخ » .

حال . ويَلْبُغا النـاصرى هو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق الآتى ذكرها — إن شاء الله تعالى — فى هذا المحل .

ثم نزل الأمير يَلْبُغا الناصرى وعليه خِلْعةُ الاستمرار بنيابة حلب وعن يمينه الأمير أَيْتَمُش وعن يساره الأمير أَلْطَنْبُغا الجُـوبانى ومن ورائه سبعة جنائب من خيل السلطان بسروج ذهب وكنابيش زَرْكش أنعم بهـا عليه . ثم حمـل إليه السلطانُ والأمراءُ من التقادُم مما يَجِلُّ وصفه .

ثم ركب السلطان فى يوم السبت ثامن المحرّم ومعه الأمير يَلْبُغا الناصرى وعدّى النيلَ من بُلاق إلى برّ الجيزة وتصيّد وعاد فى آخر النهار .

وفى عاشره خَلَـع السلطان على الأمير يلبغا الناصرى نائب حَلَب خِلْعَةَ السفر، وخرج من يومه إلى محل كفالته بحلب .

ثم فى يوم الآثنـين سابع عشره أخلع السلطان على شمس الدين إبراهيم كاتب أُرْنان وآستقرّ به وزيرًا على شروط عديدة ، منها : أنه لم يَلْبَس خِلْعةَ الوَزَر، فأُجيب ولَبِس خِلْعةً [من صوف][1] كخلعة القُضاة وغير ذلك .

وفيه وصل الأميرُ أسـدُ الدين الكُرْدى أحدُ أمراء حلب فى الحـديد لشَكْوَى بعض التُّجار عليه أنه غَصَبه مملوكًا فحُبِس أيامًا ثم أفرِج عنه وأُخرِج على تقدمة ألف[2] بطرابُلُس .

ثم عَزَل السلطان الأميرَ إينـال اليُوسُفِى عن نيابة صَفَد بالأمير تَمُرْبَاى التِّمُرْداشى، وأنْعَم على إينال بتقدمة ألف بدمشق .

(١) الزيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤١٥) .

(٢) ورواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٨) : « على إمرة بطرابلس » .

وفيه استعفى الأميرُ يَلُّو من نيابة حَماة فأعفى .

وفى تاسع عشرة قَدِم سالم الدوكارى[1] من حلب فأكرمه السلطان وأخلع عليه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بحلب .

وفى ثامن عشرين جمادى الأولى وهو سادس[2] مسرى أوفى النيل فنزل الملك الظاهر من القلعة فى موكب عظيم حتى عَدّى النيل وخَلّق المقياس[3] وفَتَح خليج السّدّ ، وهذا أيضا مما آستجدّه الملك الظاهر برقوق ، فإنه لم يُعْهَد بعدَ الملك الظاهر بيبَرس البُنْدُقدارى سلطانٌ نزل من القلعة لتخليق المقياس وفَتح الخليج غير الملك الظاهر هذا ، فهو أيضا ممن آستجدّه لطُول ترك الملوك له .

وفى هذا الشهر أخلع السلطان على الأمير صنْجَق الحَسَنى اليلبُغاوى بنيابة حَماة عوضا عن يَلُّو بحكم استعفائه عن نيابة حماة .

وفيه ورد الخبرُ بموت الأمير تَمُرباى التَّمُرْدَاشى نائب صَفَد بعد أن أقام على نيابة صفد خمسة أيام ، فأخلع السلطانُ بعد مدّة على الأمير كَمَشْبُغا الحموىّ بنيابة صفد عِوضَه ، وكُمُشبغا هذا هو أكبرُ مماليك يَلْبُغا العُمَرِىّ وممّن صار فى أيام أستاذه أميرَ طبلخاناه ولم يخرج عن طاعة أستاذه يلبغا ، ولهذا مَقَتَه خشدا شِيّتُه الذين خرجوا على أستاذهم يلبغا ، لكونه لم يُوافقهم ، وقد تقدَّم أنّه ولى نيابة دِمَشق وصفد وطَرَابُلُس قبل ذلك .

---

(١) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « الدكورى » .

(٢) فى السلوك (ج ٣ ص ٤١٩) : « وهو خامس مسرى » .

(٣) أى طيب عامود المقياس بالزعفران . ثم أمر برفع السدّ الذى كان يقام سنويا عند فم الخليج ، فتدخل مياه النيل فى الخليج وتسير فيه الى نهايته .

وفى أوّل شهر رجب من سنة خمس وثمانين وسبعمائة طَلَع الأمير [صلاح الدين][(1)] محمد بن محمد بن تَنْكِز إلى السلطان ونَقَل له عن الخليفة المتوكّل على الله أبى عبد الله محمد أنه آتفق مع الأمير قُرْط بن عمر التُّرْكمانىّ المعزول عن الكشوفية ومع إبراهيم آبن قُطْلُوقْتَمُر العلائىّ أمير جاندار ومع جماعة من الأكراد والتُّرْكمان، وهم نحو من ثمانمائة فارس أنهم يَثِبُون على السلطان إذا نَزَل من القلعة إلى المَيْدان فى يوم السبت للعب بالكرة يقتلونه ويُمَكِّنون الخليفة من الأمر والآستبداد بالمُلْك فحلّف السلطانُ آبنَ تَنْكِز على صحّة مانقَل فحلَف له وطلب يُحاقِقهم على ذلك، فبعث السلطان إلى الخليفة وإلى قُرْط وإلى إبراهيم بن قُطْلُقْتَمُر فأحضرهم وطلب سُودون النائب وحدّثه بما سَمِع، فأخذ سودُون يُنْكِر ذلك ويستبعد وقوعَه منهم، فأمر السلطانُ بالثلاثة فحضروا بين يديه وذَكَر لهم ما نُقِل عنهم فأنكروا إلا قُرط، فإنّه خاف من تهديد السلطان، فقال: الخليفةُ طلبنى وقال: هؤلاء ظَلَمَةٌ وقد آستَوْلَوْا على هذا المُلك بغير رضاى، وإنى لم أُقلِّد برقوقًا السلطنة إلّا غصبًا، وقد أَخذ أموالَ النـاس بالباطل وطلب منِّى أن أقومَ معه وأنصُرَ الحقَّ فأجبتُه إلى ذلك ووعدتُه بالمساعدة، وأن أجمعَ له ثمانمائة واحد من الأكراد والتُّرْكمان وأقوم بأمره، فقال السلطان للخليفة: ما قولك فى هذا، فقال: ليس لما قاله صحّة، فسأل إبراهيم آبن قُطْلُقتمر عن ذلك، فقال: ما كنت حاضرًا هذا الآتفاق، لكنّ الخليفة طلبنى إلى بيته بجزيرة الفيل[(2)] وأعلمنى بهذا الكلام وقال لى: إنّ هذا مصلحة، ورغّبنى فى موافقته والقيام لله تعالى ونُصْرة الحق، فأنكر الخليفةُ ما قاله إبراهيم أيضا وصار إبراهيم يذكر له أمارات والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، فآشتدّ

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٢١).

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

حَنَقُ الملك الظاهر وسَلّ السيفَ ليضرب عُنُقَ الخليفة؛ فقام سُودون النائب وحال بينه و بين الخليفة، وما زال به حتى سَكَن بعضُ غضبه . فأمر الملك الظاهرُ بقُرط وإبراهيم يُسَمَّروا وآستدعى القضاة ليُفتوه بقتل الخليفة، فلم يُفتوه بقتله وقاموا عنه، فأخذ الخليفةَ وسجنه بموضع فى قلعة الجبل وهو مقيَّد وسُمِّرَ قُرْط و إبراهيم وشُهِّرا فى القاهرة ومصر . ثم أُوقِفَا تحت القلعة بعد العصر فنزل الأميرُ أيْدَكار[(١)] الحاجب وسار بهما ليوسِّطا خارج باب المحروق[(٢)] من القاهرة ، فابتدأ بقرط فوُسِّط وأبى أن يأخذوا إبراهيم [إذ][(٣)] جاءت عِدّة من المماليك بأن الأمراء شفعوا فى إبراهيم ففُكَّت مساميرُه وسُجِن بخزانة[(٤)] شمائل .

ثم طَلَب السلطان زكريّاءَ وعمر آبنَىْ إبراهيم عَمّ المتوكّل ، فوقَع آختيارُه على عمر فولّاه الخلافةَ وتلقّب بالواثق بالله ، كلّ ذلك فى يوم الآثنين أوّل شهر رجب .

ثم فى يوم الآثنين ثامن شهر رجب أخلع السلطان على الطواشى بهادر الرومىّ وآستقرّ مقدّمَ المماليك السلطانية عِوَضا عن جَوْهر الصّلاحِى .

ثم فى يوم السبت ثالث عشره ركب السلطان إلى الميدان ثانى مرة للعب الكُرة . ثم رَكب فى يوم السبت عشرينه ثالث مرّة . ثم ركب فى يوم السبت سابع عشرينه إلى خارج القاهرة وعاد من باب النصر ونزل بالبيمارستان المنصورى .

---

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٢٣) : « بدكار الحاجب » .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .
(٣) تكملة عن السلوك .
(٤) راجع الحاشية رقم ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

ثم رَكب منه إلى القلعة[1] ، فلم يتحرّك أحدٌ بأمر من الأمور .

ثم خَرج السلطانُ إلى سَرْحة سِرْياقُوس على العادة فى كلّ سنة وأقام بها أياما وعاد وفى عوده قَبَض على سعد الدين نصر الله بن البَقَرىّ ناظر الخاصّ بالخدمة . وخلع السلطان على موفّق الدين أبى الفرج عبد الله الأسْلَمى بنظر الخاصّ عوضا عن ابن البقرى وأجرى على ابن البقرىّ العقوبة ثم ضربه بالمقارع ، بعدما أخذ منه ثلثمائة ألف دينار .

وفيه شَفَع الأمراء فى الخليفة وتقدّم منهم الأميرُ أَيْتَمُش والأمير أَلْطُنْبغا الجُوبانىّ وقبّلا الأرض وسألاّ السلطان فى العفو عنه وترقّقا فى سؤاله ؛ فعدّد لهما السلطانُ ما أراد أن يفعله بقتله فما زالا به حتّى أمر بفكّ قَيْده .

وفى هذه السنة توجه السلطان عدة مرار للصيد ببر الجيزة وغيرها ، وفى الأخير اجتاز السلطان بخيمة الأمير قُطْلُقْتَمر العلائىّ أمير جاندار ووقف عليها فخرج قطلقتمر إليه وقدّم له أربعة أفراس فلم يقبلها فقبّل الأرض ثانيا وسأل السلطان أن يقبلَها ، فأجاب سؤالَه وقَبِلها وسار حتى نزل بمخيّمه . وفى الحال آستدعَى بإبراهيمَ ابن قُطْلُقْتَمر المذكور من خزانة شمائل وأطلقه وخلَع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب وكَنْبُوش زَرْكَش ، وأعطاه ثلاثة أرؤس أُخَر وهى التى قدّمها أبوه للسلطان وأَذِنَ له أن يمشى فى الخدمة ووعده بإمرة[2] هائلة وأرسله إلى أبيه قطلقتمر المذكور فسر به سرورا زائدا وكان قطلقتمر فى مدّة حبس آبنه لم يحدّث السلطانَ ولا الأمراءَ فى أمر آبنه بكلمة واحدة ، فأتاه الفَرَج من الله تعالى بغير مأنَّة[3] أحد .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٢٤) : « وعبر من باب القلعة » .

(٢) رواية السلوك ج ٣ ص ٤٢٨ : « برزق » .

(٣) رواية السلوك : « من حيث لا يحتسب » .

وفى هذه الأيام جمع السلطان القضاةَ وآشترى الأمير أَيْتَمُش البجاسى وهو يوم ذاك رأس نَوْبة الأمراء وأطابَك وأكبرُ جميع أمراء ديار مصر من ذرّيّة الأمير جُرْجى الإدريسى نائب حلب بحكم أن جُرْجى لمّا مات لم يكن أيتمش ممّن أعتقه، فأخذه بعد موته الأميرُ بجَاس وأعتقه من غير أن يَمْلِكه بطريق شرعى وأثبتوا ذلك على القضاة، فعند ذلك آشتراه الملك الظاهر من ذرّيّة جُرْجى بمائة ألف درهم وأعتقه وأنعم عليه بأربعة آلاف درهم[1] وبناحية سَفْط رشيد[2]. ثم خلع السلطان على القضاة والموقّعين الذين سجّلوا[3] قضيّة البيع والعِتْق.

وفى يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة أفرج السلطان عن الخليفة المتوكّل على الله، ونُقِل من سجنه بالبُرج إلى دارٍ بالقلعة وأُحْضِر إليه عيالُه.

ثم فى يوم السبت ثالث صفر من سنة ست وثمانين وسبعمائة قَبَض السلطان على الأمير يَلْبُغا الصغير الخازندار، وعلى سبعة من المماليك وُشِىَ بهم أنهم قصدوا قتلَ السلطان فضربهم ونفاهم إلى الشام.

وفى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل قَدِم الأمير بَيْدَمُر الخوارزْمِى نائب الشام، فأجلسه السلطان فوق الأمير سُودُون النائب بدار العدل. ثم فى ثالث عشره خلَع عليه السلطان، وقَيّد له ثمانيةَ جنائب من الخيل بقُماش ذهب، جَرّوها الأوجَاقيّةُ خلفَه.

---

(١) رواية السلوك (ح ٣ ص ٤٢٩): «وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم فضة».

(٢) المضاف اليه فيه خطأ فى النقل وصواب الاسم (سفط رشين) كما وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى والسلوك للمقريزى (ح ٣ ص ٤٢٩) وفى التحفة السنية لابن الجيعان من الاعمال البهنساوية وورد اسمها محرفا سفط ريشين بالخطط المقريزية وكذلك فى الخطط التوفيقية.

(٣) رواية السلوك: «الذين اسجلوا».

وفى يوم الثـلاثاء ثامن عشره نَزَل السلطان لعيادة الأمير أَلْطُنْبُغَا الجُوبانى أمير مجلس وقد توعّك .

وفيه قدم الأمير بَيْدَمر نائب الشام تقدمته للسلطان وكانت تشتمل على عشرين مملوكا وثلاثة وثلاثين[1] جَمَلا عليها أنواعُ الثّياب من الحرير والصوف والفَرْو وثلاثة وعشرين كلبا سَلُوقِيًّا، وثمانية عشر فَرَسًا عليها أجلالُ حرير، وخمسين لخلا، وآثنين وثلاثين حجرةً ومائة إِكْدِيش لتتمة مائتى فرس[2] وثمانية قُطُر هُجُن بقُماش ذهب وخمسةوعشرين قطارا من الهُجُن أيضا بِكيرَان ساذَجة[3]، وأربعة قُطُر جمال بَخَاتِىّ لكل جمل منها سَنَامان وثمانين جَمَلا عِرابا . و بآسم ولد السلطان سيّدى محمد عشرين فرسا وخمسة عشرة جملا وثيابا وغيرها . وفى عشرينه خلع عليه السلطان خِلْعة السفر وتوجّه إلى محلّ ولايته بدَمَشق .

وفى خامس عشرينه نزل السلطانُ لعيادة أَلْطُنبغا الجُوبانىّ ثانيا ففَرَش له الجُوبانىُّ شِقاق الحرير السّكندرىّ وشِقاق نُخّ من باب إسطبله إلى حيث هو مُضطَجِع، فمشى عليها السلطان بفَرَسة، ثم بقَدَميه[4] فنُثِرت عليه الدنانيرُ والدراهم . وقدّم له الجُوبانىّ جميعَ ما عنده من المماليك والخيل، فلم يأخذ السلطان شيئا منها، وجلس ساعةً عنده ثم عاد إلى القلعة .

وفى ثالث عشر جُمَادَى الأولى غَضِب السلطانُ على القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن آبن القاضى محب الدين محمد [بن يوسف بن أحمد][5] ناظر الجيوش المنصورة بسبب إقطاع الأمير زامل أمير عَرَب آل فضل وضَرَبه بالدواة ، ثم امر به فضُرِب بين

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٣٧) : « وثلاثة عشر » .

(٢) رواية السلوك مائة « فرس » . (٣) رواية السلوك : « سارحة » .

(٤) فى الأصلين : « ثم تقدّم » . وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ ص ٤٣٨) .

(٥) الزيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٣٩) .

يديه نحو ثلثمائة عصاة وكان ترِفًا، فحُمِل فى محفّة إلى داره بالقاهرة، فلزِم الفراش إلى أن مات بعد ثلاثة أيام فى ليلة الخميس سادس عشر جُمادى الأولى . وأخلع السلطان على موفّق الدّين أبى الفرج [الأسلمى] (١) ناظر الخاصّ وآستقرّ به فى نظر الجيش مضافًا لنظر الخاصّ والذّخيرة ولآستيفاء الصحبة .

وفى أثناء شهر رجب المذكور استبدل السلطان خان الزّكاة (٢) من ذرّية الملك الناصر محمد بن قلاوُون بقطعة أرض وأمَرَ بهدمه وعمارة مدرسة مكانَه ، وأقام السلطان على عمارتها الأمير جاركس الخليلىّ أمير آخور ، فابتدأ بهدمه وشرَعَ فى عمارة المدرسة المعروفة بالبَرْقوقيّة (٣) بين القصرين ، فلمّا كان يوم الآثنين ثانى شعبان مات تحت الهَدْم جماعةٌ من الفَعَلة . وفى خامسه ركب السلطان إلى رؤية عمارته المذكورة وعاد إلى القلعة ، ثم سار إلى سَرْحة سِرْياقُوس على العادة بحريمه وخواصّه فى ندمائه وسائر الأمراء والأعيان ثمّ عاد بعد أيام .

ثمّ نزل فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رمضان لعيادة الشيخ أكمَل الدّين الشيخ بالشَّيْخُونيّة . ثمّ نزل فى يوم الخميس ثامن عشرة ليصلّى عليه فظَهرَ أنه أُغْمِىَ عليه ولم يَمُت، فعاد السلطانُ ونزَل فى يوم تاسع عشره حتى صلّى عليه بمصلاة (٤) المُؤْمِنىّ من تحت القلعة ومَشَى على قدَمْيه أمامَ النَّعْش من المُصَلّى إلى خانقاه شَيْخون مع الناس فى الجنازة بعد ما أراد أن يَحْمِل النعش غيرَ مرّة فتحمله الأمراءُ عنه وما زال واقفا على قبره حتى دُفِن وعادَ إلى القلعة ، كلُّ ذلك لآعتقاده فى دينه وغزير علْمِه ولقِدَم صحبته معه . ومن يوم مات الشيخ أكمل الدين صار الشيخ سراج الدين عمر البُلْقِينى يجلس مكانَه عن يمين السلطان .

---

(١) الزيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٤٠) . (٢) خان الزكاة سبق التعليق عليه فى هذا الجزء . والبرقوقية هى بذاتها المدرسة الظاهرية الآتى ذكرها . (٣) سيأتى الكلام عليها فى هذا الجزء . (٤) هذه المصلاة سبق التعليق عليها فى هذا الجزء .

ثم خَلَع السلطان على الشــيخ عِزّ الدين يوسف بن محمــود الرّازىّ العَجَمىّ باستقراره فى مشيخة خَانقاه شَيْخون عِوَضا عن الشيخ أَكْمل الدين المذكور .

ثم فى حادى عشر شــوّال قَدِم الأمير يَلْبُغَـا الناصرىّ نائبُ حلب إلى القاهرة وعدّى إلى السلطان ببرّ الجيزة، وعاد معه من برّ الجيزة، بعد ما غاب [عن] [1] صحبة السلطان أياما فى يوم الخميس أوّل ذى القعدة . وفى خامسه خَلَع عليــه خِلْعة السَّفر وتوجّه إلى محلّ كفالته بحلب ، وهذا قدومُ يلبغا الناصرىّ ثانى مرّة ، بعد سلطنة الملك الظاهر برقوق .

وفى يوم الخميس ثانى ذى القعــدة أُسِّست المدرسة الظاهرية [2] ببين القصرين موضع خان الزكاة .

---

(١) فى الأصلين : « بعد ما غاب صحبة السلطان ... الخ » وما أثبتناه يستقيم به الأسلوب .

(٢) هذه المدرسة هى بداتها المدرسة البرقوقيــة التى أنشأها السلطان برقوق فبــدأ فى وضع أساسها يوم ٨ ذى القعدة من سنة ٧٨٦ ﻫ كما ذكر المؤلف وأتم بناءها فى مستهل ربيع الأول ســنة ٧٨٨ ﻫ كما هو ثابت بالنقش فى عصابة ممتــدة بأعلى حائط وجهة المدرســة ؛ ثم تكرر إثبات هــذا التاريخ فى عدة مواضع منها مذكور فيها بعد البسملة : أمر بإنشاء هــذه المدرسة المباركة والخانقاه مولانا السلطان الملك الظاهر سيف الدين والدنيا أبو سعيد برقوق — و بعد ذكر ألقابه — وكان الفراغ فى مستهل ربيع الأول سنة ٧٨٨ ﻫ كما ذكرنا . وذكرها المقريزى فى خططه باسم الخانقاه الظاهرية (ص ٤١٨ ج ٢) فقال : إن هذه الخانقاه بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية ، أنشأها الملك الظاهر برقوق فى سنة ٧٨٦ ﻫ ثم قال : وقد ذكرت عند ذكر الجوامع فى هذا الكتاب . أى فى خططه ؛ ولم يتكلم عليها تفصيلا بل ذكرها إجمالا مع جميع المساجد الجامعة فقال : ومدرسة الظاهر برقوق (ص ٢٤٥ ج٢) . ولمـا تكلم المقريزى على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال : ويجد على يسرته المدرسة الظاهرية الجديدة وقــد أصاب فى هذه التسمية تمييزا لهـا من المدرسة الظاهرية الركنية التى أنشأها الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فى سنة ٦٦٢ ﻫ ، وهى كذلك بخط بين القصرين ، وهذه المدرسة التى يقال لهـا اليوم جامع السلطان برقوق لاتزال قائمة وعامرة بالشعائر الدينية بشارع المعز لدين الله الذى كان يسمى فى هذه المنطقة بشارع النحاسين وشارع بين القصرين بالقاهرة وهــذا الجامع من أجل وأبدع مساجد القاهرة فى البناء والزخرفة . ومن أراد معرفة وصفه تفصيلا فليرجع إلى كتاب الدليل الموجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة للأستاذ محمود باشا أحمد مدير إدارة حفظ الآثار العربية سابقا طبع سنة ١٩٣٨ .

وفى يوم الاثنين رابع ذى الحجة خلع السلطان على القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله باستقراره فى وظيفة كتابة السر على عادته بعد وفاة القاضى أوحد الدين.

وفى ثامن عشرين ذى الحجة استجد السلطان لقرافة[1] مصر واليًا أمير عشرة وهو سليمان الكردى وأخرجت[2] عن والى مدينة مصر ولم يعهد هذا فيما مضى .

وفيه نقل الأمير كمشبغا الحموى اليلبغاوى من نيابة صفد إلى نيابة طرابلس ٥ عوضا عن مأمور القلمطاوى وهذه ولاية كمشبغا لنيابة طرابلس ثانى مرة .

وفى يوم الاثنين ثانى محرم سنة سبع وثمانين وسبعمائة استقر الأمير سودون المظفرى حاجب حجاب حلب فى نيابة حماة بعد عزل الأمير صنجك وتوجه إلى طرابلس أميرًا بها .

وفى يوم الجمعة ثالث شهر رجب توجه[3] الأمير حسن بجا على البريد لإحضار ١٠ يلبغا الناصرى نائب حلب .

وفى عشرينه خرج من القاهرة الأمير كمشبغا الخاصكى الأشرفى على البريد لنقل سودون المظفرى فى نيابة حماة إلى نيابة حلب ؛ عوضًا عن الأمير يلبغا الناصرى. وأما الناصرى فإنه لما وصل إلى مدينة بلبيس قبض عليه وقيد وحمل إلى الإسكندرية واحتاط محمود شاد الدواوين على أمواله بحلب ومن يومئذ أخذ أمر ١٥ الملك الظاهر فى إدبار بقبضه على الأمير يلبغا الناصرى بغير ذنب .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) يريد بها وظيفة جديدة .

(٣) رواية السلوك (جـ ٣ ص ٤٥٣) : « وتوجه الأمير حسن بجا ... ... الخ ، ولم يذكر التاريخ المذكور. ٢٠

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشرين ذى الحجة قبض السلطان على الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس وقيده وحبسه ثم أفرج عنه بعد أيام وخلع عليه بنيابة الكرك عوضا عن تمرداش القشتمرى .

ثم فى محرم سنة ثمان وثمانين وسبعمائة قبض الملك الظاهر على جماعة من المماليك السلطانية وضربهم بالمقارع لكلام بلغه عنهم أنهم اتفقوا على الفتك به ، ثم قبض سريعا على الأمير تمربغا الحاجب ، وكان اتفق مع هؤلاء المذكورين وسمره ومعه عشرة من المماليك المذكورين ، [أركب] (١) كل مملوكين على جمل ، ظهر أحدهما إلى ظهر الآخر وأفرد تمربغا المذكور على جمل وحده ثم وسطوا الجميع ، فكان هذا اليوم من أشنع الأيام ، وكثر الكلام بسببهم فى حق الملك الظاهر إلى الغاية .

وفى خامس (٢) عشرينه قبض السلطان على ستة عشر من مماليك الأمير الكبير أيتمش ونفوا إلى الشام . ثم تتبع السلطان من بقى من المماليك الأشرفية فقبض على كثير منهم وأخرجوا من القاهرة إلى عدة جهات .

وفى يوم الخميس (٣) ثانى عشر شهر ربيع الأول رسم السلطان بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب كان ونقله من سجن الإسكندرية إلى ثغر دمياط وأذن له أن يركب ويتنزه حيث شاء .

---

(١) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٩) .

(٢) فى « م » : « وفى حادى عشرينه » والتصويب عن « ف » والسلوك ج ٣ ص ٤٦٠ .

(٣) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٦١) : « وفى يوم الجمعة ثانى عشر ... الخ » .

وفى شهر ربيع الآخر غَضِب السلطان على مُوَفَّق الدين أبى الفرج ناظر الجيش وضربه نحو مائة وأربعين عصاة[1] وأمر بحبسه .

وفى يوم الخميس رابع عشر جُمادَى الآخرة نُقلت رِمَمُ أولاد السلطان الخمسة من مدافنهم إلى القُبّة بالمدرسة الظاهريّة التى أنشأها الملك الظاهر بين القصرين ونُقِلت أيضا رِمّةُ والد الملك الظاهر الأمير آنص عِشاءً والأمراء مشاةٌ أمامَ نَعْشه، حتى دُفِن أيضا بالقُبّة المذكورة .

ثمّ فى يوم الأربعاء حادى عشرة نزل الأمير جاركس الخليلىّ الأميرآخور إلى المدرسة الظاهريّة المقدّم ذكرُها بعدفراغها وهيّأ بها الأطعمةَ والحلاوات والفواكه . ثمّ ركب السلطان من الغد فى يوم الخميس ونزل من القلعة بأُمرائه وخاصّكيّته إلى المدرسة المذكورة، وقد آجتمع القضاةُ وأعيانُ الدولة، فمدّ بين يديه سماطًا جليلا ، أوّله عند المحراب وآخره عند البَحْرة التى بوسط المدرسة ، وأكلَ السلطان والقضاةُ والأمراءُ والمماليكُ ، ثمّ تناهبت الناس بقيّتَهُ، ثم مُدَّ سِماط الحَلَوات والفواكه ومُلِئَت البحرة التى بصَحْن المدرسة من مشروب السُّكَّر، ثم بعد رفع السماط أخلع السلطان على الشيخ علاءالدين [علىّ] السِّيرامىّ[2] الحنفىّ وقد آستدعاه السلطان من بلاد الشرق وآستقرّ مدرّس الحنفيّة وشيخ الصوفيّة وفرَش له الأميرُ جاركس الخليلىُّ السّجّادة بيده حتّى جَلَس عليها . ثم خَلَع السلطان على الأمير جاركس الخليلىّ شاد عِمارَة المدرسة المذكورة وعلى المُعَلِّم شهاب الدين أحمد بن الطُّولُونىّ المهندس وركِبا فَرَسين بقُماش ذهب . ثم خلع السلطان على خمسة عشر نفرًا من مماليك

(١) فى السلوك المصدر المتقدم : « نحو مائة وأربعين ضربة » .
(٢) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٦٧) .

جاركس الخليلي ممن باشروا العمل مع أستاذهم وأنعم على كلّ منهم بخمسمائة درهم.
ثم خلع السلطان على مباشرى العمارة .

ولمّا جلس الشيخ علاء الدين السيرامى[1] على السجّادة تكلّم على قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ الآية . ثم قرأ القارئ عشرًا من القرآن ودعا . وقام السلطان وركب بأمرائه وخاصّكيّته وعاد إلى القلعة، بعد أن خرج من باب زويلة، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة .

ثم بدا للسلطان بعد ذلك أن يقبض على الأمير بيدمر الخوارزمى نائب الشام، فأرسل طاووسا[2] البريدى للقبض عليه ورسم للأمير تمربغا المنجكى أن يتوجّه على البريد لتقليد الأمير إشقتمر الماردينى عوضه بنيابة الشام وكان إشقتمر بالقدس بطّالا، وقد تقدم أن إشقتمر هذا ولى نيابة حلب فى أيام السلطان حسن الأولى ويلبغا أستاذ برقوق يوم ذاك خاصّكى، فانظر إلى تقلبات الدهر .

وفى يوم الجمعة عاشر شهر رمضان من سنة ثمان وثمانين وسبعمائة أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهرية المذكورة وخطب بها جمال الدين محمود القيصرى العجمى المحتسب .

وحجّ فى هذه السنة الأمير جاركس الخليلى بتجمّل كبير وحجّ من الأمراء كمشبغا الخاصّكى الأشرفى ومحمد بن تنكز[3] [بن] بغا وجاركس المحمودى[4] .

---

(١) هو أحمد بن محمد شيخ الشيوخ الشهير بالعلاء السيرامى الحنفى شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية برقوق، توفى بالقاهرة يوم الأحد ثالث جمادى الأولى سنة ٧٩٠هـ وسيذكر المؤلف وفاته فى السنة المذكورة .

(٢) فى « ف » : « طاس » .

(٣) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٦٧) .

(٤) فى السلوك المصدر المتقدم : " جاركس المحمدى "

وفي يوم الاثنين [خامس (١)] عشرين شوّال استدعى السلطان زكريّا ابن الخليفة المعتصم بالله أبي إسحاق إبراهيم — و إبراهيم المذكور لم يلِ الخلافة — ابن المُسْتَمْسِك بالله أبي عبدالله محمد — وكذلك المستمسك لم يلِ الخلافة — ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد العباسيّ وأعلمه السلطان أنه يُرِيد أن يُنَصِّبَه في الخلافة ، بعد وفاة أخيه الواثق بالله عُمر .

ثم استدعى السلطان القضاةَ والأمراءَ والأعيانَ ، فلمّا اجتمعوا أظهر زكريّاءُ المذكورُ عَهْدَ عمِّه المعتضد له بالخلافة ، فخَلَع السلطان عليه خِلْعةً غيرَ خِلْعة الخلافة ونزل إلى داره . فلمّا كان يومُ الخميس ثامن عشرينه طَلَعَ الخليفةُ زكرياءُ المذكور إلى القلعة وأحضر أعيانَ الأمراء والقضاةَ والشيخَ سراج الدين عمر البُلْقِينيّ فبدأ البُلْقِيني بالكلام مع السلطان في مبايعة زكريّاء على الخلافة فبايعه السلطان أوّلا ، ثم بايعه مَنْ حضر على مراتبهم ونُعِتَ بالمستعصم بالله وخَلَع عليه خِلْعة الخلافة على العادة ونزل إلى داره وبين يديه القضاةُ وأعيانُ الدولة .

ثم طلع زكرياء المذكور في يوم الاثنين ثاني (٢) ذي القعدة وخَلَع عليه السلطان ثانيا بنظر المشهد النفيسيّ على عادة مَن كان قبله من الخلفاء ، ولم تكن هذه العادة قديما ، بل حدثتْ في هذه السنين .

وفي خامس عشرين ذي الحجة قَدِم مُبَشِّر الحاجّ السَّيْفيّ بُطَا الخاصّكيّ وأخبر أن الأميرَ آقبغا الماردينيّ أمير الحاجّ لمّا قَدِم مكّة خرج الشريف محمد بن أحمد ابن عَجْلان أمير مكّة لتَلَقِّيه على العادة ونزل وقبّل الأرض ثم قبّل خُفّ جَمَل المَحْمِل .

---

(١) التكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٦٧) .

(٢) في السلوك (ج ٣ ص ٤٦٨) : « ثالث ذي القعدة » .

وعندما آنحنى وثب عليه فِدَاوِيّان ، ضربه أحدُهمـا بخَنْجَر فى عنقُه وهما يقولان : غريم السلطان نخرّ ميتا وتمّ نهارَه مُلْقَى حتى حَمَله أهلُه وواروه وكان كُبَيْش على بُعد، فقَتَل الفِداوِيّةُ رجلا آخر يظنُّونه كُبَيْشًا وأقام أميرُ الحاجّ لابسَ السـلاح سبعة أيام خوفا من الفتنة، فلم يتحرّك أحدٌ، ثم خلع أميرُ الحاجّ على الشريف عِنان بآستقراره أميرَ مكّة عوضا عن محمد المذكور وتسلّمها .

ثمّ فى تاسع عشرين ذى الحِجّـة قدمت رسـلُ الحبشة بكتاب مَلِكهم الحطّى وآسمه داود بن سيف أَرْعَد ومعهم هديّة على [أحد و] (١) عشرين جَمَلا ، فيهـا من طرائف بلادهم ، من جُملتها قُدور قد مُلِئت حِمّصا صُنِـع من ذهب إذا رآه الشخص يظنّه حمصا وغير ذلك .

ثم فى يوم السبت سابع عشر صَفَر من سنة تسع وثمـانين وسبعمائة قَدِم الأمير أَلْطُنْبغا الجُوبانىّ نائب الكَرَك بآستدعاء ، فأُخلع عليه السلطان بآستقراره فى نيابة دِمشق عوضا عن إِشقْتَمُر المـارِدِينىّ وعُزِل إشقتمر ولم تَكْمُل ولايتُه على دِمَشق عشرة أشهر وأقام ألطنبغا الجوبانىّ بالقاهرة ثلاثة أيام وسافر فى يوم تاسع عشره بعدما أنعم عليه الملك الظاهر بمبلغ ثلاثمـائة أَلْف درهم فِضّة وفَرَس بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكش وأرسل إليـه الأمير أَيْتَمَش بمـائة ألف درهم وعِدّة بُقَج ثياب وآستقرّ مُسَفِّره الأمير قَرْقَماس الظاهرىّ وخرج الجُوبانىّ من مصر بتجمُّل عظيم . ثم رُسِم بآستقرار الأمير ناصر الدين محمد بن مبارك المِهْمِندار فى نيابة حَماة عوضا عن الأمير سُودون العثمانى ، وآسـتقرّ سودون العثمانى على إقطاع محمـد بن المِهْمِندار المذكور بحلب .

---

(١) التكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٧١) .

وفي آخر جُمَادَى الآخرة من السنة وهي سنة تسع وثمانين وَرَد الخبرُ على السلطان بأن تيمُور لَنْك صاحب بلاد العجم كَبَس الأمير قرا محمد صاحب مدينة تِبرِيز[١] وكَسَره ففرّ منه قرا محمد في نحو مائتي فارس وتوجّه بهم إلى جهة مَلَطْيَة[٢] ونزل هناك ونزل تيمُور لَنْك على آمِد[٣] فاستدعى السلطان القضاةَ والفقهاءَ والأمراءَ وتحدّث معهم في أخذ الأوقاف من البلاد بسبب ضَعْف عسكر مصر فكَثُر الكلام في ذلك وصَمَّم الملك الظاهرُ على إخراج الجميع للجند، ثم رَجَع عن ذلك ورسم بتجهيز أربعة أمراء من أمراء الألوف بالديار المصريّة وهم : الأمير أَلْطُنْبُغَا المُعَلّم أميرُ سلاح والأمير قَرْدَم الحَسَني رأس نوبة النُّوب والأمير يُونُس النَّوْرُوزِيّ الدوادار الكبير والأمير سُودون باق وسبعة أمراء أُخَر من أمراء الطبلخانات وعَيّن معهم من أجناد الحَلْقة ثلاثمائة فارس فتجهّز الجميعُ وخرجوا من القاهرة في أوّل شهر رجب وساروا إلى حلب ونائبها يوم ذاك سودون المظفَّري وقد وصل إليه الخبرُ بأن قرا محمدا واقع ابن تيمور لنك وكسره ورجع إلى بلاده .

وبعد خروج العسكر آستدعى السلطان في سادسَ عشرين[٤] شعبان من سنة تسع وثمانين المذكورة الشيخَ ناصرَ الدين آبن بنت الميلق[٥] وولّاه قضاءَ الشافعيّة بالديار المصرية بعد عزل القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء عنها بعدما تمنّع

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٧٨) : « يوم الاثنين رابع شعبان » .

(٥) هو قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بابن بنت ميلق الشاذلي الصوفي قاضي قضاة الديار المصرية ، سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٩٧هـ ، وراجع ترجمته في المنهل الصافي (ج ٣ ص ١٧٢ ب) .

ابن الميلق المذكور من قبول القضاء تمنّعا زائدا وصلى ركعتى الآستخارة حتى أذعن، فألبســه السلطان الملك الظاهر تشريف القضاء بيــده وأخذ طيلسانه يتــبرّك به ونزّل و بين يــديه عظماءُ الدولة إلى المدرســة الصالحية[1] ، فــداخل أربابَ الدولة بولايته خوفٌ ووهمٌ وظنّوا أنه يحمــل الناس على محْض الحق وأنه يسير على طريق السّلف من القضاة، قال الشيخ تقىّ الدين المَقْريزىّ — رحمه الله — لمـا أَلِفُوه من تشدّقه فى وعظه وتفخّمه فى منْطقــه و إعلانه فى التّنكير على الكافة ووقيعتــه فى القُضاة وٱشتماله على لُبْس المتوسّط من الخشن ومَعِيبه على أهل التّرف .

وكان أوّل ما بدأ به أن عَزَل قضاة مصر كُلهم من العَرِيش[2] إلى أُسْوان[3] و بعد يومين تكلّم معــه الحاجّ مُفْلِــح مولى[4] القاضى بدر الدين بن فضل الله كاتب السرّ فى إعادة بعض مَنْ عزله من القضاة، فأعاده، وٱنحلّ ما كان معقودًا بالقلوب من مهابته . ثمّ قلَع زِيّه الذى كان يَلْبَسُه ولَبِس الشاش الكبيرَ الغالى الثمن ونحوه وترفّع فى مقاله وفعاله، حتى كاد يصعَد الجَوّ وشحّ فى العطاء ولاذَ به جماعةٌ غير مُحبَّبين إلى الناس فٱنطلقت ألسنةُ الكافّــة بالوقيعة فى عِرْضه واختلقوا عليــه ما ليس فيــه . انتهى كلام المقريزىّ بٱختصار .

قلت : كل ذلك والملك الظاهر لا يسمع فيه قولَ قائل ، حتى كانت وقعــة النــاصرىّ ومِنْطاش مع الملك الظاهر برقوق وحُبِس الملك الظاهرُ بالكَرَك وكان هو قاضيا يومئذ فوَقع فى حقّ الظاهر وأساء القولَ فيــه ، فبلغ الظاهرَ ذلك قبل

---

(١) سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) سبق التعليق عليها فى الجزء الخامس من هذه الطبعة (ص ١٥٧) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) فى الأصلين : « عبد القاضى ... الخ » وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٣ ص ١٧٢ ب) .

ذهابه إلى الكرك وهو بسجن القلعة فأسرّها في نفسه على ما سنذكره في محلّه في سلطنة الملك الظاهر الثانية إن شاء الله تعالى .

ثمّ ورد الخبر على السلطان الظاهر بأن العسكر المجرّد من الديار المصرية عاد إلى حلب وكان توجّه نحو ديار بكر صحبة نوّاب البلاد الشامية وعاد وكان الأمير ألطُنْبُغا الجُوبانيّ نائب الشام مقدّم العساكر وخرج بثقل عظيم وزدخاناه هائلة، جدّدها بدمشق حتى إنه رسم لفضلاء دمشق أن يَنْظُموا له ما يُنقش على أسنّة الرماح، فنظم له القاضي فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سرّ دمشق :

[البسيط]

إذا الغُبارُ علا في الجوّ عِثْيَرُهُ * وأظلم الجوُّ ما للشمس أنوارُ
هذا سِنانِيَ نجمٌ يُستضاءُ بِهِ * كأنّني عَلَمٌ فِي رأسِهِ نارُ
والسيفُ إن نام مِلْءَ الجَفْنِ فِي غُلُفٍ * فإنّني بارزٌ لِلحربِ خَطّارُ
إنّ الرماح لأغصانٌ وليس لها * سوى النجومِ على العِيدانِ أزهارُ

ونظم القاضي صدر الدين عليّ بن الآدميّ الدمشقيّ الحنفي في المعنى فقال :

[الكامل]

النصرُ مقرونٌ بِضَرْبِ أسِنّةٍ * لَمَعانُها كَوَمِيضِ بَرْقٍ يُشْرِقُ
سُبِكَتْ لِتَسْبِكَ كلَّ خَصْمٍ مارِدٍ * وتَطرّقَتْ لِمُعانِدٍ يَتَطَرّق
زُرْقٌ[1] تفوقُ البِيضَ فِي الهَيْجاءِ إذْ * يَحْمَرُّ من دمِهِ العدوُّ الأزرق
يَنْسُجْنَ يومَ الحربِ كلَّ كتيبة * تحتَ الغُبارِ فنصرُهنّ مُحقّق

(١) رواية أحد المصادر : « سمر » .

ونظم الشيخ شمس الدين محمد المزيّن الدّمشقىّ فى المعنى وأجاد إلى الغاية :

[الكامــــل]

أنا إسمــرٌ والرايةُ البيضــاءُ لِى * لا لِلسيوف وسَلْ مِنَ الشُّجعانِ

لم يحــلُ لى عيشُ العُــداةِ لأننِى * نُودِيتُ يــومَ الجَمْــعِ بِالمُــرّانِ

وإذا تَفَــاتَمَتِ الكُماةُ بِجَحْفَلٍ[1] * كَلَّمتُهم فِيــــهِ بِكلِّ لِســانِ

فتخالهم غنمًا تُســاقُ إلى الرّدى * قَهْــرًا لِمُعظَمِ سَــطْوةِ الجُوبانى

ثمّ فى شوّال خَرَج السلطان من القاهرة إلى سِرياقُوس[2] على العادة فى كل سنة، واستدعى به بالأمير يَلبُغَا الناصرىّ من ثَغْرِ دمِيــاط[3]، فوصل إلى سِرياقوس فى ثالث عشر شوّال[4] وقبّل الأرض بين يدى السلطان، فأكرمه السلطان وأنعم عليه بمائة فَرَس ومائة جَمَل وسلاح كثير [ومال[5]] وثياب وأشياء غير ذلك، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف درهم فضة، وأهدَى إليــه سائرُ الأمراء على العادة، كل واحد على قَدْر حاله .

ثم عاد السلطان من سرياقوس فى أوّل ذى القَعْــدة، وخلَع على الأمير يلبغــا الناصرىّ المذكور فى خامس ذى القعدة من سنة تسع وثمانين المذكورة باستقراره فى نيــابة حلب على عادته، عوضا عن سُودون المظفرىّ بحكم اســتقرار سُودون المظفرىّ أتابك حلب وأَمَرَهُ بالتجهيز، وهــذه ولاية الناصرىّ الثالثة على حلب،

---

(١) التفتة : العجمة . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجــزء التاسع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٠) : « فوصل إلى المخيم بسرياقوس فى عشرين شوّال » .

(٥) زيادة عن السلوك المصدر المتقدّم .

فأصلح الأمير يلبغا الناصرى أمره وتهيأ للسفر، وخرج فى ثامن ذى القعدة إلى الريدانية، بعد أن أخلع السلطان عليه خلعة السفر، وسافر من الريدانية فى تاسعه بتجمل عظيم وبرك هائل ومسفره الأمير جُمَق ابن الأمير أيتمش البجاسى، وبعد خروجه بثلاثة أيام قدم البريد من البلاد الشامية بأن تمربغا الأفضلى الأشرفى المدعو منطاش نائب ملطية خرج عن الطاعة ووافقه القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس وقرا محمد التركمانى ونائب البيرة ويلبغا المنجكى وعدة كبيرة من خشداشية منطاش من المماليك الأشرفية وأنه انضم عليه جماعة كبيرة من التركمان، فتشوش السلطان فى الباطن ولم يظهر ذلك، وندم على توليته يلبغا الناصرى على نيابة حلب، غير أنه لم يسعه إلا السكات .

ثم ركب السلطان الملك الظاهر فى ثانى يوم جاء الخبر بعصيان منطاش وعدى البحر إلى بر الجيزة وتصيد وعاد فى سادس عشرينه، وبعد عوده بأيام وصل قاصد الأمير تمربغا الأفضلى الأشرفى المدعو منطاش نائب ملطية يخبر أنه ماتافق وأنه باق على طاعة السلطان، فأخذ السلطان فى أخبار القاصد وأعطى، وبينما هو فى ذلك قدم البريد من حلب فى إثره يخبر السلطان بأن منطاش المذكور عاص، وأنه ما أرسل يقول : إنه باق على الطاعة إلا يدفع عن نفسه حتى يخرج فصل الشتاء ويدخل فصل الربيع وتذوب الثلوج، فسير السلطان السيفى ملكتمر الدوادار بعشرة آلاف دينار إلى الأمراء المجردين قبل تاريخه توسعة لهم، وأمره فى الباطن بالفحص عن أخبار منطاش وحقيقة أمره، وبعد خروج ملكتمر فشا الطاعون بالقاهرة ونواحيها فى شهر ربيع الأول من سنة تسعين وسبعمائة، واشتغل الناس عرضاهم وأمواتهم عن غيره .

ثم أخلع السلطان على الأمير أَيْدَكَار[(١)] العُمَرِىّ اليَلْبُغَاوِىّ الحاجب الثانى وأحد مقدّمى الألوف ، بآستقراره حاجب الحجاب بالديار المصرية ، عوضا عن قُطْلُوبغا الكُوكائى بعد شغورها عنه أربع سنين ، وأُضِيف إليه نظرُ خانقاة شيخون ، وآستقرّ الأمير زين الدين أبو بكر بن سُنقر عوضه حاجبا ثانيا حاجب مَيْسَرة بتقدمة ألف .

ثم فى حادى عشرين جُمادَى الأولى من السنة قَدِم صَرَاى تَمُر دوادار الأمير يُونُس النَّوْرُوزِىّ الدوادار ، ومملوك نائب حلب الأمير يَلْبُغَا الناصرىّ يُخْبِران بأنّ العسكر توجّه إلى سِيواس وقاتلوا عسكرها ، وقد آستنجد أهلُ سيواس[(٢)] بالتتر، فأتاهم من التتر نحو الستين ألفا فحاربهم العسكر المصرىّ والحلبىّ يوما كاملا حتى هزموهم وحصروا سيواس بعدما قُتِل كثير من الفريقين وجُرِح معظمُهم، وأنّ الأقواتَ عندهم عزيزة ، فجهّز السلطان للعسكر المذكور خمسين ألفَ دينار مصرية وشكَرهم وسار بالذهب مَلِكْتَمُر الدوادار ثانيا بعد قدومه مصر بأيام قليلة .

وكان خروجُ مَلِكْتَمُر فى هذه المرّة الثانية بالذهب فى سابع عشرين جمادى الآخرة[(٣)] ، هذا ما أخبره صراى تَمُر دوادار ثانى يُونُس الدّوادَار .

وأمّا ما وَقَع من بعده هناك فإنّ العسكر تحرّك إلى الرحيل عن سيواس لطُول مُكْثِهم ، وعندما ساروا هجم عليهم التتر من خلفهم ، فآحترز الأمير يَلْبُغَا الناصرىّ نائب حلب إلى جهةٍ حتى صار خلفَهم ، ثم طَرَقَهم بمن معه ووضع السيفَ فيهم ،

---

(١) هو أيدكار بن عبد الله العمرىّ اليلبغاوىّ . ذكر المؤلف له ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٢٤٣ ب) ؛ وقد ذكر فى السلوك للمقريزى (ج ٣ ص ٤٨٩) باسم : « بدكار » وهو تحريف .

(٢) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) السياق يقتضى : « فى سابع عشرين جمادى الأولى » راجع السلوك (ج ٣ ص ٤٩٠) .

فقَتَل منهم خلائِقَ كثيرةً وأَسَرَ منهم نحوَ الألف وأخذ منهم نحو عشرة آلاف فرس وعاد العسكر سالمًا إلى حلب؛ فقَدِم هـذا الخبر الثانى أيضا على يد بعض مماليك الأمير يُونُس الدوادار ، فسُرَّ السلطان بذلك ودُقَّت البشائر بالديار المصرية ، ورَسَم السلطان بعَوْد العسكر المصرىّ إلى نحو الديار المصرية . فعادوا إليها فى ثالث شعبان من سنة تسعين وسبعمائة ، فكانت غيبتُهم عن القاهرة سنة وعدّة أيام . ولمّا وصلوا وطلعوا إلى القلعة أخلع عليهم السلطان الخِلَع الهائلةَ وشكرهم ونزلوا إلى دورهم ، وكثُرت التهانئ لمجيئهم .

ثمّ فى خامس عشر شعبان المذكور طلبَ السلطان الأميرَ الطواشى بَهادُر مقدّمَ المماليك السلطانية ، فلم يجِدْه بالقلعة ثم أُحضِر سكرانا من بيت على بحر النيل ، فغضِب السلطان عليه ونَفَاه إلى صَفَد على إمرة عشرة بها ، وأَخْلَعَ على الطواشى شمس الدين صَواب السَّعدىّ المعروف بشَنْكل الأسود بتقدمة المماليك السلطانية عوضًا عن بهادر المذكور ، واستقرّ الطواشى سعد الدين بَشِير الشَّرَفىّ فى نيابة المقدّم عوضا عن شَنْكل المذكور .

وحجّ فى هـذه السنة أيضا الأميرُ جَارَكس الخليلىّ الأمير آخور الكبير أمير حاجّ الأوّل . وكان أميرَ حاجّ المَحْمل الأمير آقْبُغا المَارِدينىّ وخرج الحجّ من مصر فى عاشر شوّال ، وفى أثناء ذلك قَدِم الخبرُ بعصيان الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ نائب الشام وأنه ضرب الأميرَ طُرُنْطاى حاجب حجّاب دمَشق واستكثر من استخدام المماليك وشاع ذلك بالقاهرة وكثُرت القالة بين الناس بهذا الخبر ، فلمّا بلغ الأمير أَلْطُنبغا الجُوبانىّ ذلك أرسل استأذن السلطان فى الحضور إلى الديار المصرية ، فأذن له السلطان فى ذلك وفى ظنّ كلّ أحد أنه لم يحضُر ، فعندما جاءه الإذن ركب البريدَ من دمَشق

فى خواصّه وسار حتى نزل سِرْيَاقُوس خارجَ القاهرة فى ليلة الخميس سابع عشرين شوّال من ســنة تسعين المذكورة ، وبلغ السلطان ذلك فأرسل إليــه الأمير فارسا الصَّرغتمشىّ أميرَ جانْدار ، فقَبَض عليــه من سِرْياقوس وقيّــده وسيّره إلى سجن الإسكندرية صحبةَ الأمير أُلجِيبُغا الجمالىّ الدوادار .

ثمّ رَسَم السلطان بأنّ طُرُنْطاى حاجب حُجاب دِمَشق يستقرّ فى نيــابة دمشق عوضًا عن الأمير أَلْطنبغا الجوبانىّ المذكور ، وحَمَل إليه التشريفَ والتقليدَ الأميرُ سُودونُ الطُّرُنْطائىّ ، فعظُم مَسْكُ الأمير ألطنبغا الجوبانىّ على النــاس كونه ظهر للسلطان براءتُه ممّــا نقلَه عنــه أعداؤُه وكونه من أكابر اليلبغاويّة ، ولم يَسَعْهم إلا السكات لفوات الأمر .

ثم كتبَ السلطانُ كتابا لأمراء طَرَابُلس وأرسله على يد بعض خواصّه بالقَبْض على الأمير كَمَشْبُغا الحَمَوِىّ اليَلْبُغاوِىّ نائب طرابُلُس ، فقَدِم سيفُه فى عاشر ذى القعدة فتأكَّد تشويش الناس بمَسك كَمَشْبُغا أيضا ، فإنه أكبر مماليك يَلْبُغا العمرىّ .

وممّن صار فى أيام أستاذه يَلْبُغــا أمير طبلخاناه ، وتوجّه الأميرُ شَــيْخ الصَّفَوِىّ بتقليد الأمير أَسَنْدَمر المحمّدىّ حاجب حُجّاب طَرَابُلُس بنيابة طرابلس عوضا عن كمشبغا الحَمَوِىّ المقدّم ذِكْرُه .

ثم نَفَى السلطان الملكُ الظاهرُ الأمير كَمَشْبُغَا الخاصّكىّ الأشرفىّ ، أحد أمراء الطبلخانات ورأسَ نَوْبَة إلى طرابُلس ، فسار من دِمْياط[1] ، لأنّه كان فى اليَزَك بالثَّغْر المذكــور .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ثمّ قَدِم البريد بعشرين سَيْفًا من سُيوف الأمراء الذين قُبِض عليهم من أمراء البلاد الشامية، ثم كَتَب السلطان بالقَبْض على الأمراء البَطّالينَ ببلاد الشام جميعا، ثم أعيد سُودون العثمانىّ إلى نيابة حَمَاة بحكم خروج كُشْلِي منها إلى نيابة مَلَطْيَة، عِوضًا عن منطاش، وكان كُشْلِي وَلِي نيابة حَمَاة قبل تاريخه بمدّة يسيرة عوضا عن ابن المهمندار.

ثم فى ثانى ذى القَعْدَة قَدِمَت رُسُلُ قَرَا محمد وأخبروا أنه أخذَ مدينةَ تِبْرِيز[1]، وضَرَب بها السِّكّة بآسم السلطان الملك الظاهر برقوق، ودعا له على منابرها وسيّر دنانيرَ ودَرَاهِم، عليها آسم السلطان، وسأل أن يكون نائبا بها عن السلطان فأُجيب بالشكر والثناء، هذا والخواطرُ قد نَفَرت من الملك الظاهر لكثرة قَبْضه على الأمراء من غير مُوجِب، وتخوّف كلُّ أحد منه، على نفسه حتى خواصّه وكَثُر تَخَيُّلُ الأمراء منه، و بينما هم فى ذلك أُشِيع بالديار المصريّة بعِصْيان الأمير يَلْبُغا الناصرىّ نائب حلب، وكثر هذا الخبر فى محرّم سنة إحدى وتسعين وسبعمائة. وسبب ذلك أنه وَقَع بين الأمير يلبغا الناصرىّ و بين سُودُون المظفّرىّ أتابك حلب المعزول عن نيابة حلب قبل تاريخه، وكاتَب كلٌّ منهما فى الآخر، فآحتار السلطانُ بينهما وقد قوِى تخوّفه من الناصرىّ.

قال المَقْرِيزِىّ — رحمه الله —. وكان أَجْرَى الله سبحانه وتعالى على أَلْسنَة العامّة: من غَلَبْ، صَاحِبْ حَلَبْ، حتى لا يكاد صغيرٌ ولا كبيرٌ إلا يقول ذلك، حتى كان من أمر الناصرىّ نائب حلب ما كان. انتهى كلام المقريزىّ.

ولمّـا شاع ذلك جمعَ السلطان الأمراء والخاصّكيّة فى يوم الأحد خامس صفر بالمَيْدان من تحت القلعة وشَرِب معهم القِمِزّ ، وقرّر لشربه معهم يومَى الأحد والأربعاء، يروم بذلك أخذ خواطِرهم .

ثمّ فى عاشره بعث السلطان هديّة للأمير يَلْبُغا الناصرىّ نائب حلب فيهـا عِدّة خيول بقُماش ذَهب [وَقَباء](١) وآستدعاه ليحضُر ليعْمَل معه مَشُورة فى أمر مِنْطاش ، فلمّا أتاه رسول السلطان بالحضور إلى الديار المصرية ، خَشِى أن يَفْعَل به كما فَعَل بالأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانىّ نائب الشـام من مَسْكه وحبسه بالإسكندرية ، فكَتَب يعتـذر عن الحضور إلى حضرة السلطان بحـركة التُّرْكُمان وعِصْيان مِنْطاش ، وأنه يتخوّف على البلاد الحلبية منهم، ومهما كان للسلطان من حاجة يُرسِل يعرّفه ليقوم بقضائهـا ، وعاد رسـول السلطان إلى مصر بهـذا الجواب ، فلم يقبل السلطان ذلك منـه فى الباطن وقبِله فى الظاهر وقد كَثُر تخيُّـلُهُ منه ، وأخذ فى التدبير على الأمير يلبغا الناصرىّ مع خواصّـه ، حتى آقتضَى رَأْىُ الجميـع على إرسال تُلَكْتَمر(٢) الدوادار إلى حلب بحِيـلة دَبَّرُوها ، فخَـرج تُلكتمر المحمّدىّ الدوادار المـذكور وعلى يده مثالان ليلبغا الناصرىّ نائب حلب ولسودون المظفرىّ أتابك حلب المقدّم ذكره أن يصطلحا بحضرة الأمراء والقضاة والأعيان وسير معه خلعتين يلبسانها بعد صلحهما وحمل السلطان فى الباطن مع ملكتمر عدّة مطالعات إلى سودون المظفرىّ وغيره من أمراء حلب وأرباب وظائفها بالقبض على الناصرىّ وقتـله إن آمتنع من الصـلح وكان مملوك الناصرىّ قد تأخر بالقاهرة عن السفر لحلب ليفرّق كتبا

---

(١) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٩٩) .

(٢) فى الأصلين : « ملكتمر » وتصحيحه عن المنهل الصافى (ج ١ ص ٤٠٨ (ب)) .

من أستاذه على أمراء مصر، يدعوهم فيها إلى مُوافقته على الخروج على السلطان وأخّر السلطان أيضا جواب الناصرىّ الوارد على يد مملوكه المذكور، عامدا حتى يسبقه تُلَكْتَمر الدوادار إلى حلب . وكان مملوك الناصرىّ المذكور يَقِظا حاذِقا ، فبلغه ما على يد تُلَكْتَمُر الدوادار من المطالعات بالقبض على أُستاذه يَلْبُغا الناصرىّ وعلم أنه عُوّق حتى سافر تُلَكْتَمر . ثم أُعطى الجواب، فأخذه وخرج من مصر فى يومه وسار مسرعا وجدّ فى السَّوْق حتى سبق تُلَكْتَمر الدوادار إلى حلب وعرّف أستاذه بخبر تُلَكْتَمر كلّه سِرًّا ، فأخذ الناصرىّ فى الحذر . ويقال : إنّ تُلَكتمر الدّوادار كان بينه وبين الشيخ حسن رأس نَوْبة الناصرىّ مصاهرةٌ، فلما قرُب من حلب بعث يُخْبِرُ الشيخ حسنًا المذكور بما أتى فيه ، فعلى كل حال ٱحترز الناصرىّ . وهذا الخبر الثانى يَبعُد والأوّل أقربُ وأقوى عندى من كلّ وجه .

ثُمّ لمّا تحقق الناصرىّ ماجاء فيه تُلَكْتَمر احترز على نفسه وتعبأ، فلما قرب تُلَكْتَمُر من حلب، خرج الأمير يلبغا الناصرىّ من حلب ولاقاه على العادة مُظْهِرا لطاعة السلطان وقبّل الأرض وأخذ منه مِثاله وعاد به إلى دار السعادة (١) بحلب وقد اجتمع الأُمراء والقُضَاة وغيرهُم لسماع مرسوم السلطان وتأخّر الأمير سُودون المظفّرى أتابَك حلب عن الحضور ولم يُعجِبْه ما فعله الملك الظّاهر برقوق من حضوره عند الناصِرىّ لمعرفته بقوّة الناصرىّ وكثرة مماليكه، فأرسل له الناصِرىّ — غير قاصد — يستعجله للحضور فلم يجد بدًّا من الحضور وحضر وهو لابسٌ آلة الحرب من تحت قماشه خوفا على نفسه من الناصرىّ وحواشيه، فعندما دخل سودون المظفّرىّ إلى دِهْليز دار السّعادة . جَسّ قازان اليَرْقَشِىّ أمير آخور الناصرىّ كَتِفَهُ فوجد السلاح،

(١) يراد بدار السعادة هنا دار الحكومة التى يقيم فيها الوالى أو الحاكم لإدارة شؤون الولاية أو المقاطعة وهذا هو المقصود هنا .

فقال : يا أمير! الذى يجىءُ للصلح يدخل دار السعادة وعليه السلاح وآلة الحرب، فسبّه سُودون المظفّرى، فسلّ قازان سيفه وضربه به وأخذت سودون المظفّرى السّيوف من كل جانب من ممـاليك الناصرى، الذين كان رتّبهم لهذا الأمر ، فقُتِل سُودون المظفرى، بعد أن جرّدت ممـاليكه أيضا سُيوفهم وقاتلوا ممـاليك الناصرى، ساعة هيِّنَةً وقُتِل من الفريقين أربعة أنفس لا غيُر وثارت الفتنة .

فى الحال قبض الناصرى، على حاجب حجّاب حلب وعلى أولاد المِهْمَنْدار وكانا مُقَدَّمَىْ ألوف بحلب وعلى عدّة أمراء أُخَر ممن يخشاهم ويخاف عاقبتهم . ثم ركب الناصرى، إلى القلعة وتسلّمها واَسْتَدعى التركمان والعربان وكتب إلى تَمُربُغا الأفضلى، الأشرفى، المعروف بمنطاش يدعوه إلى موافقته ، فسُرّ منطاش بذلك وقَدِم عليه بعد أيام ودخل تحت طاعته . وكان الناصرى، قد أبَاد مِنْطاش وقاتَله ، منذُ خرَج عن طاعَته وطاعة السلطان غير مرّة ، وصار منطاش من جُملة أصحابه وتعاضد الأشرفيّـة واليلبُغاويّة ، واليلبغاوية هم الأكثر ، فإنّ الناصرى، من كِبار اليلبغاويّة ومنطاش من كِبار الأشرفيّة ، هذا مع ما انضم على الناصرى، من أكابر الأمراء على ماسيأتى ذكره . وعاد مَلِكْتَمُر الدّوادار بهـذا الخبر فى خامس عشر صفر ، فكان عليـه خبرٌ غير صالح ، فكتب السّلطان فى الحال إلى الأمير إينال اليوسفى، أتابَك دِمَشق والمعزول قبل تاريخه عن نيابة حلب بنيابة حلب ثانيـا . وجهّز إليـه التّشريف والتّقليد فى ثامن عشر صفر المذكور من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ، وكان إينال اليوسفى، ممن اَنحرف على السلطان فى الباطن من أيام ركوبه عليه ، قبل أن يتسلّطن وقَبَض عليه وحبسه سنتين ، ثم أطلقه على إمرة بدِمَشق ثم ولّاه بعض البلاد الشامية وهى نيابة طرابُلس ، ثم نقلـه إلى نيابة حلب ، فدام بهـا سنين ، ثم عزله عنها بالأمير

يَلْبُغا الناصرىّ وجعله أتابك دِمَشق ، فصار فى نفسه حزازة من هذا كله على ما سيأتى ذكْرُه .

ثمّ إن السلطان فى ثامن عشر صفر المذكور طَلَب الأمراء إلى القلعة وكلّمهم فى أمر الناصرىّ وعصيانه وآستشارهم فى أمره ، فوقع الاتفاقُ على خروج تجريدة لقتاله وحلّف الأمراء على طاعته ، ثم خرج إلى القصر الأول وحلّف أكابر المماليك السلطانيّــة .

ثم فى تاسع عشره ضُرِبت خَيْمة كبيرة بالمَيْدان من تحت القلعة وضُرِب بجانبها عدّةُ صواوين برَسم الأمراء ونزل السلطان إلى الخيْمة المذكورة وحلّف بها سائر الأمراء وأعيان المماليك السلطانيّة بل غالبهم . ثم مدّ لهم سِمَاطا جليلا فأكلوا وآنفضّــوا .

ثم فى رابع عشرينــه قدم البريدُ من دِمَشق بأنّ الأمير قَرَابُغا فرج الله والأمير بُزْلار العُمَرىّ الناصرىّ والأمير دِمرداش اليوسفىّ والأمير كَشبُغا الخاصّكى الأشرفىّ وآقبُغا قَبْجَق(1) آجتمع معهم عدّة كثيرة من المماليك المنفيّين بطرابُلُس ووثبوا(2) على نائبها الأمير أَسَندمر المحمّدىّ وقبضوا عليه وقتلوا من أمراء طرابُلس الأمير صلاح الدين خليل بن سَنْجَر وآبنه وقبضوا على جماعة كبيرة من أمراء طرابُلس ، ثم دخل الجميع فى طاعة الناصرىّ وكاتبوه بذلك وملكوا مدينة طرابُلس .

وفى يوم وصول هذا الخبر على السلطان عَرَضَ السلطان المماليك السلطانيّة ، وعيّن منهم أربعمائة وثلاثين مملوكا من المماليك السلطانيّة للسفر ، وعيّن خمســة من أمراء الألوف بديار مصر وهم : الأمير الكبير أَيْتَمُش البَجَاسىّ(3) ، والأمير جَارَكَس

(1) رواية السلوك : (ج ٣ ص ٥٠١) : « حنجق » .
(2) رواية السلوك المصدر المتقدم : « وقبضوا ... الخ » .
(3) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٢) : « أيتمش الأتابك » .

الخليلىّ الأمير آخور الكبير والأمير شهاب الدين أحمد بن يلبُغا أمير مجلس والأمير يُونُس النُّوروزِىّ الدّوادار الكبير والأمير أيْدَكار[1] حاجب الحجاب وعيّن من أمراء الطبلخاناه سبعة وهم: فارس الصّرغَتْمشىّ وبكْلَمِش العلائىّ رأس نوبة وجاركس المحمّدىّ وشاهين الصَّرْغَتْمَشىّ وآقبُغا الصغير السلطانىّ وإينال الجاركَسىّ أمير آخور وقُدَيْد القَلَمْطاوىّ من أمراء العشرات جماعة كبيرة .

ثمّ أرســل السلطان للأمير أيْتمش برسم النفقة مائتى ألف درهم فضــة وعشْرة آلاف دينار ذهبا مصريا . ثم أرســل إلى كل من أمراء الألوف ممن عُيِّن للسفر مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار ماخلا أيْدَكار حاجب الحجاب فإنه حَمَل إليــه مبلغ ستين ألف درهم وألفا وأربعمائة دينار .

ثم فى سادس عشرين صــفر المذكور قدم الخبر من الشّام بأنّ ممــاليك الأمير سُودون العثمانىّ نائب حَماة آتّفقوا على قتله ، ففرّ منهم إلى دِمَشق وأنّ الأمير بِيرَم العِزّىّ حاجب حُجاب حَماة سلّم حماة إلى الأمير يَلْبُغَا الناصرىّ ودخل تحت طاعته، فعظُم هــذا الخبر أيضا على السلطان حتى كاد يهْلِك وعرض المـماليك ثانيا وعيّن منهم أربعة وسبعين نفرا لتِتِمّة خمسمائة مملوك .

قلت : ولهــذا تُعرف هذه الواقِعَة بوقْعة الخمسمائة وبوقعــة شَقْحَب[2] وبوقعةِ الناصرىّ ومنطاش . انتهى .

وفى يوم الجمعة سابع عشرين صفر رَسَم السلطان للأمير بَجَاس[3] نائب قلعة الجبَل أنْ يتوجّه إلى الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بالقلعةِ وينقُلَه من داره إلى

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٢) : « يدكار » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٩ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٣) : « والى باب القلعة » .

البُرج من القلعة ويُضَيِّق عليه ويمنَع الناس من الدخول إليه، ففعل يجَاس ذلك.
فبات الخليفة ليلته بالبرج ثم أُعيد من الغد إلى مكانه بالقلعة، بعد أن كلّم السلطانَ الأمراءَ في ذلك .

ثم رسَم السلطان للطّواشي زين الدين مُقبل الزّمام بالتّضييق على الأسياد أولاد [(١)] السّلاطين بالحوش السّلطانيّ من القلعة ومَنْع من يتردّدُ إليهم من الناس والفحْص عن أحوالهم، ففعل مُقبلٌ ذلك .

ثم في يوم الآثنين ثاني شهر ربيع الأوّل خرج البريدُ من مصر بتقليد الأمير طُغَاي تَمُر القبلائي أحد أمراء دِمشق بنيابة طرابلس .

ثم فرّق السلطان في المماليك نفقةً ثانيةً ، فكانت الأولى لكل واحد : خمسة آلاف دِرهم فضّة والثانية ألف درهم ، سوى الخيل والجمال والسلاح ، فإنه فرّق في أرباب الجوامك لكل واحد جَملين ولكل آثنين من أربابّ الأخْباز ثلاثةَ جمال ورتّب لهم [اللحم] (٢) والجرايات والعليقَ، فرتّب لكل من رءوس النُّوَب [في اليوم] (٣) ستة عشْرَة عليقةً ولكلٍّ من أكابر المماليك عشر علائق ولكل من أرباب الجوامك خمسَ علائق . ورسم أيضا لكل مملوك من المماليك السلطانية بخمسمائة درهم بدمَشق .

ثم في رابع عشر شهر ربيع الأوّل المذكور جلس السلطان بمسجد الرُّدَيْني (٤) داخل القلعة بالحريم السلطانيّ وآستدعى الخليفة المتوكّل على الله من مكانه بالقلعة ، فلّما

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٣) : أولاد الملوك الناصرية .

(٢) التكملة عن السلوك المصدر المتقدّم . (٣) التكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٤) هذا المسجد لايزال قائما إلى اليوم داخل قلعة الجبل في الجهة الشمالية الشرقية منها ويعرف بجامع سيدي سارية بالقرب من قصر الحرم الذي جدّده محمد على باشا الكبير في سنة ١٢٤٣ هـ = ١٨٢٧ م .
وقد دلّني البحث على أن الذي أنشأ هــذا المسجد هو أبو المنصور قسطة الأرمنيّ الذي كان واليا على الإسكندرية وذلك في سنة ٥٣٥ هـ يؤيد ذلك ماهو منقوش بالحفر على لوح من الرخام ، كان مثبتا على —

دخل عليـه الخليفة قام الملك الظاهر له وتلقّاه وأخذ فى ملاطفته والاعتذار إليـه واصطلحا وتحالفا ومضى الخليفة إلى موضعه بالقلعة ، فبعث السلطان إليه عشرة آلاف درهم وعدّة بُقَج، فيها أثواب صوف وقماش سَكَنْدرىّ .

ثمّ تواترت الأخبار على السلطان بدخول سائر الأمراء بالبلاد الشامية والمماليك الأشرفيّة واليلبغاويّة فى طاعة الناصرىّ وكذلك الأمير سولى بن دلغادر أمير التركمان، ونُعير أمير العُربان وغيرهما من التركمان والأعراب، دخل الجميع فى طاعة الناصرى على محاربة السلطان الملك الظاهر وأنّ الناصرىّ أقام أعلاما خليفتيّة[1] وأخذ جميع القلاع بالبلاد الشامية، واستولى عليهـا ما خلا قلعة الشام وبعلبكّ والكرك، فقلِق السلطان لذلك وكثر الاضطراب بالقاهرة وكثر كلام الناس فى هذا الأمر، حتى

= باب هذا المسجد ومذكور فيه اسم منشئه وتاريخ إنشائه . والظاهر أنه لمـا جدد بناء هذا المسجد فى سـنة ٩٢٥ هـ نقل اللوح المذكور من المسجد ووضع على تربة أبى المنصور قسطة التى بجواره من الجهة الغربية ووضع المجدّد لوحا آخر بدلا عن السابق أثبت فيه اسمه وتاريخ بناء المسجد وتعميره .

وذكر لنا المقريزى سبب نسبة هذا المسجد إلى الرديق، فإنه لمـا تكلم فى خططه على ما كان عليه موضع القلعة قبل بنائها (ص ٢٠٢ ج ٢) قال : وبالقلعة الآن مسجد الرديق وهو أبو الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الرديق الفقيه المحدّث وكان يأوى بمسجد سعد الدولة ثم تحول منه إلى هذا المسجد نعرف به .

ومن هـذا يعلم أنه لمـا أنشأ أبو المنصور قسطة هذا المسجد فى سـنة ٥٣٥ هـ انتقل إليه أبو الحسن الرديق واستمر فى التدريس به إلى أن مات سنة ٥٤٠ هـ .

وفى سنة ٩٣٥ هـ جدّد هذا الجامع سليمان باشـا الخادم الذى كان واليـا على مصر من قبل السلطان سليمان بن سليم خان العثمانى كما هو ثابت بالنقش فى لوح من الرخام مثبت بأعلى الباب الغربى للجامع المذكور.

وهذا الجامع طرازه عثمانى وله مئذنة رفيعة تشرف على القاهرة . وهو مسجد عامر بالشعائر وبجواره من الجهة الغربية تربة فيها قبر أبو المنصور قسطة وقبور أخرى لبعض المماليك وعلى شاهد كل قبر نوع لباس الرأس الذى كان يلبسه الملوك المدفون فيه وهى عدّة عمامات للرأس تكون مجموعة جملة مختلفة الأشكال والأحجام وترشدنا إلى نماذج ملابس الرأس عند المماليك الذين كانوا يحكمون مصر .

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٥٠٤) : « سناجق ... الخ » .

تجاوز الحدّ واختلفت الأقاويل، كلّ ذلك وإلى الآن لم تخرج التجريدة من مصر، فلما بلغ السلطان هذه الأخبار رسم بخروج التجريدة، فخرجت الأمراء المذكورون قبل تاريخه فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الاوّل من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة إلى الرّيدانية بتجمل زائد وآحتفال عظيم بالأطلاب من الخيول المزينّة بسروج الذهب والكنابيش والسلاح الهائل، لاسيما الأمير أيتمش والأمير أحمد ٥
آبن يلبغا فإنهما أمعنا فى ذلك وكان للناس مدّةٌ طويلة لم يتجرّد السلطان إلى البلاد الشامية ولا عسكرُهُ، سوى سفر الأمراء فى السنة الماضية إلى سيواس وكانوا بالنسبة إلى هذه التجريدة كلاشىء وتتابعتهم المماليك شيئا بعد شىء، حتى سافر الجميع من الرّيدانية فى يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الأوّل المذكور . ١٠

ثمّ أخذ السلطان بعد خروج العسكر فى استجلاب خواطر الناس وأبطل الرّمايات والسّلف على البرسيم والشعير وإبطال قياس القصب والقلقاس والإعفاء على ذلك كله .

ثم فى يوم الثلاثاء [أوّل ربيع الآخر][1] قدم البريد بأن الأمير كمشبغا المنجكىّ نائب بعلبكّ دخل تحت طاعة يلبغا الناصرىّ وكذلك [فى خامسه قدم البريد بأن][2] ١٥
ثلاثة عشر أميرا من أمراء دمشق خرجوا بمماليكهم من دمشق وساروا إلى حلب ودخلوا فى طاعة الناصرى .

وأما العسكر الذى خرج من مصر فإنه لما وصل إلى غزّة أحسّ الأمير جاركس الخليلىّ بمخامرة نائبها الأمير آقبغا الصفوىّ فقبض عليه و بعثه إلى الكرك وأقرّ فى نيابة غزّة الأمير حسام الدين بن باكيش . ٢٠

(١) تكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٥ ه ٥) . (٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

ثم فى عشرين شهر ربيع الآخر قدم على السلطان رسول قرا محمـد التركمانى ورسـول الملك الظاهر مجد الدين عيسى صـاحب ماردين يخبران بقدومهما إلى خابور ويستأذنان فى محاربة الناصرى فأجيبا بالشكر والثناء وأذن لهما فى ذلك[1] .

وأمّا العسكر فإنه سار من غزّة حتّى دخل دمَشق فى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر المذكور، ودخلوا دمشق بعـد أن تلقّاهم نائبها الأمير [حسام الدين][2] طُرُنْطاى، ودخلوا دمشق قبل وصول الناصرى بعساكره اليها بمدّة، وأقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق ، واشـتغلوا باللهو وأبادوا أهل دمَشق شرًّا ، حتى سئمتهم أهل الشام وانطلقت الألسنة بالوقيعة فيهم وفى مُرْسِلهم .

قلت : هو مثل سائر : « الولد الخبيث يكون سببًا لوالده فى اللّعنة » وكذلك وقع ، فإنّ أهلَ دمَشق لمّـا نفرت قلوبهم من المـماليك الظاهرية ، لم يدخلوا بعد ذلك فى طاعة الملك الظاهر ألبتّة على ما سيأتى ذكره .

وبينما هم فى ذلك جاءهم الخبر بنزول يَلْبُغا الناصرى بعساكره على خان لاجين[3] خارج دمشق فى يوم السبت تاسع عشر شهر ربيع الآخر، فعند ذلك تهيّـأ الأمراء المصريّون والشاميون إلى قتالهم وخرجوا من دمشق فى يوم الاثنين حادى عشرينه إلى بَرّزة[4] والتقَوا بالنـاصرى على خان لاجين ، وتصافَفوا ثم اقتتلوا قتـالا شديدا ثبت فيه كلّ من الفريقين ثَباتا لم يُسمع بمثله ، ثمّ تكاثر العسكرُ المصرى وصدَقوا الحملة على الناصرى ومن معه فهزموهم وغيّروه عن موقفه .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٦) : « وأنهما ادخرا الأمر من هذا » .
(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .
(٣) أطلنا البحث عن هذا المكان فلم نوفق للعثور عليه .
(٤) برزة : قرية من غوطة دمشق ينسب إليها جلة من العلماء الحفاظ عن معجم البلدان لياقوت جـ ١ ص ٥٦٣

ثم تراجع عسكر الناصرى وحمل بهم ، وآلتق العسكر السلطانى ثانيا وآصطدما صدمة هائلة ثبت فيها أيضا الطائفتان وتقاتلا قتالا شديدا، قُتل فيها جماعة من الطائفتين، حتى آنكسر الناصرى ثانيا . ثم تراجع عسكره وعاد إليهم وآلتقاهم ثالث مرّة ، فعندما تنازلوا فى المرّة الثالثة(١) وآلتحم القتالُ، أقْلَب الأمير أحمد بن يلبُغا أمير مجلس رُمحه ولَحِق بعساكر الناصرى بمن معه من مماليكه وحواشيه ، ثم تبعه الأمير أَيدَكار العُمرى حاجب الحجاب أيضا بطُلْبِه ومماليكه ، ثم الأمير فارس الصَّرْغَتْمَشى ثم الأمير شاهين [حُسين(٢)] أمير آخور بمن معهم وعادوا قاتلوا العسكرَ المصرى ، فعند ذلك ضَعُف أمر العساكر المصريّة وتقهقروا وانهزموا أقبحَ هزيمة، فلما وَلّوا الادبار فى أوائل الهزيمة هجم مملوكٌ من عسكر الناصرى يقال له يُلبغا الزينى الأعور وضرب الأمير جارَكس الخليل الأمير آخور بالسيف قتله وأخذ سلَبَهُ وترك رمّته عاريةً، إلى أن كفّنته آمرأة بعد أيام ودفنته .

ثم مَدّت التركمان والعرب أيديهم ينهبون مَن آنهزم من العسكر المصرى ويقتلون ويأسرون مَن ظَفِروا به وساق الأمير الكبير أيْتَمَش البَجاسى حتى لحق بدِمَشق وتحصّن بقلعتها وتمزّق العسكر المصرى وذهب كأنه لم يكن ودخل الناصرى من يومه إلى دِمَشق بعساكره ونزل بالقصر من المَيْدان وتسلّم بالقلعة بغير قتال وأوقع الحوطة على سائر [ما(٣)] للعسكر وأنزل بالأمير الكبير أيْتَمَش وقيّده هو والأمير طُرُنْطاى نائب الشام وسجَنَهما بقلعة دمشق وتَتَبّع بقيّة الأمراء والمماليك حتى قبض من يومه أيضا على الأمير بَكْلَمَش العلائى فى عدّة من أعيان المماليك

(١) رواية السلوك (ج٣ ص٥٠٧) : «فعندما تنازلوا فى المرّة الثانية أقلب الأمير احمد...الخ» .

(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٠٨) يقتضيها السياق .

الظاهريّة ، فاعتقلهم أيضا بقلعة دمشق . ثم مدّت التركمانُ والأجناد أيديَهم فى النهب ، فما عفّوا ولا كفّوا وتمادَوْا على هذا عدّةَ أيام .

وقَدِم هذا الخبر على الملك الظاهر من غزة فى يوم سابع عشرين شهر ربيع الآخر المذكور فٱضْطربت الناس ٱضطرابا عظيما لا سيما لمّا بلغهم قتلُ الأمير جارَكس الخليلىّ والقبضُ على الأمير الكبير أيْتَمُش البَجاسِىّ وغُلّقت الأسواق وٱنْتُهِبت الأخباز ٥ وتشعّبت الزّعر وطغى أهلُ الفساد، هذا مع ما للناس فيه من الشغل بدفن موتاهم وعظَم الطاعون بمصر، كلُّ ذلك وإلى الآن لم يَعرف السلطانُ بقتل الأمير يونس النّوروزىّ الدوادار على ما سيأتى ذكره .

وأما السلطان الملك الظاهر برقوق فإنه لمّا بلغه ما وقع لعسكره وَجَمَ وتحيّر ١٠ فى أمره وعَظُم عليه قتلُ جارَكس الخليلىّ والقبض على أيتمش أكثرَ من ٱنهزام عسكره، فإنهما ويونُس الدوادار كانوا همُ القائمين بتدبير ملكه ، وأخذ يفحصُ عن أخبار يونس الدوادار المذكور، فلم يقف له على خبر، لسرعة مجىء خبر الوقْعة له من مدينة غزّة وإلى الآن لم يأته أحد ممن باشر الواقعة غير أنه صحّ عنده ما بلغه .

ثمّ خرج إلى الإيوان بالقلعة وٱستدعى الأمراء والمماليك وتكلّم معهم السلطانُ ١٥ فى أمر الناصرىّ ومنطاش وٱستشارهم، فوقع الأتفاق على خروج تجريدةٍ ثانيــة ، فٱنفضّ الموكبُ وخرج السلطان فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر إلى الإيوان، وعيّن من المماليك السلطانيّة ممن ٱختار سفره خمسمائة مملوك، وأنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضّة لكل واحد، ليتوجّهوا إلى دِمَشق صُحبة الأمير سودون الطُّرُنْطَائىّ ، وقام السلطان فكلّمه بعض خواصّه فى قِلّة من عُيّن من المماليك ، وأن العسكر الذى ٢٠ كان صُحبة أيْتَمُش كان أضعافَ ذلك وحصَل ما حصَل، فَعَرض العسكر ثانيا وعيّن

خمسمائة أخرى ثم عيّن أربعمائة أخرى لِتتمّة ألف وأربعمائة مملوك، وأنفق فى الجميع ألفَ درهم فضة، لكل واحد .

ثمّ أنفق السلطان فى المماليك الكتابيّة لكل مملوك مائتى درهم فضّة ، فإنه بلغه أنهم فى قلق لعدم النفقة عليهم .

هذا، وقد طَمِع كُلّ أحد من المماليك وغيرهم فى جانب الملك الظاهر لمّا وقع لعسكره بدمَشق .

ثم عَمِل السلطان الموكب فى يوم الأربعاء أوّل جُمَادى الأولى ، وأنعم على كُلّ من قرابُغا اليوبَكرىّ وبجَاس النّوروزىّ نائب قلعة الجبل وشيخ الصّفوىّ وقَرْقَماس الطّشتَمُرىّ بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، عوضا عمّن قُتِل أو أُمسِك بالبلاد الشامية .

ثم أنعم السلطان أيضا فى اليوم المذكور على كل من أَلْجِيبُغَا الجمالىّ الخازندار وألْطُنبُغا العُثمانىّ رأس نوبة ويونس الإسْعردىّ الرمّاح وقنق باى الأَلْجاوىّ اللالا وأسَنْبُغا الأُرغونىّ شاوىّ وبغداد الأحمدىّ وأرسلان اللّفّاف وأحمد الأرغونىّ وجَرِبَاش الشيْخىّ وألْطنبُغا شادى وأرنْبُغا[(1)] المنجكىّ وإبراهيم بن طَشْتَمُر العلائىّ الدوادار وقراكسك السيفىّ بإمرة طبلخاناه .

وأنعم على كل من[(3)] السيد الشريف بكتَمُر الحسينىّ[(2)] والى القاهرة [كان] وقنق باى الأحمدى بإمرة عشرين . وأنعم على كل من بُطا الطّولُوتمرىّ الظاهرىّ ويلبُغا السودونىّ وسودون اليَحْياوىّ وتَنْبك[(4)] اليحياوىّ وأرغون شاه البَيْدَمُرىّ وآقبغا

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٩) : « وأروس بغا المنجكى » .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٩) : « الحسنى » . (٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٠) .

(٤) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « وتانى بك اليحياوى » .

الجمـالى الهذبانى وفوزى الشعبانى وتغرى بردى البَشْبُغَاوى والد كاتبه و بكلاط السعدى وأرنبغـا العثمانى وشكر باى العثمانى وأسَنْبغا السيفى بإمرة عشرة، وكلّ هؤلاء ممـاليك الملك الظاهر برقوق وخاصّكيّته أمّرهم فى هـذه الحركة وكانوا قبل ذلك من جملة الخاصكيّة، ومنهم من هو إلى الآن لم يحضر من التجريدة .

ثم قَدِم البريد على السلطان من قطيا بأنّ الأمير إينـال اليوسفى أتابك دِمَشق المنعَم عليه بنيابة حلب بعد عصيان الناصرى والأمير إينال أمير آخور والأمير إياس أمير آخور دخلوا إلى غزّة فى عسكر كثيف من عساكر الناصرى وقـد صاروا قبل تاريخه من حزب الناصرى واستولّوا على مدينـة غزة والرّملة وتمزّقت عساكرها ، فعظُم لهذا الخبر جزع الملك الظاهر وتحيّر فى أمره .

ثم فى يومه[3] آستدعى السلطان القضاة والأمراء والأعيان و بعث الأمير سودون الطُّرنطائى والأمير قَرْقماس الطشْتَمُرى إلى الخليفة المتوكّل على الله بمسكنه فى قلعة الجبل فأحضراه، فلمّـا رآه الملك الظاهر قام له وتلقّاه وأجلسه، وأشار إلى القضاة فحلّفوا كلّا منهما للآخر على الموالاة والمناصحـة، وخلع السلطان على الخليفة المتوكل على الله المذكور خلعة الرضا ، وقيّد إليـه حِجَرة شهباء من خواصّ خيـل السلطان بسَرْج ذهب وكُنْبُوش مُزَركَش وسلسلة ذهب وأُذِن له فى النزول إلى داره ، فركب ونزل من القلعة إلى داره فى مَوْكِب جليـل ، وأُعيدت إقطاعاته ورواتبه وأُخْلِى له بيت بقَلعة الجبل ليسكن فيه .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٠) : « السونجى » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « وأزدبغا » .

(٣) يريد يوم الأربعاء أوّل جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ .

ثمّ طلّع الخليفة من يومه ونقل حرمه إلى البيت المذكور بالقلعة ، وصار يركب في بعض الأحيان وينزل إلى داره بالمدينة ثم يطلع من يومه إلى مسكنه بالقلعة ويبيت فيه مع أهله وحرمه ، وآستمرّ على ذلك إلى ما سيأتي ذكره .

ثم في يوم الجمعة ثالث جُمادَى الأولى المذكورة قَدِم الأمير شهاب الدين أحمد ابن بَقَر أمير عرب الشرقيّة ، ومعه هجّان الأمير جاركس الخليليّ ، فحدّث السلطان بتفصيل واقعة العسكر المصرى مع الناصرى ، وأنه فرّ مع الأمير يُونُس الدوادار في خمسة نفر طالبين الديارَ المصرية ، فعرض لهم الأمير عَنْقاء بن شَطّي أمير آل فضل بالقرب من خَربة اللصوص من طريق دِمَشق ، وقَبَض على الأمير يُونس الدوادار ووبّخه لِمَا كان في نفسه منه ، ثم قتله وحزّ رأسه وبعث به إلى الناصرىّ ، فعندما بلغ السلطانَ قتلُ يُونس الدوادار وتحقّقه كادت نفسه تَزْهَق وكان بلغه هذا الخبرُ ، غير أنه لم يتحقّقه إلا في هذا اليوم وبقتل يُونُس الدوادار آستَشعر كلّ أحد بذَهاب مُلك الملك الظاهر .

ثم أصبح السلطان أمر بالمناداة بمصر والقاهرة بإبطال سائر المُكوس من سائر ديار مصر وأعمالها ، فقام جميع كُتّاب المكوس من مجالسهم .

ثم في سادس الشهر[1] ركب الخليفة المتوكّل على الله من القلعة بأمر السلطان الملك الظاهر ونزل إلى القاهرة ، ومعه الأمير سُودون الفخرىّ الشيخونىّ نائب السلطنة وقضاة القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلقينىّ وسائر الحجّاب وداروا في شوارع القاهرة ورجلٌ أمامهم على فرس يقرأ ورقة فيها : إنّ السلطان قد أزال المكوسَ والمظالم وهو يأمُر الناس بتقوى الله وطاعته وإنّا قد سألنا العدق

(١) يريد شهر جمادى الأولى سنة ٧٩١ هـ .

الباغى فى الصلح فأبى وقد قوِىَ أمرُه فأغلِقوا دوركم وأقيموا الدروب[1] على الحارات وقاتِلوا عن أنفسكم وحريمكم ، فلمّــا سمع الناس ذلك تزايد خوفهم وقلقهم ويئس كلّ واحد من الملك الظاهر، وأخذ الناس فى العمل للتوصّــل إلى الناصرىّ ، حتى حواشى برقوق لمّــا سمعوا هذه المقالةَ وقد تحقّقوا بسماعها بأنّ الملك الظاهر لم يبْق فيه بقيّة يلتى بهــا الناصرىّ وعساكرَه وقول الملك الظاهر : وإنا قد سألنا العــدو فى الصلح فأبى وقَوِىَ ، فإنه كان لمّــا توجه العسكر من مصر لقتال الناصرى أمرهم أن يُرسلوا له فى طلب الصلح مع الناصرىّ ففعلوا ، فلم ينْتظم صلحٌ ووقع ما حكيْناه من القتال وغيره .

ثمّ إن الناس لمّــا سمعوا هذه المناداة شرعوا فى عمل الدُّروب بجُدُد بالقاهرة دروب كثيرة وأخذوا فى جمــع الأقوات والآستعداد للقتــال والحصار وكثُر كلامُ العامّة فيما وقع وهان الملك الظاهر وعساكرُه فى أعين النــاس وقلّت الحُرمَة وتجمّع الزُّعر ، ينتظرون قيــامَ الفِتْنة لينهَبوا النــاسَ وتخوّف كلّ أحد على ماله وقمــاشه ، كلُّ ذلك والناصرى إلى الآن بدِمَشق .

ثم آنقطع أخبــار الناصرىّ عن مصر لدخول الأمير حُسام الدين بن باكيش نائب غزة فى طاعة الناصرىّ .

ثم قَدِم الخــبر بدخول الأمير مأمور القَلَمْطَاوى نائب الكَرَك فى طاعة الناصرىّ وأنه سلّم له الكَرَك بمــا فيها من الأموال والسلاح ، فتيقّن كلّ أحد عند سماع هذا الخــبر أيضا بزوال مُلك الملك الظاهر . هــذا والأمراء والعساكر المُعَيّنَةُ للسـفر فى آهتمام ، غير أنّ عزائم السلطان فاترة وقد علاه وَلَهٌ وداخَله الخوف من غير أمر

(١) المقصود بالدروب هنــا الأبواب التى تقــام على رءوس الطرق والحارات داخل القاهرة لمنــع دخول الثوار إليها عند وقوع الثورات .

يوجِبُ ذلك . وكان السلطان لمّا عيّن هذه التجريدة الثانية أرسل إلى بلاد الصعيد يطلب نجدةً فقـدم إلى القاهرة فى هـذا اليوم طوائف من عرب هوّارة نجدةً للسلطان ونزلوا تحت القلعة .

ثمّ أمر السلطان بحَفْر خندق القلعة (١) وتَوْعير طريق باب القلعة المعروف بباب القرافة وباب الحرس وباب الدّرفيل (٢) .

ثمّ أمر السلطان بسدّ خوخة الأمير أَيْدُغْمُش (٣) خارج بَابَىْ زويلة ، فَسُدَّت حتى صار لا يدخُل منها راكب ثمّ أمر السلطان فنُودِى بالقاهرة بإبطال مَكْس النّشا والجلود .

---

(١) تبين لى من المعاينة أن هذا الخندق لا تزال بعض آثاره باقيـة فى الجهة الشرقية من القلعة ويفصل بينها وبين سـفح جبل المقطم . وكان الغرض من حفره منع دخول الثوار إلى القلعة من أبوابها التى فى السور الشرقى عند وقوع الثورات والأضطرابات بسبب ما يقع من الخلاف بين الملوك والأمراء .

(٢) هذه الأبواب الثلاثة هى من أبواب القلعة فى سورها الشرقى تجاه جبل المقطم والخندق . فأما باب القرافة فقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من الجزء التاسع ، وهذا الباب قد سدّ من قديم . وأما باب الحرس الذى يعرف اليوم بباب المقطم فلا يزال باقيا ومفتوحا و يتوصل منه إلى الحوش السلطانى الذى فيه اليوم قاعة العدل وقصر الجوهرة و يوصل كذلك إلى القلعة و إلى بئر يوسف و إلى جامع محمد على باشا من الجهة الخلفية له وكان يعرف بباب الحرس حيث كان يقيم خلفه العساكر الذين يحرسون القلعة من الجهـة الشرقية و يعرف الآن بباب المقطم لوقوعه تجاه جبل المقطم . وأما باب الدرفيل فقـد سـدّ كذلك من قديم وهو أول أبواب السور الشرقى للقلعة من الشمال ، و يليه باب القرافة فى الوسط ثم باب الحرس وهو باب المقطم فى الجنوب الشرقى من القلعة بالقاهرة .

(٣) هذه الخوخة هى من الأبواب الصغيرة فى سور القاهرة القبلى الذى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٨٤ هـ مع باب زويلة .

وتكلم المقريزى فى خططه على خوخة أيدغمش (ص ٤٥ ج ٢) فقال : إنها فى حكم أبواب القاهرة يخرج منها إلى ظاهر المدينة عند غلق الأبواب فى الليل وفى أوقات الفتن وينتهى الخارج منها إلى الدرب الأحمر واليانسية ويسلك من هناك إلى باب زويلة و يوصل إليها من داخل القاهرة إما من سوق الرقيق أو من حارة الروم ثم قال وهذه الخوخة فتحها فى السور الأمير علاء الدين أيدغمش الناصرى نائب دمشق مذ كان أمير آخور الملك الناصرى محمد بن قلاوون فى سنة ٧٤٠ هـ .

وبالبحث عن مكان هذه الخوخة تبين لى أنها اندثرت وكانت واقعـة فى مدخل حارة الروم فى جهة شارع الدرب الأحمر وعلى بعد ١٧٠ مترا شرق باب زويلة فى شارع الدرب الأحمر بالقاهرة .

وفى يوم الجمعة عاشر جُمَادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة خُطِب لخليفة المتوكّل على الله أبى عبد الله محمد ، فإنه أُعِيد إلى الخلافة من يوم خَلع عليه السلطان خامة الرِّضا ، ثم قُرِئ تقليـده فى ثانى عشره بالمشهـد النَّفيسىّ [1] وحضره القضاة ونائب السلطنة . ولمّا ٱنقضى مجلس قراءة التقليد توجّهوا الجميع إلى الآثار النّبويّة [2] وقرءوا به صحيح البخارىّ ودعوا الله تعـالى للسلطان الملك الظاهر برقوق بالنصر وإخماد الفتنة بين الفريقين .

ثمّ فى يوم ثالث عشر أخلـع السلطان على الأمـير قرا دِمِرْداش الأحـمـدىّ اليَلْبُغاوى بٱستقراره أتابك العساكر بالديار المصريّة عوضا عن الأمير أيْتَمُش البجاسى بحكم حبسه بقلعة دِمَشق وعلى الأمير سودون باق باستقراره أمير ســلاح ، عوضا عن قَرا دمرداش المذكور وعلى الأمير قَرْقَماس الطَّشْتمرىّ باستقراره دوادارا كبيرا عوضـا عن يُونُس النَّوروزىّ المقتول بيد عنقاء أميرآل فضــل وعلى الأمير تَمُربغا [3] المَنجكىّ أميرآخور كبيرا عوضا عن الأمير جارَكس الخليلىّ المقتول فى واقعة الناصرىّ

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٩٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) كانت الآثار النبوية فى ذلك الوقت بمسجد ناحية أثر النبى إحدى قرى مركز الجيزة على شاطئ النيل الشرقى جنوبى مدينة مصر القديمة . وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الآثار المذكورة وكان مسجد هذه القرية يعرف قديما باسم رباط الآثار ذكره المقريزى فى خططه (ص ٤٢٩ ج ٢) فقال : إن هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق عمره الوزير الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا ومات رحمه الله قبـل أن يكمله فأكمله الصاحب ناصر الدين محمد بن تاج الدين المذكور وقيل له رباط الآثار لأن فيـه قطعة خشب وحديد يقال إنها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها تاج الدين المذكور وحفظها بهذا الرباط يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها . والرباط لا يزال قائمـا إلى اليـوم باسم جامع أثر النبى وأما الآثار فقد نقلت هى وغيرها إلى خزانة خاصة بها بجامع سيدنا الحسين بالقاهرة .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٣) : « قرابغا المنجكى » .

بدمشق وعلى قَرابُغا البُوبَكرى باستقراره أمير مجلس عوضا عن أحمد بن يَلْبُغا بحكم عصيانه ودخوله فى طاعة الناصرى وعلى آقبُغا المارِدينى باستقراره حاجب الحجاب عوضا عن أيدكار العُمرى الداخل أيضا فى طاعة الناصرى ونزل الجميع بالخِلَع والتشاريف .

ثم أنعم السلطان على الأمير صلاح الدين محمد [بن محمد](١) بن تَنْكِز الناصرى نائب الشام كان بإمرة طبلخاناه وعلى جُلبان الكمشبُغاوى الخاصكى الظاهرى بإمرة طبلخاناه .

وكَثُر فى هذه الأيام تحصين السلطان لقلعة الجبل فعلم بذلك كلُّ أحد أنه لم تخرج تجريدة من مصر ولم يثبت الملك الظاهر لقتال الناصرى بما أفرزوا من أحوال السلطان، خِذْلان من الله تعالى .

ثم أخذ السلطان ينقل إلى قلعة الجبل المناجنيقَ والمكاحلَ والعُدَد وأمر السلطان لسكّان قلعة الجبل من الناس بادّخار القُوت بها لشهرين .

ثم رسم السلطان للعلم أحمد بن الطُّولُونى بجمع النجّارين لسدّ فم وادى السدرة(٢) بجوار الجبل الأحمر وأن يبنى حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل .

ثم نُودىَ بالقاهرة بأنّ من له فرس من أجناد الحلقة يركب للحرب ويخرج مع العسكر، فكَثُر الهرج وتزايد قلقُ الناس وخوفُهم وصارت الشوارع كلها ملآنة بالخيول الملبّسة، هذا وإلى الآن لم يَعْرِف السلطان ما الناصرى فيه وطُلِبَت آلات الحرب من الخوذ والقرقلات والسيوف والأرماح بكل ثمن غال .

(١) تكلة عن السلوك (ج٣ ص ٥١٣) .

(٢) بالبحث تبين لى أن فم وادى السدرة مكانه اليوم الفضاء الواقع بين الجبل الأحمر وبين برج الظفر الواقع على رأس السور الشرقى لمدينة القاهرة .

وأما الجبل الأحمر، فسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ٢٦١ بالجزء السابع من هذه الطبعة .

ثم رسم السلطان للأمير حسام الدين حسين [بن علي] (١) بن الكوراني والي القاهرة بسدّ باب المحروق (٢) أحد أبواب القاهرة فكلّمه الوالي في عدم سدّه، فنهره وأمره بسدّه وسدّ الباب الجديد (٣) أيضا أحد أبواب القاهرة، ففعل. ثم سدّ باب الدرفيل المعروف قديما بباب سارية ويُعرف في يومنا هذا بباب المُدرّج (٤).

ثم أمر السلطان بسدّ جميع الخُوَخ، فسدّ عدّة خوخ وركّب عند قناطر السباع (٥) ثلاثة دروب: أحدها من جهة مصر والآخر من جهة قبو الكِرْمانيّ (٦) والآخر بالقرب من المَيْدان ثم بنى بالقاهرة عدّة دروب أخر وحفر خنادق كثيرة.

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٤).

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٣) راجع الكلام عليه في ص ١٨١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٥) قناطر السباع هي قناطر كانت فوق الخليج المصري عميدان السيدة زينب بالقاهرة وسبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ بالجزء السابع من هذه الطبعة.

وركب ثلاثة دروب أي ثلاثة أبواب أحدها من جهة مصر أي على مدخل شارع السدّ بجوار جامع السيدة زينب والثاني من جهة قبو الكرماني أي على مدخل شارع البودية والثالث بالقرب من الميدان أي على مدخل شارع الكومى وقد أصبح اليوم مدخل شارع البودية ومدخل شارع الكومى في دائرة ميدان السيدة زينب بالقاهرة.

ولما تكلم المقريزي في خططه على قنطرة آق سنقر (ص ١٤٧ ج ٢) قال: إن هذه القنطرة على الخليج الكبير يتوصل إليها من خط قبو الكرماني ومن حارة البديعيين التي تعرف اليوم بالحبانية ويمر من فوقها إلى بر الخليج الغربي. ولما تكلم على جامع بشتاك (ص ٣٠٩ ج ٢) قال: إن هذا الجامع خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل.

وبما أن حارة الحبانية وجامع بشتاك المعروف بجامع مصطفى باشا فاضل لا يزالا موجودين بشارع درب الجماميز فيتبين مما ذكر أن خط قبو الكرماني كان واقعا شرق الخليج المصري ومكانه اليوم القسم المتوسط من شارع درب الجماميز في المسافة بين سكة الحبانية وبين حارة السادات بالقاهرة.

ومما يلفت النظر أن مصلحة التنظيم أطلقت اسم قبو الكرماني على حارة بشارع سويقة السباعين في بر الخليج الغربي في حين أن خط قبو الكرماني كان واقعا شرق الخليج كما ذكرنا.

(٦) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٩١ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

هذا والموت بالطاعون عمّال بالديار المصريّة فى كل يوم يموت عدّةٌ كبيرة .

وأما الأمير يَلبُغا الناصرى نائب حلب وصاحبُه مِنْطاش نائبُ مَلَطْيَة بمن معهما، فإنّ الناصرى لمّا استقرّ بدِمشق وملكها بعد الوقعة، نادى فى جميع بلاد الشام وقلاعها بألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النوّاب والأمراء والأجناد ومن تأخر سوى من عُيِن لحفظ البلاد قُطِعَ خبزه وسُلِبَت نعمته، فآجتمع الناس بأسرهم فى دمشق من سائر البلاد وأنفق الناصرى فيهم وتجهّز وتهيأ للخروج من دمشق وبرز منهـا بعساكره وأمرائه من الأمراء والأكراد والتُركمان والعربان وكان آجتمع إليـه خلائق كثيرة جدًا فى يوم السبت حادى عشر جُمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المقدّم ذكرها، بعد أن أقرّ فى نيابة دمشق الأمير جَنْتَمُر المعروف بأخى طاز وسار الناصرى بمن معه من العساكر يريد الديار المصرية وهو يظنّ أنّه يلقى العساكر المصريّة بالقرب من الشام وآستمرّ فى سيره على هيّنَة إلى أن وصل إلى غزّة، فتلقّاه نائبها حسام الدين بن باكيش بالتّقادم والإقامات، فسأله الناصرى عن أخبار عسكر مصر، فقال : لم يرد خبر بخروج عَسكر من مصر وقد أرسلت جماعة كبيرة غير مرة لكشف هذا الخبر ولم يكن منى تهاون فى ذلك، فلم يبلغنى عن الديار المصرية إلا أنّ برقوقا فى تخوف كبير وقد آستعدّ للحصار فلم يلتفت الناصرى إلى كلامه، غير أنه صار متعجبا على عدم خروج العساكر المصرية لقتاله .

ثم قال فى نفسه : لعـله يريد قتالنا فى فم الرمل بمدينة قطيا[1]، ليكون عسكره فى راحة من جواز الرّمل وأقامَ الناصرى بغزّة يومَه . ثم سار من الغـد يُريد ديار مصر وأرسل أمامه جماعةً كبيرة من أمرائه ومماليكه كشّافة وآستمرّ فى السّير إلى أن نزل مدينة قَطْيا وجاء الخبر بنزول الناصرى بعساكره على قطيا فلم يتحرّك بحركة .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفى ليلة وصول الخبر فرّ من أمراء مصر جماعة كبيرة إلى الناصرى وهى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جُمَادى الأولى المذكورة وهم : الأمير طُغَيْتَمُر الجركتمرى وأرسلان اللّفاف وأَرْنَبُغَا العثمانى فى عدّة كبيرة من المماليك ولحقوا بالناصرى ودخلوا تحت طاعته، بعدما صرفوا فى طريقهم الأمير عز الدين [أَيْدَمُر][1] أبا دَرَقَة كاشف الوجه البحرى وقد سار من عند الملك الظاهر لكشف الأخبار، فضربوه وأخذوا جميع ما كان معه وساقوه معهم إلى الناصرى، فلما وصلوا إلى الناصرى حرّضوه على سرعة الحركة وعرّفوه ما الظاهر فيه من الخوف والجبن عن ملاقاته ، فقَوِىَ بذلك قلب الناصرى وهو إلى الآن يأخذ فى أمر الملك الظاهر ويُعطى .

ثم جلس الملك الظاهر صبيحة هرب الأمراء بالإيوان من قلعة الجبل وهو يوم الثلاثاء ثامن عشرينه وأنفق على المماليك جميعها، لكل مملوك من مماليك السلطان ومماليك الأمراء، لكل واحد خمسمائة درهم فضة وآستدعاهم طائفة بعد طائفة وأعطى كل واحد بيده وصار يحرّضهم على القتال معه و بكى بكاء شديدا فى الملأ .

ثمّ فرّق جميع الخيول حتى خيل الخاصّ فى الأمراء والأجناد وأعطى الأمير اقْبُغا الماردينى حاجب الحجّاب جملة كبيرة من المال ليفرّقه على الزُّعْر وعَظُمَ أمرُ الزعر وبطل الحكم من القاهرة وصار الأمر فيها لمن غلب وتعطّلت الأسواق وأكثر الناس من شراء البُقْسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك .

ثم وصل الخبر على السلطان بنزول الناصرى على الصالحية[2] بمن معه وقد وقف لهم عدّة خيول فى الرمل وأنّه لما وجد الصالحية خالية من العسكر حمد الله تعالى

(١) تكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٥) .

(٢) الصالحية إحدى قرى مركز فاقوس بمديريه الشرقية بمصر . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

شكرا ، فإنه كان يخاف أن يتلقّاه عسكر السلطان بها ولو تلقّاه عسكر السلطان لما وجد لعسكره منعة للقتال ، لضعْف خيولهم وشدّة تعبهم ، فلهذا كان حمْدُه لله تعالى . وأخبر السلطان أيضا أنّ الناصرىّ لمّا نزل إلى الصالحيّة تلقّاه عربُ العائد مع كبيرهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى وخدموه بالإقامات والشعير وغيرها فردّ بذلك رمَقَهُم .

فلمّا سمِع السلطان ذلك رسَم للأتابك الأمير قرا دِمُرداش الأحمدىّ أن يتوجّه لكشف الأخبار (١) من جهة بركة الحبش مخافة أن يأتِىَ أحد من قِبَل إطفيح (٢) ، فسار لذلك (٣) . ثم رتّب السلطان العسكر نَوْبتين : نَوْبة لحفظ النهار ونَوْبة لحفظ الليل وسير ابن عمه الأمير بَخْماس فى عدّة أمراء إلى المرج (٤) والزيات (٥) طليعة للكشف .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٧) : « الأجناد » .

(٢) من البلاد المصرية القديمة . سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣١٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقدم : « وسير عدة من الأمراء إلى جهة مرج الزيات طليعة بكشف الخبر » .

(٤) المرج من القرى القديمة وهى اليوم من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر فى حدود ضواحى القاهرة كانت تسمى قديما محلف مرج كما ورد فى قوانين الدواوين لابن مماتى قال : وهى من كفور عين شمس من أعمال الشرقية ووردت فى دليل أسماء البلاد المصرية المحرر فى سنة ١٢٢٤ ﻫ المرج وتعرف قديما بمرج التركان من أعمال ضواحى مصر .

وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أرضها ١٤٠٠ فدان وسكانها حوالى ٦٠٠٠ نفس .

(٥) دلنى البحث على أن الزيات هى القرية التى تسمى اليوم القلج إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وفى تربيع [قائمة مساحة] سنة ٩٢٣ ﻫ قيد زمامها فى دفاتر المكلفات باسم القلج نسبة إلى الشيخ قلج الرومى الأدهمى شيخ زاوية السلطان قايتباى بالمرج والزيات المتوفى سنة ٨٩١ﻫ كما ورد فى تاريخ مصر لابن إياس (ص ٢٣٩ ج ٢) وللاحتفاظ بالاسم القديم لهذه القرية وهى الزيات لسهولة الاسترشاد إلى زمامها القديم ضم اسمها فى تاريع سنة ١٢٢٨ ﻫ إلى اسم القرج وصارت القرية تعرف باسم القرج والزيات . وفى مساحة ١٢٧٥ ﻫ قيد زمامها باسم القرج وهو اسمها الحالى وحذف الاسم القديم . وهى بلدة زراعية تبلغ مساحة أرضها ٤٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٨٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العزب التابعة لها .

ثمّ فى يوم الأربعـاء تاسع عشرين جُمَـادى الأولى المذكور أنفـق السلطان فى ممـاليك أمراء الطبلخانات والعَشَرات ، فأعطى كلّ واحد أربعمائة درهم فضة وأنفق السلطان أيضا فى الطَّبَرْدارِيّة [والبَزْداريّة][1] والأوجاقية وأعطاهم القِسِىّ والنُّشّاب . ثم رتّب من الأجنـاد البطّالين جماعةً بين شُرُفات القلعة ليرموا على مَنْ لعـلّه يُحاصر القلعة ، وأنفق فيهـم أيضا . ثم آستدعى السلطانُ رُماةَ قِسِىّ الرمل من ثَغر الإسكندرية فحضر منهم جماعة كبيرةٌ وأنفق فيهم الأموال .

ثم عاد الأمير جَمَاس بمن معـه من المرج والزيّات وأخبر السلطان أنه لم يقف للقوم على خبر .

ثم خرج الأمير سُودون الطُّرُنطاىّ فى ليلة الخميس فى عِدّة من الأمراء والمماليك إلى قُبّـة النصر للحرس وسارت طائفـة أخرى إلى بِرْكة[2] الحبش وبات السلطان بالإسطبل السلطانى ساهرا لم يَنَم ومعـه الأميرُ سُودون الشيخونى النائب والأتابك قرا دِمِرداش الأحمدىّ ، بعـد أن عاد من بِرْكة الحبش وعدّة كبيرة من المماليك والأمراء .

ثم توجّه الأمير قَرَابُغَا الأبو بكرىّ أمير مجلس فى يوم الخميس أوّل جُمادى الآخرة إلى قُبّـة النصر ، ثم عاد ولم يقف على خبر ، كلّ ذلك لضعف خيـول عساكر الناصرى وكلِّهم من السفر ، فلم يجد الناصرىّ لهم مَنَعة ، فأقام بهـم على الصالحية ليتراجع أمرُهم و تعود قُواهم ، هذا والأمراء بالدار المصرية لابسون آلة الحرب وهم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة .

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١١)

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وفي ليلة الخميس المذكورة هرب من المماليك السلطانية آثنان ومن مماليك الأمراء جماعة كبيرة بعد أخذهم نفقة السلطان وساروا الجميع إلى الناصري[1] .

ثم طلب السلطان أجناد الحلقة، فدارت النقباء عليهم فأحضروا منهم جماعة كبيرة فرّقوا على أبواب القاهرة ورتّبوا بها لحفظها .

ثم ندبَ السلطان الأمير ناصر الدين محمدا آبن الدواداري أحد أمراء الطبلخانات ومعه جماعة لحفظ قَناطر القاهرة وأغلق والي القاهرة باب البَرْقيّة . ثم رتّب السلطان النّفطيّة على بُرج الطبلخاناه السلطانية وغيره بقلعة الجبل .

ثم قدم الخبر على السلطان بنزول طليعة الناصري بمدينة بِلبيس[2] ومقدّمها الطواشي طُقطاي الرومي الطّشتَمُري .

ثم في يوم الجمعة نزلت عساكر الناصري بالبئر البيضاء[3] ، فأخذ عند ذلك عسكر السلطان يتسلّل إلى الناصري شيئًا بعد شيء، وكان أوّل من خرج إليه من القاهرة الأمير جبريل الخُوارَزمي ومحمد بن بَيْدَمُر نائب الشام وبجمان المحمدي نائب الإسكندرية وغريب الخاصّكي والأمير أحمد بن أرْغُون الأحمدي [اللّالا][4] .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥١٨) : « نحو الحسين » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) هذه البئر كانت من مراكز البريد وسبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٤٤ بالجزء الثامن من هذه الطبعة . وأضيف إلى ما سبق ذكره بتلك الحاشية أن بئر البيضاء لم تكن قرية بل كانت مركز بريد منفرد ليس حوله ساكنون وكان ضمن خط سير السعاة بين صرياقوس وبلبيس . وقد لفت نظري أن مصلحة البريد المصري وضعت اسم البئر البيضاء على الخريطة المرفقة بكتاب تاريخ البريد في مصر المطبوع سنة ١٩٢٤ في مكان قرية البيضاء إحدى قرى مركز السنبلاوين بمديرية الدقهلية وهذا الوضع خطأ لا يتفق مع الواقع ، لأن بئر البيضاء كانت واقعة في أرض ناحية الزوامل بمركز بلبيس بمديرية الشرقية بمصر كما ذكرت في الحاشية السابقة .

(٤) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٥١٨) .

ثمّ نصب السلطان السـناجِق السلطانيّة على أبراج القلعـة ودُقّت الكوسات الحربيّة فاجتمعت العساكر جميعها وعليهم آلة الحرب والسلاح ثم ركب السلطان والخليفة المتوكل على الله معه من قلعة الجبل بعـد العصر وسار السلطان بمن معـه حتى وقفا خلف دار الضِّيافة وقد آجتمع حول السلطان من العامة خلائق لاتُحصى كَثْرةً ، فوقف هناك ساعة ثم عاد وطلع إلى الإسطبل[1] السلطانى وجلس فيـه من غير أن يلق حرباً وصَعِد الخليفة إلى منزله بقلعة الجبل ، وقد نزلت الذِّلّة على الدولة الظاهريّة وظهر من خوف[2] السلطان ونكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة عليه .

فلمّا غَرَبَت الشمس صعد السلطان إلى القلعة وبات بالقصر السلطانى ومعـه عامّة ممـاليكه وخاصكيّته وهم عدّة كبيرة إلى الغاية .

ثمّ فى يوم السبت ثالث جُمـادى الآخرة نزل النـاصرى بعساكره بِرْكة[3] الجُبّ ظاهر القاهرة ، ومعـه من أكابر الأمراء الأمير تمُربُغـا الأفضلىّ الأشرفىّ المدعو منطاش والأمير بُزلار العُمَرى الناصرىّ حسن والأمير كشْبُغا الحموى اليلبُغاوى نائب طرابُلس كان والأمير أحمـد بن يَلبُغـا العُمرى أمير مجلس والأمير أَيْدكار حاجب الحجاب وجماعة أُخَر من أمراء الشام ومصر وغيرها .

ثمّ تقدمت عساكر الناصرىّ إلى المرج وإلى مسجد التِّبن[4] ، فعند ذلك غُلّقت أبواب القاهرة كلّها إلا باب زَويلة وأُغلقت جميع الدروب والخُـوَخ وسُدّ باب القرافة وآنتشرت الزُّعر فى أقطار المدينة تأخذ ماظَفِرت به ممّن تستضعفونه .

---

(١) هذا الإسطبل داخل سور القلعة من الجهة الغربية التى تشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة ويتوصل إليه من باب العزب وسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) فى السلوك (ج ٣ ص ٥١٩) : «من جزع السلطان» .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣١ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

ثمّ ركب السلطان ثانيا من القلعة ومعه الخليفة المتوكل على الله ونزل إلى دار الضّيافة فقدم عليه الخبر بأنّ طليعة الناصرى وصلت الى الخراب طرف الحُسينيّة فلقيتهم كشّافة السلطان فكسرتهم .

ثمّ ندب السلطان الأمراء فتوجهوا بالعساكر إلى جهة قبّة النصر ونزل السلطان ببعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار .

ثمّ عاد إلى الإسطبل السلطانى وصحبته الأمراء الذين توجّهوا لقبّة النصر والكوسات تدقّ وهم على أُهْبَة اللّقاء ومُلقاة العدوّ وخاصّكيّة السلطان حوله والنُّفوط لاتفترّ والرُّميلة قد امتلأت بالزُّعر والعامة ومماليك الأمراء ولم يزالوا على ذلك حتّى أصبحوا يوم الاثنين[1] و إذا بالأمير آقُبغا المـارديني حاجب الحجاب والأمير جُمق ابن أيْتَمُش البَجاسى والأمير إبراهيم بن طشْتُمر العلائى الدوادار قد خرجوا[2] فى الليل ومعهم نحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية ولحقوا بالناصرى .

ثمّ أصبح السلطان من الغد وهو يوم خامس[3] جُمَادى الآخرة، فرّ الأمير قَرْقَماس الطّشْتَمُرى الدوادار الكبير وقرا دمرداش الأحمدى أتابك العساكر بالديار المصرية والأمير سودون باق أمير مجلس ولحقوا بالناصرى وكانوا فى عدّة وافرة من المماليك والخدم والأطلاب الهائلة، ولم يتأخر عند السلطان من أعيان الأمراء إلا آبنُ عمه الأمير بَجَاس وسودون الشّيخُونى النائب وسودون طُرنْطاى وتَمُرْبُغا المنجكى وأبو بكر ابن سُنْقُر و بيبَرس التّمـان تَمُرى وشيخ الصفوى ومقدم المماليك شَنكل وطائفة من أمرائه مشتَرواته وخاصّكيّته والعجب أنّ السلطان كان أنم فى أمْنه على الأمراء

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٢٠) : «يوم الأحد» .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدم : «وقد فروا فى الليل» .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٢٠) : «وفى يوم الأحد رابعه فر الأمير قرقماس الطشتمرى الخ» .

الذين توجّهوا للناصرى لكلّ أمير من أمراء الألوف عشرة آلاف دينار ولكل أمير طبلخاناه خمسة آلاف دينار وحلّفهم على طاعته ونصرته وأعطى فى ليلة واحدة للأمير الكبير قرادمرداش الأحمدى ثلاثين ألف دينار دُفعة واحدة وخِلعة وقماشا مُثمّنا، قيمته آلاف عديدة، حتى قال له : قرادمرداش المذكور : يا مولانا السلطان روحى فِداؤك لا تخف مادمتُ أنا واقف فى خدمتك أنت آمن، فشكره السلطان، فنزل من عنده فى الحال ركب وخرج من باب القرافة وقطع الماء الذى يجرى إلى القلعة وتوجّه مع مَنْ ذكرنا من الأمراء إلى الناصرى، فلم يلتفت الناصرى لهم ذاك الالتفات الكلّى، بل فعل معهم كما فعل مع غيرهم ممّنْ توجّه إليه من أمراء مصر . انتهى .

ولمّا بلغ السلطان نِفاقُ هؤلاء الأمراء عليه بعد أن أنعم عليهم بهذه الأشياء، علم أنّ دولته قد زالت، فأغلق فى الحال باب زَويلةَ وجميع الدروب وتعطّلت الأسواق وآمتلأت القاهرة بالزُّعر واشتدّ فسادُهم وتلاشتِ الدولة الظاهريّة وآنحلّ أمرُها وخاف والى القاهرة حسام الدين بن الكورانى على نفسه، فقام من خلف باب زويلة وتوجّه إلى بيته وآختفى وبَقِىَ الناس غوغاء وقطع المسجونون قُيسودهم بخزانة شمائل[1] وكسروا باب الحبس وخرجوا على حميّة جملة واحدة، فلم يردّهم أحدٌ بشغل كلّ واحد بنفسه وكذلك فعل أهل حبس الدَّيْلَم[2] وأهل سجن

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) لما تكلم المقريزى فى خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر من بينها سجنا بآسم حبس الديلم ولكنه لم يفرده بذكر، كما كتب عن السجون الأخرى وإنما أشار إليه عند الكلام على خوخة الصالحية (ص ٤٥ ج ٢) وعلى دار الصالح طلائع بن رزيك (ص ٦٧ ج ٢) وهذا الحبس ينسب إلى حارة الديلم التى تكلم عليها المقريزى فى خططه (ص ٨ ج ٢) وعلقنا عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الرحبة[1]، هـذا والسلطان إلى الآن بقلعة الجبل والنفوط عمّـالة والكوسات تدق حربيا، ثمّ أمر السلطان مماليكه فنزلوا ومنعوا العامة من التوجّه إلى يلبغا الناصرى،

= ويستفاد ممـا ورد في الخطط التوفيقية عند الكلام على شارع الكعكيين (ص ٩٥ ج ٢) أن هذا الحبس كان مستعملا إلى القرن الثانى عشر الهجرى بدليـل ما ورد في كتاب وقف إبراهيم أغا أغاه طائفة ملوك عزبان المحرر في سنة ١١٠١ هـ واشترط فيه أن يصرف ما يزيد عن لوازم الوقف للسجونين بحبس الديلم وحبس الرحبة .

وبالبحث عن مكان هذا السجن تبين لى أنه كان موجودا إلى أول حكم محمد على باشا الكبير وقد هدمته الحكومة و باعت أرضه في ذلك الوقت . ومكانه اليوم زقاق السباعى وما على جانبيه من المبانى وكان باب السجن داخل عطفة التومى عند تلاقيها بزقاق السباعى ، حيث كان الباب في أول الزقاق الذى اتصـل بعطفة التومى وصار طريقا واحدة توصـل الآن بين حارة خوشقدم و بين شارع الدوديرى بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

(١) لمـا تكلم المقريزى في خططه على السجون (ص ١٨٧ ج ٢) ذكر بينها سجنا باسم حبس الرحبة ولكنه لم يفرده بذكر كما كتب عن السجون الأخرى . وهذا الحبس ينسب إلى رحبة باب العيد لأنه كان قائمـا في خط تلك الرحبة .

ويستفاد ممـا ذكره المقريزى في خططه على قصر الحجازية (٧١ ج ٢) أن هذا القصر بخط رحبة باب العيد بجوار المدرسـة الحجازية أنشأته خوند تتر الحجازية بنت الملك الناصر محمـد بن قلاوون وزوج الأمير ملكتمر الحجازى و بعد وفاتها سكنه الأمراء إلى أن وضع الأمير جمال الدين يوسف الأستادار يده عليه أثناء توليه أستادارية الملك الناصر فرج برقوق فعمل هـذا القصر سجنا يحبس فيـه من يعاقبه من الوزراء والأعيان فصار موحشا يروع النفوس ذكره لمـا قتل فيه من الناس خنقا وتحت العقوبة وفي سنة ٨٢٠ هـ فكرت حكومة ذلك الوقت في جعله سجنا عاما لأرباب الجرائم ، على أن ينقل إليه بعض المسجونين من سجن باب الفتوح الذى ضاق بمن فيه بسبب هدم سجن خزانة شمائل التي هـدمها الملك المؤيد شيخ وأدخلها في جامعه عند باب زويلة وشرعت الحكومة فعلا في عمله سجنا وأزالت كثيرا من معالم ذلك القصر إلا أنه ترك ولم يتخذ سجنا بعد ذلك .

وبالبحث عن مكان سجن الرحبـة تبين لى أن مكانه اليوم مبنى مركز بوليس قسم الجمالية أحد أقسام مدينـة القاهرة و إدارة دمغ المصوغات و بيت المـال فيما بين ميـدان بيت القـاضى وشارع بيت المـال وشارع خان جعفر بقسم الجمالية بالقاهرة .

فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنشاب ، قتلوا منهم جماعة تزيد عدتهم على عشر أنفس .

ثم أقبلت طليعة الناصرى مع عدة من أعيان الأمراء من أصحابه، فبرز لهم لأمير بجاس ابن عم السلطان فى جماعة كبيرة وقاتلهم وأكثر الرمى عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفوط والحجارة بالمقاليع وهم يوالون الكر والفر غير مرة وثبتت السلطانية ثباتا جيدا غير أنهم فى علم بزوال دولتهم .

هذا وأصحاب السلطان تتفرق عنه شيئا بعد شىء ، فمنهم من يتوجه إلى الناصرى ومنهم من يختفى خوفا على نفسه، حتى لم يبق عند السلطان إلا جماعة يسيرة ممن ذكرنا من الأمراء، فلما كان آخر النهار المذكور أراد السلطان أن يسلم نفسه ، فمنعه من بقى عنده من الأمراء وخاصكيته وقالت مماليكه : نحن نقاتل بين يديك حتى نموت، ثم سلم بعد ذلك نفسك فلم يثق بذلك منهم ، لكنه شكرهم على هذا الكلام والسعد مدبر والدولة زائلة .

ثم بعد العصر من اليوم المذكور قدم جماعة من عسكر الناصرى عليهم الطواشى طقطاى الرومى الطشتمرى والأمير بزلار العمرى الناصرى وكان من الشجعان والأمير ألطنبغا الأشرفى فى نحو الألف وخمسمائة مقاتل، يريدون القلعة، فبرز لهم الأمير بطا الطولوتمرى الظاهرى الخاصكى والأمير شكرباى[1] العثمانى الظاهرى وسودون شقراق والوالد، فى نحو عشرين مملوكا من الخاصكية الظاهرية ويلاقوا مع العسكر المذكور صدموهم صدمة واحدة كسروهم فيها وهزموهم إلى قبة النصر ولم يقتل منهم غير سودون شقراق ، فإنه أمسك وأتى به إلى الناصرى فوسطه فلم يقتل

(١) فى هامش ف ٤١٥ ب ه طبع أمريكا : «سكرباى» .

الناصرى فى هذه الوقعة أحدا غيره لا قبله ولا بعده ، أعنى صبرا ، غير أن جماعة كبيرة قُتِلوا فى المعركة وردَ الخبر بنُصْرتهم على الملك الظاهر، فلم يَغْتَرّ بذلك وعلم أن أمره قد زال ،فأخذ فى تدبير أمره مع خواصّه ،فأشار عليه مَنْ عنده أن يستأمِن من الناصرى ، فعند ذلك أرسل الملك الظاهر الأمير أبا بكر بن سُنْقُر الحاجب والأمير بَيْدَمُر المنجكيّ شادّ القصر بالمنْجَاة (١) إلى الأمير يَلْبُغا الناصرىّ أن يأخذا له أمانًا على نفسه ويترقّقَا له ، فسارا من وقتهما إلى قُبّة النصر ودخلا على الناصرى وهو بمخيمه وآجتمعا به فى خلوة فأمنه على نفسه وأخذ منهما منجاة الملك وقال الملك الظاهر : أخونا وخُشْدَاشُنا ولكنّه يختفى بمكان إلى أن تُخْمَد الفتنة، فإن الآن كلّ واحد له رأى وكلام ، حتى نُدبِّر له أمرا يكون فيه نجاته ، فعادا بهذا الجواب إلى الملك الظاهر برقوق وأقام السلطان بعد ذلك فى مكانه مع خواصه إلى أن صلّى عشاء الآخرة وقام الخليفة المتوكل على الله إلى منزله بالقلعة على العادة فى كل ليلة وبَقِيَ الملك الظاهر فى قليل من أصحابه ، أَذِنَ لسودون النائب فى التوجّه إلى حال سبيله والنظر فى مصلحة نفسه، فوادعه وقام ونزل من وقته . ثمّ فرّق الملك الظاهر بقية أصحابه ، فمضى كلّ واحد إلى حال سبيله .

ثم آستتر الملك الظاهر وغيّر صِفَته، حتى نزل من الإسطبل إلى حيث شاء ماشيًا على قدميْه، فلم يَعرف له أحد خبرا وآنفضّ ذلك الجمع كله فى أسرع ما يكون وسكن فى الحال دقّ الكوسات ورمى مدافع النفط ووقع النهب فى حواصل الإسطبل حتى أخذوا سائر ما كان فيه من السُّروج واللُّجُم وغيرها والعبيّ ونهبوا أيضا ما كان بالمَيْدان من الغنم الضأن وكان عدّتها نحو الألفى رأس ونهبت طباق المماليك بالقلعة

وطار الخبر فى الوقت إلى الناصرى فلم يتحرك من مكانه ودام بمخيّمه وأرسل جماعة من الأمراء من أصحابه فسار من عسكره عدّة كبيرة وآحتاطوا بالقلعة .

واصبح الأمير يلبغا الناصرى بمكانه وهو يوم الآثنين خامس جمادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة وندب الأمير منطاش فى جماعة كبيرة إلى القلعة، فسار منطاش إلى قلعة الجبـل فى جموعه وطلع إلى الإسطبل السلطانى فنزل إليه الخليفة المتوكّل على الله أبو عبدالله محمد وسار مع منطاش إلى الناصرى بقبّة النصر، حتى نزل بمخيّمه، فقام الناصرى إليه وتلقّاه وأجلسه بجانبه وانسه بالحديث .

هذا وقد آنضمّت العامّة والزعر والتركمان من أصحاب الناصرى وتفرّقوا على بيوت الأمراء وحواصلهم ، فنهبوا ما وجدوا حتى أخربوا الدور وأخذوا أبوابها وخشبها وهجموا منازل الناس خارج القاهرة ونهبوها واستمرّوا على ذلك وقد صارت مصر غوغاء وأهلها رعيّة بلا راع، حتى أرسل الناصرى الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام وقـد ولّاه ولاية القاهرة فسار ابن الحسام إلى القاهرة فوجد باب النصر مغلوقا، فدخل بفرسه راكبا من جامع[1] الحاكم إلى القاهرة وفتح باب النصر[2] وباب الفتوح وعند فتح[3] الأبواب طرق جماعة كبيرة من عسكر الناصرى القـاهرة ونهبوا منها جانبا كبيرا، فقاتلهم الناس وقتلوا منهم أربعة نفر ومرّ بالناس فى هذه الأيام شدائد وأهوال، وبلغ الناصرى الخبر فبعث أبا بكر بن سنقر الحاجب وتنكز بغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة فدخلاها .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

ثمّ نُودِيَ بها من قِبَل الناصرى بالأمان ومنع النّهب، فنزل تنكزبُغا المذكور عند الجملون[(١)] وَسْط القاهرة ونزل سيدى أبو بكر بن سُنْقُر عند باب زويلة وسكَن الحال وهدأ ما بالناس وأَمِنوا على أموالهم .

وأمّا النـاصرى ، فإنّه لمّـا نزل إليه الخليفة وأكرمه ، كما تقـدّم وحضر قضاء القضاة والأعيان للهناء ، أمَرَهم الناصرىّ بالإقامة عنـده وأنزل الخليفة بخيم وأنزل القضاة بخيمة أخرى ، ثمّ طلب الناصرىّ مَن عنـده من الأمراء والأعيان وتكلم معهم فيما يكون وسألهم فيمن يُنَصَّب فى السلطنة بعد الملك الظاهر برقوق ، فأشار أكابرهم بسلطنة الناصرىّ فامتنع الناصرى من ذلك أشدّ ٱمتناع وهم يُلِحّون عليـه ويقـولون له : ما المصلحة إلا ما ذكرنا وهو يأبى وٱنفضّ المجلس من غير طائل ، فعنـد ذلك تقـدّم الناصرى بكتابة مرسوم عن الخليفة ، وعن الأمير الكبير يَلْبُغـا الناصرىّ بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بثَغر الإسكندرية وهم : أَلْطُنْبُغا الجوبانى . نائب الشام وقَرْدم الحَسَنى وأَلْطُنْبُغا المعـلّم أمير سلاح وإحضارهم إلى قلعة الجبـل والجميع بِلْبُغاويّة ، فسار البريد بذلك ثم أمر الناصرى بالرحيل من قبّـة النصر إلى نحـو الديار المصرية وركب فى عالم كبير من العساكر نحو الستين ألفـا ، حتى إنه

---

(١) يقصد المؤلف سوق الجملون الكبير ، لأنه فى وسط القاهرة ، وأما الجملون الصغير فهو بالقرب من باب الفتوح وباب النصر أى القسم الشمالى من القاهرة . وقـد تكلم المقريزى فى خططه على سوق الجملون الكبير (ص ١٠٣ ج ٢) فقال : إن هـذا السوق بوسط سوق الشرابشيين ، يتوصل منه إلى بندقانيين وإلى حارة الجودرية وغيرها . ولمـا تكلم على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) قال : ثم يسلك أمامه شاقا فى سـوق الشرابشيين فيجد عن يمينه قيسارية أبن قريش وإلى سوق العطارين وغيرها .

وبالبحث عن مكان سـوق الجملون المذكور تبين لى أنه لا يزال باقيا فى حارة الجملون الواقعة فى الحد البحرى لجامع السلطان الغورى تجاه قبـة السلطان المذكور ، القائمـة فى مكان قيسارية أمير على بشارع المعز لدين الله فى القسم الذى كان يسمى شارع الغورية بالقاهرة .

كان عليق بجمالهم فى كل ليـلة ألفا [وثلثمائة][1] إردب فول وسار النـاصرى بخيوله وبجيوشه حتى طلع إلى القلعـة ونزل بالإسطبل السلطانى وطلع الخليفـة إلى منزله بقلعة الجبل ونزل كلّ أمير فى بَيْت من بيوت الأمراء بديار مصر وجلس الناصرىّ فى مجلس عظيم وحضر إلى خدمته الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الغنّام وموفّق الدين أبو الفـرج ناظر الخاص والقاضى جمال الدين محمود ناظر الجيش والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر الشريف وغيرهم من أرباب الوظائف ، فأمرهم الأمير الكبير بتحصـيل الأغنـام إلى مطـابخ الأمراء ونُودِى فى القاهرة ثانيـا بالأمان .

ثمّ رسم للأمير تَنْكِزْبُغا رأس نوبة بتحصيل [ممـاليك][2] الملك الظاهر برقوق ، فأخذ تنكزبغا يتتبّع أثره وأصبح النـاس فى يوم الثـلاثاء سادس جُمَـادى الآخرة فى هَرْج كبير ومقالات كثيرة مختلفة فى أمر الملك الظاهر برقوق .

ثمّ آستدعى الأمير الكبير يَلْبُغَـا الناصرىّ الأمراء واستشارهم فيمن يُنَصّـبه فى سلطنة مصر ، فكثُر الكلام بينهم وكان غرض غالب الأمراء سلطنة الناصرىّ ماخلا منْطاش وجماعة من الأشرفيّة ، حتى آستقر الرأى على إقامة الملك الصالح أمير حاج آبن الملك الأشرف شعبان فى السلطنة ثانيـا ، بعد أن أعيا الأمراء أمر النـاصرىّ فى عدم قبوله السّلطنة وهو يقول : المصلحة سـلطنَةُ الملك الصالح أمير حاج ، فإن الملك الظـاهر برقوقا خلعـه من غير موجِب ، فطلعوا فى الحال من الإسطبل إلى القلعة وآستدعَوُا الملك الصالح وسلطنوه وغيّروا لقبه بالملك المنصور

---

(١) زيادة عن السلوك (ح ٣ ص ٥٢٧) .

(٢) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٢٨) يقتضيها السياق .

على ما سنذكره فى أوّل ترجمته الثانية — إن شاء الله تعالى — بعد أن نذكر حوادث سنين الملك الظاهر برقوق كما هى عادة كتابنا هذا من أوّله إلى آخره .

وأمّا الملك الظاهر برقوق فإنّه دام فى آختفائه إلى أن قُبِض عليه بعد أيام على ما سَنحكيه فى سلطنة الملك الصالح مُفصّلا إلى أن يُسْجن بالكَرَك ويعود إلى مُلكه ثانيا .

قلتَ : وزالت دولة الملك الظّاهر برقوق كأن لم تكن — فسبحان من لا يزول مُلْكه — بعد أن حكم مصر أميرا كبيرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما، تفصيله مدّة تَحكُّمه أميرا منذ قَبض على الأمير طَشْتَمُر العلائىّ الدوادار فى تاسع ذى الحجّة سنة تسع وسبعين وسبعمائة إلى أن جلس على تخت المُلْك وتلقّب بالملك الظاهر فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيّام . وكان يقال له فى هذه المدة : الأمير الكبير أتابك العساكر ومن حين تسلطن فى سنة أربع وثمانين المذكورة إلى يوم ترك الملك وآختفى فى ليلة الآثنين خامس جُمادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ست سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما ، فهذا تفصيل تحكُّمه على مصر أميرًا أو سلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما . وذهب مُلكه من الديار المصريّة على أسرع وجه مع عظمة فى النفوس وكثرة مماليكه وحواشيه ، فإنه خُلِع من السلطنة وله نحو الألفى مملوك مشترى ، غير من أنشاه من أكابر الأمراء والخاصكيّة من خُشْداشيّته وغيرهم ، هذا مع ما كان فيه من القوّة والشّجاعة والإقدام ، فإنّه قام فى هذا الأمر بالقوّة فى آبتداء أمره وتوثّب على الرئاسة والإمْرَة بيده دَفعةً واحدة حسب ما تقدّم ذكره ، ولم يكن له يوم ذاك عشرة مماليك مشتراة ، وأعجبُ من هذا ما سيكون من أمره فى سلطنته الثانية عند

خروجه من حبس الكرك وهــو فى غاية ما يكون من الفقر وقلّة الحاشية ومع هــذا يملك مصر ثانيــا ، كما سيأتى ذكر ذلك مفصلا . وما أرى هــذا الذى وقع للملك الظاهر فى خلعه من المُلْك مع ما ذكرنا إلّا خِذْلانا من الله تعالى ولله الأمر .

وقال المقريزى — رحمه الله — : وكان فى سلطنته مخلّطا يخلّط الصالح بالطالح.

وممــا حكاه المقريزى قال : وكان له فى مدته أشــياء مليحة ، منها : إبطاله ما كان يؤخذ من أهل البُرُلُّس[1] وشــورى[2] وبلطيم[3] من أعمــال مصر شــبه الجالية فى كلّ سنة .

قلت : وقد تجدّد ذلك فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ثانيا فى سنة سبع وأربعين وثمانمائة : قال وهو مبلغ ستّين ألف درهم فضّة يعنى عن الذى كان يؤخذ من هذه الجهات المذكورة ، قال : وأبطل ما كان يُؤخَذ على القمح بثَغر دِمياط من المكوس وما كان يُؤخذ من معمل الفراريج بالجيزيّة وأعمالها والغربية وغيرها ، وما كان يُؤخذ على الملح من المكس بعِينتاب[4] وما كان يؤخذ على الدقيق بالبيرة[5] من المكس . وأبطل

(١) البرلس هى البلدة التى تعرف اليوم باسم البرج إحدى قرى مأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر . وسبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٢٤٨ بالجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) شورى هى قرية من القرى التى بإقليم البرلس الواقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط فى شمال الدلتا وهذه القرية هى الآن من توابع بلدة البرج التى كانت تسمى قديما البرلس بمأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر .

(٣) بلطيم هى من القرى القديمة فى مصر اسمها الأصــلى « أطوم » وو ردت فى رحلة ابن بطوطة باسم « ملطين » وقال : إنها قرية قرب البرلس ، وو ردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى : « بلطيم » من أعمال النستراوية وهى الآن قاعدة مأمورية البرلس بمديرية الغربية بمصر . وكانت بلطيم واقعــة فى زمام ناحية مالية باسم نصف شرق البرلس . وفى سنة ١٩٣٣ أصدر وزير المــالية قرارا بفصلها بزمام خاص بها من أراضى تلك الناحية وبذلك أصبحت ناحية مالية قائمة بذاتها .

(٤) عينتاب قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية وهى الآن من أعمال حلب .

(٥) البيرة بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهى قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات فى البر الشرقى الشمالى ولها واد يعرف بواد الزيتون به أشجار وأعين .

أيضا ما كان يؤخذ فى طرابُلُس عنـد قدوم النـائب إليها — من قضاة البرّ وولاة الأعمال عن كل واحد خمسمائة درهم وأبطل أيضا ما كان يؤخذ فى كلّ سنة من الخيل والجمال والبقر والغنم من أهـل الشرقيّة من أعمال مصر. وأبطل ما كان يؤخذ من المكس بديار مصر على الدريس والحَلْفاء خارج باب النصر . وأبطل ضمان المغانى بالكرك والشوبك ومن منية ابن خصيب (١) وزفتة من أعمال مصر وأبطل رَمى الأبقار بعد فراغ عَمَل الجسور على أهل النّواحى وأنشأ من العمائر فى هـذه السلطنة الأولى المدرسة بخطّ بين القصرين من القاهرة ولم يُعمَّر داخل القـاهرة مثلُها ولا أكثر معلوما منها وله أيضا الصهريج والسبيل بقلعة الجبـل تجاه الإيوان وعمّر الطاحون أيضا بالقلعة وأنشأ جسر الشريعة على نهر الأردن بطريق الشام وطـوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا وجدّد خزائن السلاح بثَغر الاسكندريّة وعمّر سـور دمنهور بالبحيرة وعمّر الجبال الشرقيّة بالفيوم وزاوية البرزخ بدمياط وبنى قناطر بالقُدس وبنى بحيرة برأس وادى بنى سالم قريبا من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قال : وكان حازما مهابا مُحبًّا لأهل الخير والعلم إذا أتاه أحد منهم قام إليـه ولم يُعرف أحد قبله من الملوك [الترك] يقوم لفقيه وقلّما كان يُمكّن أحدا منهم من تقبيل يده، إلا أنه كان محبًّا لجمع المـال وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فكان لا يكاد يُولّى أحدا وظيفة ولا عملا إلا بمال وفسد بذلك كثير من الأحوال وكان مُولَعا بتقديم الأسافل وحطّ ذوى البيوتات .

قلت : وهذا البلاء قد تضاعف الآن حتّى خرج عن الحدّ وصار ذوو البيوت مَعيَرة فى زماننا هذا . انتهى .

(١) منية ابن خصيب هى المدينة التى تعرف اليوم باسم المنيا قاعدة مديرية المنيا بالوجه القبلى بمصر وقد سبق التعليق عليها بالجزءين : الخامس والسادس . وأما زفتى فهى قاعدة مركز زفتى بمديرية الغربية بمصر وسبق التعليق عليها باسم منية زفتى فى الحاشية رقم ٥ ص ٢٧٧ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

قال : وغيّر ما كان للناس من الترتيب . واشتهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة :
إتيان الذكران من اشتهاره بتقريب المماليك الحسان وتظاهر البراطيل وكان لا يكاد
يُولّى أحدا وظيفة إلا بمـال واقتدى بهذا الملوك من بعده وكساد الأسواق لشحه
وقلة عطائه ، فمساوئه أضعاف حسناته . انتهى كلام المقريزىّ من هذا المعنى .

قلتُ : ونحن نسامح الشيخ تقىّ الدين المقريزىّ فى كلامه حيث يقول :
وحدث فى أيامه ثلاثة أشـياء قبيحة ، فأمّا إتيان الذكران ، فأقول : البـلاء قديم
وقد نسب اشتهار ذلك من يوم دخول الخراسانيّة إلى العـراق فى نوبة أبى مسلم
الخراسانىّ فى سنة آثنتين وثلاثين ومائة من الهجرة .

وأما اقتناؤه المماليك الحسان، فأين الشيخ تقى الدين من مشترى الملك الناصر
محمد بن قلاوون إلى حسان المماليك بأغلى الأثمـان الذى لم يقع للملك الظاهر
فى مثلها ، حتى إن الملك الناصر محمـد قدّم جماعة من ممـاليكه ممن شُغف بمحبّتهم
وأنعم عليهم بتقادم ألوف بمصر ولم يطرّ شارب واحد منهـم، مثل بكتُمر الساقى
ويَلبغا اليحياوى وألْطُنْبُغا المـاردينى وقوصون ومَلِكْتَمُر الحجازى وطُقُزْدَمُر الحموى
وبَشْتك وطُغَاى الكبير وزوّجهم بأولاده ، فحينئذ الفرق بينهما فى هـذا الشأن
ظاهر . وأما قوله : أخذ البراطيل، فهذا أيضا قديم جدّا من القرن الثالث وإلى
الآن، حتى إنه كان فى دولة الملك الصالح إسماعيل آبن الملك الناصر محمد بن قلاوون
ديوان يعرف بديوان البَذْل (أعنى بديوان البِرْطيل) وشاع ذلك فى الأقطار وصارَ
مَنْ له حاجة يأتى إلى صـاحب الديوان المذكور ويبذل فيما يَرُومه من الوظائف
وهذا شىء لم يصل الملك الظاهر برقوق اليه .

وأما شُحّـه فهو بالنسبة لمن تقدّمه من الملوك شحيح وإلى مَن جاء بعـده كريم
والشيخ تقى الدين — رحمه الله — كان له انحرافات معروفة تارة وتارة ولولا ذلك

ما كان يحكي عنه في تاريخه السلوك قوله : ولقد سمعت العبد الصالح جمال الدين عبد الله السكسرى[1] المغربي يخبرني[2] — رحمه الله — أنه رأى قردا في منامه صعد المنبر بجامع الحاكم فخطب ثم نزل ودخل المحراب ليصلّي بالناس الجمعة ، فثار الناس عليه في أثناء صلاته بهم، فأخرجوه من المحراب وكانت هذه الرؤيا في أواخر سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، فكان ذلك تقدُّم الملك الظاهر برقوق على الناس وسلطنته تأويل هذه الرؤيا، فإنه كان مُتخلّقا بكثير من أخلاق القِرَدة شحًّا [وطمعا][3] وفَسادا ولكن الله يفعل ما يريد ولله الأمر من قبل ومن بعد . انتهى كلام المقريزى .

قلت : وتعبير الشيخ تقى الدين لهذه الرؤيا أن القرد هو الملك الظاهر فليس بشيء من وجوه عديدة، منها : أن برقوقا لم يتسلطن بعد قتل الملك الأشرف إلا بعد أن تسلطن ولد الملك الأشرف الملك المنصور علىّ وولده الملك الصالح أمير حاجّ ؛ ثم تسلطن برقوق بعد ستّ سنين من وفاة الأشرف ومنها : أن الناس لمّا أخرجوا القرد في أثناء الصلاة كان ينبغى أن يعود و يصلّى بالناس بعد إخراجه ثانيا صلاة أطول من الصّلاة الأولى، فإن برقوقا لما خُلِع عاد إلى السلطنة ثانيا ومكثَ فيها أكثر من سلطنته الأولى حتى كانت تطابق ماوقع لبرقوق وقولُنا : إن الشيخ تقى الدين كان له تارات يُشْكُر فيها وتارات يُذم فيها، فإنه لما صحب الملك الظاهر المذكور في سلطنته الثانية وأحسن إليه الظاهر أمعَن في الثناء عليه في عِدّة أماكن من مُصنفاته ونَسِى مقالته هذه وغيرها وفاته أن يغيِّر مقالته هذه ، فإنه أمعَن ، ويقال

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٢٥) : « السيسوى » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدم : « يخبر أبي رحمهما الله » .

(٣) التكلة عن السلوك (ج ٣ ص ٥٢٦) .

فى المثل من شكر وذمّ ، فكأنمـا كذّب نفسه مرّتين . وبإجماع الناس أن الملك الظاهر برقوقا كان فى سلطنته الأولى أحسن حالا من سلطنته الثانية، فإنه آرتكب فى الثانية أمورا شنيعة : مثل قتل العلماء و إبعادهم والغضّ منهم، لمـّا أفتَوْا بقتاله عند خروجه من الكرك ونحن أعرف بأحوال الملك الظاهر وآبنه الناصر من الشيخ تقى الدين وغيره و إن كان هو الأسنّ ، ولم أُرِد بذلك الحطّ على الشـيخ تقىّ الدين ولا التعصُّب للملك الظاهر، غير أن الحق يُقال والحق المحض فيه أنّه كان له محاسن ومساوئ وليس للإمعان محلّ، كما هى عادة الملوك والحكّام . و بالجملة فهو أحسن حالا ممن جاء بعده من الملوك بلا مُدافعة . والله تعالى أعلم .

⁂

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة أربع وثمـانين وسبعمائة، على أن الملك الصالح حاجّيًّا حكم منها إلى تاسع عشر شهر رمضان ثم حكم الملك الظاهر فى باقيها .

وفيها تُوُفّى قاضى قضاة الحنفيّة بدِمَشق هُمَـام الدين أمير غالب ابن العـلّامة قاضى القضاة قوام الدين أمير كاتب الإتقانى الفارابى الاترازى الحنفى ، ولِىَ أوّلا حِسْبَة دمشق ثم القضاء بها ، وكان قليل العلم بالنسبة إلى أبيه ، إلّا أنه كان رئيسا حسن الأخلاق كريم النفس، عادلا فى أحكامه وكان فى ولايتـه يعتمد على العلماء من نوّابه، فمشى حالُه وشُكِرت سيرتُه إلى أن مات فى جُمَادَى الأولى .

وتُوُفّى قاضى القضاة بدر الدين عبـد الوهاب آبن الشـيخ كمال الدين أحمـد آبن قاضى القضاة علم الدين محمـود[1] بن أبى بكر بن عيسى [بن بَدْرَان[2]] السـعدىّ

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٣) : « علم الدين محمد » .
(٢) التكملة عن السلوك المصدر المتقدم .

الإخنائى المالكىّ . وُلِدَ فى حدود العشرين وسبعمائة وتولّى القضاء بعد موت القاضى برهان الدين إبراهيم الإخنائى وكان ضعيفا ، بخاءه التشريف من الملك الأشرف شعبان وأُلْقِىَ عليه على خافه ، فلما عُوفِىَ لَبِسه و باشر القضاء وحسُنت سيرتُه إلى أ ن صُرِف بعلم الدين سليمان بن خالد بن نُعَيْم البِساطى فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ثم أُعيد فى صفر سنة تسع وسبعين وعُزِل فى السنة بالبساطىّ ثانيا ولزم دارَه إلى أن مات . وكان خيرًا دينًا مشكور السيرة .

وتُوفِّى الوزير الصاحب كَرِيم الدين عبد الكريم ابن الرُّوَيْهِب فى سابع[(1)] عشر شهر رمضان ، وقد اتّضع حالُه وافتقر وكان من أعيان الأقباط وباشر عِدّة مباشرات ، منها الوزرُ ونظرُ الدولة والاستيفاء وغير ذلك .

وتُوفِّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن محمد ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد ابن دَقِيق العيد موقِّع الحُكم فى خامس[(2)] عشر صفر .

وتوفى الشيخ جمال الدين محمد بن علىّ [بن يوسف[(3)]] الأسوانىّ[(4)] فى يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأوّل وكان معدودا من الفضلاء .

وتوفى الأمير فخر الدين إياس بن عبد الله الصَّرْغَتْمشىّ الحاجب أحد أمراء الطبلخانات فى ثالث شهر ربيع الآخر وكان فيه شجاعةٌ وعنده كرم وتعصّب لمن يلوذ به .

---

(١) رواية المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٤٩ (ب) : « فى سابع عشرين شهر رمضان » .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٣) : « فى خامس عشرين صفر » .

(٣) تكلة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٤) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « الاسنوى » .

وتُوفِّى الشيخ الإمام عزّ الدين عبد العزيز بن عبـد الحق[1] الأسيوطى الشافعى فى يوم الأحد[2] عاشر ذى القعدة بعدما تصدّر للاشتغال والإفتاء مدّة سنين ودرّس بعدّة مدارس وكان من أعيان الشافعية .

وتُوفى الأمير زين الدين زُبالة الفارِقانىّ نائب قلعة دمشق بها فى شعبان .

وتُوفى السلطان الملك المعزّ حسـين بن أُوَيْس آبن الشـيخ حسن بن حسين ابن آقبغا بن أَيْلكان المنعوت بالشيخ حسين سلطان بغداد وتَبْرِيز وما والاهما وكان سِبْط ألقان أرغون بن بو سعيد ملك التتار . وَلِى سلطنة بغداد فى حياة أبيه، لأن والده أُوَيْسا ، كان رأى منـاما يدلّ على موته فى يوم معين ، فآعتزل المُلك وسلطن ولده هذا وقد تقدّم ذكرُه فى ترجمة والده المذكور فى سـنة ست وسبعين وسبعمائة . ودام الشيخ حسين هـذا فى المُلك إلى أن قتـله أخوه السلطان أحمـد ابن أُوَيْس وملك بغداد بعـده بإشارة تَجَاشيخ الكَجْحانىّ فى هذه السنة . وكان الشيخ حسين هذا ملكا شابا جميـلا جليلا[3] شجاعا مِقداما كريما مُحَبَّبا للرعية كثير البر قليـل الطمع؛ ولقـد كانت العراق فى أيامه مطمئنة معمورة إلى أن ملكها أخوه أحمد بعـده فآضطربت أحوالها إلى أن قُتِـل ، ثم ملكها قرا يوسف وأولاده ، فكان خراب العراق على أيديهم . وبالجملة فكان الشيخ حسين هذا هو آخر ملوك بغداد والعراق .

§ أمر النيل فى هذه السنة ــ المـاء القديم ستة أذرع ونصف . مبلغ الزيادة عشرون ذراعا وثلاثة أصابع . وهى سنة الغَرَق لِعظَم زيادة النيل .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤١٢) : « ابن عبد الخالق » .

(٢) رواية السلوك المصدر المتقدّم : « فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى الحجة » .

(٣) تكملة عن المنهل الصافى « ص ٢ ٤ ج ٢ (١) » .

*
* *

السنة الثانيـــة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر وهي سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّي الأديب المقرئ الفاضل شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى آبن مخـلوف بن مُرِّ[1] بن فضل الله بن سـعد بن ساعد السعديّ الأعرج الشاعر المشهور . كان لديه فضيلة وعلا قدرُه على نظم الشِّعر، وكان عارفاً بالقراءات، وقال الشعر وسِنُّه دون العشرين[2] سنة . ومن شعره رحمه الله : [الكامل]

إنّ الكريمَ إذا تنجّس عِرضُه * لو طَهّـــرُوه بزمزمٍ لم يَطهُرِ
مِمّا آعتراه من القَذَاوةِ والقذى * لم ينْقَ من نَجَسٍ بسبعة أبحـرِ

وتُوفي الأمير عز الدين أيدمر بن عبد الله من صديق المعروف بالخطائي وهو مجرّد بالإسكندرية ، كان أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ورأس نوبة ، وكان ممن انضمّ على الأمير بركة الجُوبانيّ، فقَبَض عليه برقوق وحبسه مدّة ثم أفرج عنه وأعاده على إمرته إلى أن مات . وخلّف موجودا كبيرا آستولى عليـه ناظر الخاص .

وتُوُفِّي الأمير سيف الدين بَلَاط بن عبــد الله السَّيفي المعروف بالصــغير أمير سلاح وهو بطرابلس في جُمادى الأولى، وكان حَشِما وقورا مشكور السيرة .

وتوفي الأمير سيف الدين تَمُرباي بن عبد الله الأفضليّ الأشرفيّ نائب صفد بها في جمــادى الأولى ، وكان من أعيان المماليك الأشرفية وقد تقدّم أنّه ولِيَ نيابة

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٣٥) : « ابن محمد ... الخ » .
(٢) رواية المنهل الصافي (ج ١ ص ١٧١ ب) : « دون عشر سنين » .

حلب وغيرها ، ثم عزله الملك الظاهر فنقله فى عدة بلاد إلى أن ولّاه نيابة صفد ، فمات بها .

وتُوُفّى الشيخ الإمام عَلَم الدين سليمان بن شهاب الدين أحمَد بن سليمان بن عبد الرحمن [بن أبى الفتح بن هاشم](١) العسقلانىّ الحنبلىّ، أحد فقهاء الحنابلة فى ثالث [عشرين](٢) جمادى الآخرة .

وتوفى قاضى قضاه الشافعية بدِمَشق وَلِىّ الدين عبد الله ابن قاضى القضاة بهاء الدين(٣) أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمّام السبكى الشافعى بها فى هذه السنة .

وتوفى الأمير سيف الدين قُطْلوبُغَا بن عبد الله الكوكائىّ حاجب حُجّاب دمشق فى سادس المحرّم . وكان أصله من مماليك الأمير كُوكائى ، وترقى إلى أن صار من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية ، ثم ولى إمرة سلاح ، ثم نُقِل إلى حجوبية الحجّاب فى أوّل سلطنة الملك الظاهر برقوق عوضا عن سُودون الفخرىّ الشيخونىّ بحكم انتقال سودون إلى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، فدام قُطْلوبُغَا هذا فى وظيفة الحجوبيّة إلى أن مات وشَغَرت الوظيفة وهى الحجوبية من بعده أربع سنين إلى أن وَلِيها أيدَكار العُمرىّ .

وتُوفّى الأمير سيف الدين أرغون بن عبد الله دَوادار الأمير الكبير طَشْتَمُر العلائىّ فى هذه السنة . وكان من جملة أمراء الطبلخانات بديار مصر، وكان عارفا عاقلا مدبّرا وله وجاهة فى الدول .

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٣٥) .

(٢) التكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقدّم (شهاب الدين) .

وتُوُفِّي الأمير شرف الدين موسى بن دُنْدار[(٤)] بن قَرَمان أحد أمراء الطبلخانات في ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى .

وتوفي مُسْتَوْفي ديوان المرتجع أمين الدين عبد الله المعروف بِحُمَيْص[(٢)] الأسلمي في [ثالث عشر][(٣)] المحرّم . كان من أعيان الكُتّاب القِبْطيّة .

وتُوفي القاضي شرف الدين موسى آبن القاضي بدر الدين محمد بن محمد آبن العلّامة شهاب الدين محمود الحلبي الحنبلي ، أحد موقِّعي الدَّست بمدينة الرَّملة عائدا من القاهرة إلى دمشق في رابع عشرين صفر، وكان من بيت كتابة وفضل .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثمانية أذرع سواء . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا . والله تعالى أعلم .

⁂

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر وهي سنة ست وثمانين وسبعمائة .

فيها تُوُفِّي الأمير سيف الدين بَهَادُر بن عبد الله الجمالي المعروف بالمُشْرِف، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية وأمير حاج المحمل في ذي القعدة بعيون القصب[(٤)] من طريق الحجاز وبها دُفِن وقبره معروف هناك . وكان مشكورَ السيرة، وَلِيَ إمرة الحاج غير مرّة . رحمه الله تعالى .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٢٩) : « ابن دينار » .

(٢) هذه رواية (م) . وفي هامشها « بعميص » . وفي السلوك (ج ٣ ص ٤٢٦) عبد الله ابن « حصيص » وبعد بحث طويل لم نعرف وجه الصواب فيه .

(٣) زيادة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٢٦) .

(٤) عيون القصب هي منزلة على البحر الأحمر في طريق الحج بين العقبة والمويلح وقد سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ١٠٥ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوُفّى قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نُعَيم بن مُقَدم ابن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائى البساطىّ المالكى قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية وهو معزول فى يوم الجمعة سادس عشر صفر وقد أناف على الستين سنة ، وأصل آبائه من قرية شَبْرا بَسْيون(١) بالغربية من أعمال القاهرة وُلِد هو ببساط(٢) وكان فقيها فاضلا بارعا وَلِىَ قضاء مصر فى الدولة الأشرفيّة شعبان عوضا عن بدر الدين الإخنائىّ، بعد عزله وباشر بعفّة وتقشّف وأطّراح التكلُّف، حتى عُزِل فى سنة ثلاث وثمانين ولَزِم دارَه حتى مات .

---

(١) هى من القرى القديمة ، وردت فى قوانين الدواوين لابن مماتى من أعمال الغربية وٱستمرت معروفة بهذا الاسم إلى القرن الهجرى الماضى، وفى سنة ١٢٥٩ هـ قيدت فى المكلفات باسم بسيون أى بحذف الصدر وهو اسمها الحالى . وبسيون الآن بلدة كبيرة من بلاد مركز كفر الزيات بمديرية الغربية . والظاهر أن هذه القرية كان اسمها مقيدا فى دفاتر الدواوين باسم شبرا بسيون وعلى لسان العامة بسيون بدليل أنها وردت فى حرفى الباء والسين فى قوانين الدواوين لابن مماتى ، ووردت فى كتب القبط شبراصا لقربها من بلدة صا الحجر . وكانت بسيون قاعدة لقسم بسيون أحد أقسام مديرية الغربية من سنة ١٨٢٦ ، وفى سنة ١٨٧١ نقل ديوان المركز والمصالح الأميرية الأخرى من بسيون إلى مدينة كفر الزيات ، لوقوعها على السكة الحديدية الرئيسية الموصلة من مصر إلى الإسكندرية ولتوسطها بين بلاد المركز . وتبلغ مساحة أراضيها ٣٧٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ١٤٠٠٠ نفس .

(٢) يوجد اليوم بمصر بلدتان : «باسم بساط» وهما بساط التى بمديرية الغربية وبساط كريم الدين التى بمديرية الدقهلية ، والبلدة التى يقصدها المؤلف هى بساط التى فى الغربية ، وهى قرية قديمة اسمها المصرى « بسيا » والرومى « بياستا » والقبطى « بسوط » وسماها العرب « بسوط قروص » تمييزا لها من بسوط أقونياتة وهى بساط كريم الدين التى بمركز فارسكور بمديرية الدقهلية ، كما ورد فى كتاب قوانين الدواوين لابن مماتى ضمن أعمال السمنودية ، ثم حرف اسمها ، فوردت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان باسم بساط قروص من أعمال الغربية . وفى تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ بساط من غير تمييز وهو اسمها الحالى ويقال لها بساط النصارى لكثرة عددهم بها . وهى الآن إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية بمصر . تبلغ مساحة أراضيها ٢١٠٠ فدان وعدد سكانها حوالى ٢٥٠٠ نفس .

وتُوفى الأمير سيف الدين طُنْبغ المحمّدى أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية، بعد أن أُخرج منفيًّا إلى دِمَشق، فمات بها وكان من أعيان الأمراء.

وتُوُفِّيَ العلّامة أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الحنفى المصرى المولد والدار والوفاة، كاتب السر الشريف بالديار المصرية في يوم السبت ثانى ذى الحجّة. وكان فقيها فاضلا عالمـا مُفْتنًّا مشاركا في عدّة علوم مع رياسة وحشمة، خَدَم عند الملك الظاهر برقوق موقّعا، فلمّا تسلطن ولّاه كتابة السر بالديار المصرية، في شوّال سـنة أربع وثمـانين وسبعمائة، بعـد عزل القاضى بدر الدين محمـد بن فضـل الله فباشر الوظيفة بحُرْمة وافرة وحسُنت سـيرتُه وعظُم في الدولة، فعاجلته المنيّة وعمرُه سبع وثلاثون سنة في عُنْفُوان شبيبته وأُعيـد بدر الدين بن فضل الله من بعده إلى كتابة السر.

وتُوُفِّيَ القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى محب الدين محمد بن يوسف ابن أحمد بن عبد الدائم [التَّيْمِىّ][1] الحلبى الأصل المصرى الشافعى ناظر الجيوش المنصورة في ليلة الخميس سادس عشر جُمادى الأولى. وسبب موته أن الملك الظاهر برقوقا غَضِب عليه بسبب إقطاع زامل أمير العرب وضربه بالدواة ثم مدّه وضربه نحـو ثلاثمـائة عصاة، فحُمِل إلى داره في مِحَفّـة ومات بعـد ثلاثة أيام أو أكثر.

وتُوُفِّيَ الأمير جمال الدين عبد الله ابن الأمير بكتمُر الحسامىّ الحاجب أحد أمراء الطبلخاناه في يوم الأربعاء خامس عشر جُمادَى الأولى بداره خارج باب النصر.

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٤٨).

وتُوفى الأمير علاء الدين على بن أحمد بن السائس الطَّيْبَرِسى أستادار خَوَنْد بركة أمّ الملك الأشرف شعبان فى سادس شوّال وكان من أعيان رؤساء الديار المصرية وله ثروة .

وتوفى العلّامة قاضى القضاة صدر الدين محمد ابن قاضى القضاة علاء الدين على ابن منصور الحنفى قاضى قضاة الديار المصرية ، وهو قاض فى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأوّل وقد أناف على ثمـانين سنة فى ولايته الثانية وتولّى القضاء عوضه قاضى القضاة شمس الدين الطرابُلُسى وتولى مشيخة الصرغتمشيّة من بعده العلّامة جلال الدين التبّانى . قال العينى ــ رحمه الله ــ كان إماما عالمـا فاضلا كاملا بَحْرًا فى فروع أبى حنيفــة مستحضِرا قويًّا ، وكان رِيِّض الخُـلُق كثير التواضع والحِلْم لَيِّنَ الجانب جميلَ المعـاشرة حسنَ المحاضرة والمذاكرة معتمدا على جانب الصدق فى أقواله وأفعاله سعيدا فى حركاته وسكناته . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى العــلّامة إمامُ عصره ووحيد دهره وأُعجُوبة زمانه أكملُ الدين محمد بن محمد[1] بن محمود الرومى البَابَرْتِى[2] الحنفى[3] شيخ خانقاة شيخون فى يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان وحضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه ومشى أمام نعشه من مصــلّاة المُؤمنى إلى أن وقف على دَفْنــه بقُبّة الشيخونيّة ، بعــد أن همّ على أن يَحْمِل نعشَه غير مرة فتحمّلَهُ أكابر الأمراء عنه . كان واحدزمانه فى المنقول والمعقول ونالته السعادة والجَاه العريض حتى إن الملك الظاهر برقوقا مع عظمته كان ينزل فى موْكبه ويقف على باب خانقاه شيخون، حتى يتهيّأ الشيخ أكمل الدين للركوب

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٤٩) : « ابن محمد » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠٤ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٢ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

ويركب ويسير مع الملك الظاهر ، وقع له ذلك معه غير مرّة وهو الذى كان سببا لقيام الملك الظاهر برقوق للقضاة ، فإنه كان يقوم له إذا دخل عليه ولا يقوم للقضاة ، لما كانت عادة الملوك من قبله فكلّمة الشيخ أكمل الدين هذا في القيام للقضاة ، حتى قام لهم وصارت عادةً إلى يومنا هذا . وبعد موته جلس الشيخ سراج الدين البُلْقِينيّ عن يمين السلطان، وقد آستوعبنا أحواله في المنهل الصافى بأطول من هذا .

وتُوُفِّى قاضى مكّة وخطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن على العُقَيْلِيّ النَّوَيرى الشافعى بمكّة في يوم الأربعاء[1] ثالث عشر شهر رجب .

وتُوُفِّى عالِمُ بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن على [بن][2] الكِرْمانِيّ البغدادى الشافعيّ شارح البُخارِى في المحرّم بطريق الحجاز وحُمِل إلى بغداد ودُفِن بها . ومولده في جُمَادى الآخرة سنة سبع عشرة[3] وسبعمائة وكان قَدِم مصر والشام . رحمه الله .

وتُوُفِّى صائم الدهر الشيخ محمد بن صديق التِّبْرِيزِيّ الصوفيّ في ليلة الأثنين خامس عشر شهر رمضان بالقاهرة، أقام [نيِّفا و][4] أربعين سنة يصوم (الدهر[5]) ويُفطِر على حِمِّص بقَلْس لايَخْلِطه إلا بالمِلْح فقط . وكان على قَدَم هائل من العبادة .

وتُوُفِّى الأمير الطواشى شِبْل الدولة كافور بن عبد الله الهندى الزُّمُرّدِى الناصرى حسن في ثامن شهر ربيع الأول وقد عُمِّر طويلا وهو صاحب التربة بالقرافة .

---

(١) في السلوك (ج ٣ ص ٤٤٩) : « في ليلة الأربعاء ... الخ » .

(٢) تكملة عن السلوك (ح ٣ ص ٤٤٩) .

(٣) رواية السلوك المصدر المتقدم : « تسع عشرة » .

(٤) التكملة عن السلوك المصدر المتقدم .

وتُوُفِّى الأمير الكبير سيف الدين طَشْتَمُر بن عبـد الله العلائىّ الدوادار . كان من أجلّ الأمراء وهو أوّل دوادار وَلِيها بتقدمة ألف، ثم وَلِىَ نيابة الشام ثم أتابك العساكر بالديار المصرية إلى أن رَكِب عليه الملك الظاهر بَرْقوق قبل سلطنته وقَبضَ عليه وحبسه مدّة وولى الأتابكيّة من بعـده ثم أخرجه إلى القـدس بطّالا، ثم ولاه نيابة صفد ثم حماة إلى أن مات . وكان ديّنا خيّرا وله مشاركة فى فنون وفيـه محبة لأهل العلم والفضل وكان يكتب الخطّ المنسوب ويُحب الأدب والشعر .

وتُوُفِّى تاج الدين موسى بن سعد الله(1) بن أبى الفرج ناظر الخاصّ وهو معزول وكان يُعرف بآبن كاتب السعدىّ وكان من أعيان الأقباط .

وتُوُفِّى تاج الدين بن وزير بيته الأسلمىّ ناظر الإسكندرية بها فى شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ثمانيـة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثمانية أصابع .

٭٭٭

السنة الرابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة سبع وثمانين وسبعمائة .

وفيها تُوُفِّى قاضى قضاة الحنفية بحلب تاج الدين أحمـد بن شمس الدين محمـد ابن محمد(2) بدمشق فى هذه السنة، وكان فقيها فاضلا محدثا أديبا شاعرا ومات عن سنّ عاليـة .

---

(1) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٤) : « ابن سعد الدين » .

(2) رواية السلوك (ج ٣ ص ٥٠٧) : « محمد بن محبوب المحدث » .

وتوفّى[(1)] القاضى جمال الدين إبراهيم ٱبن قاضى قضاة حلب ناصر الدين محمد ٱبن قاضى قضاة حلب كمال الدين عمر ٱبن قاضى قضاة حلب عز الدين [أبى البركات[(2)]] عبد العزيز ٱبن الصاحب فخر[(3)] الدين محمد ٱبن قاضى القضاة نجم الدين [أبى الحسن[(4)]] أحمد ٱبن قاضى القضاة جمال الدين [أبى الفضل[(5)]] هبة الله ٱبن قاضى قضاة حلب محب الدين محمد ٱبن قاضى قضاة حلب جمال الدين هبة الله ٱبن قاضى قضاة حلب محب الدين أبى غانم محمد ٱبن قاضى قضاة حلب جمال الدين هبة الله ٱبن للقاضى نجم الدين أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد ابن عامر بن أبى جَرَادَة بن ربيعة الحنفى المعروف بآبن العديم . مات عن نيّف وسبعين سنة .

قلت : هو من بيت علم ورياسة وقد تقدّم ذكْرُ جماعة من أقاربه ويأتى أيضا ذكْرُ جماعة منهم ، كلٌّ واحد فى محلّه ، إن شاء الله تعالى .

وتوفّى رئيس[(6)] التجّار زكىّ الدين أبو بكر بن علىّ الخرّوبىّ المصرىّ بمصر القديمة فى يوم الخميس تاسع عشر المحرّم وخلّف مالا كبيرا .

وتوفّى الأمير فخر الدين عثمان بن قارا[(7)] بن [حيّار[(8)]] بن مهنّا بن عيسى بن مهنّا أمير آل فضل بالبلاد الشامية فى شهر ربيع الأوّل وكان من أجلّ ملوك العرب .

(١) يلاحظ أن المؤلف ذكر له ترجمة ممتعة فى المنهل الصافى (ج ١ ص ٣٩ ب) وذكر فيها ألقابا كثيرة لأجداده وهى تختلف عما ورد فى السلوك للقريزى .
(٢) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٧) .
(٣) رواية السلوك المصدر المتقدم : (ابن الصاحب محيى الدين أبى عبد الله محمد) .
(٤) تكملة عن السلوك المصدر المتقدم . (٥) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .
(٦) انظر ترجمته فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٤٨٤ ب) .
(٧) فى الأصلين : (قازان) وما أثبتناه عن المنهل الصافى (ج ٢ ص ٣٧٢ (ب)) .
(٨) التكملة عن الدرر الكامنة (ج ٢ ص ٤٤٧) .

وتُوُفّى الأمير سيف الدين قَرَا بلاط بن عبد الله الأحمدى اليلبغاوىّ نائب الإسكندرية بها فى [نصف][1] شهر ربيع الآخر. وكان من أكابر مماليك الأتابك يلبُغَا العُمَرى الخاصّكى .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العالم نجم الدين أحمد بن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين ابن عبد المحسن الراسوفىّ الدمشقى الشافعىّ المعروف بابن الجبّال فى جُمَادى الآخرة، — بعد عوده من مصر — بدمشق . وكان فقيها عالما متبحّرا فى مذهبه، انتهت إليه رياسة مذهب الشافعىّ بدمشق فى زمانه وتصدّى للإفتاء والتدريس والإشغال سنين عديدة .

وتُوُفّى السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد بن النقيب جمال الدين أحمد ابن النقيب شمس الدين محمد بن أحمد الحرّانى الحلبى الحنفى عن سبع وأربعين سنة ولم يَلِ نقابة الأشراف .

وتُوُفّى الشيخ الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الهادى بن أحمد المعروف بالشاطر الدمنهورىّ الشاعر المشهور بعقبة[2] أيلا متوجّها إلى الحجاز الشريف، فى العشر الأول من ذى القعدة . ومولده فى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة . وكان أديبا بارعا فاضلا، بارعا فى فنون لا سيّما : فى المترجم ونظم القَرِيض . ومن شعره فى مِرْوَحة : [الطويل]

ومخطوبةٍ فى الحرّ من كل هاجرٍ * ومهجورة فى البرد من كلّ خاطبِ
إذا ما الهوى المقصورُ هيّج عاشقًا * أتت بالهوى الممدودِ من كل جانبِ

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٨) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

وتُوفّى الأمير سيف الدين [أحمد](١) آقبُغا بن عبد الله الدَّوَادَار فى شهر ربيع الآخر؛ وكان من المماليك اليلبُغاويّة من حزب خشداشية الملك الظاهر برقوق .

وتُوفى الرئيس شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن سَبْع العَبْسِيّ مستوفِي ديوان الأحباس فى ثامن [عشر](٢) شعبان وكان معدودا من أعيان الديار المصرية .

وتُوفّى قاضى القضاة زَيْن الدين عبد الرحمن بن رُشْد المالكيّ ، قاضى قضاة حلب بها . وكان معدودا من فقهاء المالكية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

⁂

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

فيها تُوفّى القاضى بدر الدين أحمد بن شرف الدين محمد آبن الوزير الصاحب فخر الدين محمد آبن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف بآبن حِنّاء فى يوم الجمعة تاسع عشرين جُمادَى الآخرة بمدينة(٣) مصر عن نيف وسبعين سنة. وكان فقيها عالما مُفَنّنًا أديبا معدودا من فقهاء الشافعية . ومن شعره : [الكامل]

هُنِّئتَ ياعودَ الأراكِ بثغره * إذْ أنت للأوطان غيرُ مفارقِ
إن كنتَ فارقتَ العقيقَ وبارقًا * ها أنت ما بين العُذَيْبِ وبارقِ

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٥٨).
(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدّم .
(٣) يريد بمدينة مصر : الفسطاط (مصر القديمة) .

قلت : وأحسن من هذا قول آبن دِمرداش الدّمشقىّ فى المعنى: [الطويل]

أقول لِمسْواكِ الحبيب لك الهنا * بلثم فمٍ ما ناله ثغرُ عاشقِ

فقال وفى أحشائه حُرَق الجوَى * مقالةَ صَبٍّ للديار مُفَارِقِ

تذكّرتُ أوطانى فقلبى كما ترى * أُعَلّلُه بين العُذَيْب وبارقِ

٥ ولآبن قُرْناص فى هذا المعنى وهو أيضا فى غاية الحسن : [الطويل]

سألتُك يا عود الأراكِ بأن تَعُدْ * إلى ثَغرِ من أهوى فقبِّلْه مُشفقا

ورِد من ثَنِيّاتِ العُذَيْبِ مُنَهِّلًا * تسلسلَ ما بين الأُبَيْرِقِ والنَّقَا

وتُوُفِّى السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عَجْلان بن رُمَيْثَة ، واسم رُمَيْثَة مُنْجِد [آبن أبى نُمَىّ(١) سعد] الحسنىّ المكىّ أمير مكّة فى حادى عشرين(٢) شعبان

١٠ عن نَيِّف وستين سنة بمكة ودُفِن بالمَعْلاة . وكان حسن السِّيرة مشكور الطريقة . وولى إمرة مكة بعده آبنه محمد بن أحمد بأمر عمّه كُبَيْش بن عَجْلان .

وتُوُفِّى الشيخ عماد الدين إسماعيل أحدُ الأفراد فى الخطّ المنسوب المعروف بابن الزُّمُكْحُل، كان رئيسا فى كتابة المنسوب، كان يكتب سورة الإخلاص على حَبة أرز كتابة بَيِّنَةً تُقرأ بتمامها وكمالها لا يَنْطَمِسُ منها حرف واحد — وكان له بدائعُ

١٥ فى فنّ الكتابة وكتَبَ عِدّة مصاحف إلى أن مات (والزُّمُكْحُل بزاى مضمومة وميم مضمومة أيضا وكاف ساكنة وحاء مضمومة مهملة و بعدها لام ساكنة) .

وتُوفّى الأمير سيف الدين جُلْبان بن عبد الله الحاجب أحد أمراء الطبلخانات فى شهر رمضان . وكان عاقلا ساكنًا مشكورَ السيرة .

(١) التكملة عن المنهل الصافى : (ج ١ ص ٩٣ (أ) .

٢٠ (٢) رواية المنهل الصافى المصدر المتقدّم (مات فى ليلة السبت العشرين من شعبان) .

وتُوفى الأمير غَرْسَ الدين خليل بن قراجا بن دُلْغَادِر أمير التُّركمان البروقية[1] وصاحب أُبلُستَين[2] قتيلًا فى الحروب مع الأمير صارم الدين إبراهيم بن همر التُّركمانى، قريبا من مدينة مَرْعش[3] عن نيِّف وستين سنة .

وتُوفى الأمير سُودن العلائىّ نائب حماة قتيلا فى محاربة التُّركمان أيضا . وكان ممن أنْشَأَه الملك الظاهر برقوق وأظنّه من خشداشيته .

وتُوفِّى الشريف بدر الدين محمـد بن عُطَيْفة بن منصور بن جَمّاز بن شِيحة أمير المدينة النبويّة — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام —

وتوفى الشيخ الزاهد العابد الصالح شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القِرَمِىّ الحنفىّ بالقدس الشريف فى صفر . ومولده فى ذى الحجّة سنة ستة وعشرين وسبعمائة . وكان كثير العبادة والتِّلاوة للقرآن حتى قيل : إنه قرأ فى اليوم والليلة ثمانى خَتَمات .

قلت : هذا شىء من وراء العقل فسبحان المانح .

وتُوفِّى الشيخ[4] الإمام العابد الصالح الورع شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن إلياس القُونَوِىّ الحنفىّ بدمشق عن نيِّف وسبعين سنة . وكان إماما عالما زاهدا شديدًا فى الله . وقَدِم القاهرة غيرَ مرّة وتصدّى للإقراء والتصنيف سنين عديدة وانتفع الناس به . ومن مصنّفاته المفيدة « شرح تلخيص المفتاح » و « كتاب درر البحار » ونَظَم فيه فقه الأربعة و « شرح مجمع البحرين » فى الفقة

(١) فى بعض النسخ : « البروقية » بالباء الموحدة .
(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٣) راجع الحاشية رقم ٧ ص ١٥٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
(٤) عقد له المؤلف ترجمة مطوّلة فى المنهل الصافى (ج ٣ ص ٣٢٩ (ب)) كلها محاسن وغرر .

فى عشر مجلّدات، وشرح آخر فى ستة أجزاء، وله : «رسالة فى الحـديث» وغير ذلك . رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى شيخ أهـل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شعبان وكان إماما فى وقته .

وتُوُفِّى أيضا قرينه فى عِلْم الميقات شمس الدين محمـد بن الغزولىّ فى رابع شهر رجب . وكان أيضا من علماء هذا الشأن .

وتُوُفِّى ملك الغرب صاحب مدينة فاس وما وَالَاها السلطان موسى آبن السلطان أبى عِنان فارس بن أبى الحسن المَرِينىّ فى جُمَادى الآخرة . وأُقِيم بعـده المستنصر محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع بن أبى سالم فلم يتم أمرُه وخُلع بعد قليل . وأُقيم الواثق محمد بن أبى الفضل آبن السلطان أبى الحسن ، كلّ ذلك بتدبير الوزير آبن[(1)] مسعود وهو يوم ذاك صاحب أمر فاس .

وتُوفّى القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الزَّرْكَشى أمين الحُكم بجْأةً بالقاهرة فى ليلة الجمعه تاسع عشر شهر ربيع الأوّل وآتُّهِم أنّه سَمَّ نفسَه، حتى مات لمـالٍ بَقِى عليه، فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة .

وتُوُفّى الأمير أحمد آبن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى جُمادَى الآخرة بمجلسه فى قلعة الجبل بالحوش السلطانىّ .

وتُوُفِّى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبـد الله محمد بن التّقىّ الحنبـلىّ قاضى قضاة الحنابلة بدمشق بها[(2)] فى هذه السنة .

---

(١) فى ف : «من يدى ... الخ» وفى م : «كل ذلك بين يدى الوزير مسعود . وما أثبتناه عن السلوك (ج ٣ ص ٤٧٥) وهو الأصح .

(٢) كلمة «بها» مقحمة .

وتُوُفّى الأمير شرف الدين موسى المعروف بآبن الفافا أُستدار الأمير أيتمش البجاسىّ فى تاسع شوال . وكانت لديه فضيلة وله ثروة عظيمة وحَشم . وكان من رءوس الظاهرية مذهبا وأثنى عليه الشيخ تقىّ الدين المقريزى . رحمه الله .

وتُوفّى السيد الشريف هيازع بن هبة الله الحسنىّ المدنىّ أمير المدينة النبويّة مات وهو فى السجن بثَغر الإسكندريّة فى شهر ربيع الأوّل . ٥

وتُوفّى الشيخ شرف الدين صدقة ويُدْعَى محمد بن عمر بن محمد بن محمد العادلىّ شيخ الفقراء القادريّة بالفيوم فى جُمادى الآخرة . وكان ديّنا صالحا أحرم مرّة من القاهرة .

وتُوفّى علم الدين يحيى القِبْطى الأسلمى ناظر الدولة المعروف بكاتب ابن الدينارى فى شهر ربيع الآخر . ١٠

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع سواء . مبلغ الزيادة عشرون ذراعا ، وقيل : تسعة عشرة ذراعا وسبعة عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر وهى سنة تسع وثمانين وسبعمائة . ١٥

وفيها تُوفّى الأمير سيف الدين طَيْنال بن عبد الله الماردينىّ الناصرىّ . كان أصله من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون وصار فى أيام الملك الناصر حسن أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية . ثم نفاه الناصر حسن إلى الشام ، فأقام بها إلى أن طَلَبه الملك الأشرف شعبان وأعاده إلى تقدمة ألف بديار مصر مدّة . ثم آنتزعه منه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وجعله نائب قلعة الجبل فدام على ذلك مدّة سنين . ٢٠

ثمّ عزله وأخذ الطبلخاناه منه وأنعم عليــه بإمرة عشرة وتُرِك طَرْخانا إلى أن مات فى شهر رمضان وقد عُمِّر .

وتوفّى الأمير تاج الدين إسماعيــل بن مازن الهوّارِىّ أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد فى هذه السنة وترَك أموالا جمّة .

وتوفى الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكاتب أُرْنان . كان أصله من نصارى مصر وأسلم وخدم فى ديوان الملك الظاهر برقوق فى أيام إمرته ، بعد أن باشر عنــد جماعة كبيرة من الأمراء . ولمّـا تسلطن ولّاه الوزارة على كره منــه وأحوال الدولة غير مستقيمة ، فلما وُزِّر نفّذ الأمور ومشّى الأحوال مع وفور الحرمة ونفوذ الكلمة والتقلّل فى الملبس بحيث إنه كان مثل أوساط الكُتّاب ودخل الوزارة وليس للدولة حاصل من عين ولا غلّة وقــد ٱستأجر الأمراء النواحى بأجرة قليلة ، وكفّ أيدى الأمراء عن النواحى وضبط المتحصّل وجدّد مطابخ السكّر ومات والحاصل فيــه ألف ألف درهم فضة وثلاثمــائة وستون ألف إردبّ غلّة وســتة وثلاثون ألف رأس من الغنم ومائة ألف طائر من الإوز والدّجاج وألف قنطار من الزيت وأربعمائة قنطار ماء ورد ، قيمة ذلك كلّه يوم ذاك خمسمائة ألف دينار ، هذا بعد قيامه بكُلَف الديوان تلك الأيام أحسن قيام .

وتُوفّى الحافظ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مُفلح الياسوفىّ[1] الطوسىّ الحنفىّ الشافعىّ بقلعة دِمَشق قتيلا بها ، بعد أن ٱعتُقل بها مدّة فى محنة رُمِى بها . وكان من الفضلاء العلماء عارفا بالفقه إماماً فى الحديث والتفسير عفيفا عن أمور الدنيا .

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٣) : « الباسوفى » .

وتوفى الأمير سيف الدين طَقْتَمُش بن عبد الله الحسنيّ[1] اليلبُغاويّ أحد أمراء الطبلخاناه في سابع شهر رجب[2] . كان من أعيان مماليك الأتابك يلبغا العمريّ وممن قام مع الملك الظاهر برقوق .

وتُوفّى الشيخ الزاهد الوَرِع أمين الدين محمد بن محمد بن محمد الخُوَارَزْمِيّ النسفى اليلبُغاوى[3] الحنفيّ المعروف بالخلواتيّ[4] في سابع عشرين شعبان ، خارج القاهرة . وكان ممن جمع بين العلم والعمل .

وتُوُفّى الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد القِرَمى الحنفيّ قاضى العسكر بالديار المصريّة في سابع عشرين شهر ربيع الآخر . وكان فاضلا بارعا في فنون من العلوم وكان خصيصا عند السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين .

وتوفى قاضى قضاة المالكيّة بحلب زين الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الجعيد الشهير بآبن رُشْد المالكيّ المغربيّ السِّجِلْمَاسيّ ، كان من فضلاء السادة المالكية وله مشاركة في سائر العلوم وأفتى ودرّس وتولّى قضاء حلب وحسُنت سيرتُه .

وتوفى التاجر نور الدين على بن عِنان في شوّال وكان من أعيان تجّار الكارم بمصر وخلّف مالا كبيرا .

وتوفّى القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعيّ في شعبان وكان فاضلا عالما محدّثا، حدّث عن وَزِيرَة والحجّار .

---

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٣) : « الحسنى » .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٣) : « مات في تاسع عشرين رجب » .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٤) : « البلغارى » .

(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٨٤) : « الخلوتى » .

وتُوُفِّى الخطيبُ البليغ ناصر الدين محمــد بن على بن محمد [بن محمد](١) بن هاشم ابن عبد الواحد بن عشائر الحلبى الشافعىّ بالقاهرة فى ليلة الأربعاء سادس عشرين شهر ربيع الآخر . وكان فقيها عالمـا عارفا بالفقه والحديث والنحو والشعر وغيره . وولى هو وأبوه خِطابة جامع حلب وقَدِم إلى القاهرة فلم تطُل مدّته حتى مات .

وتُوفى القاضى فتح الدين محمــد ابن قاضى القضاة بهــاء الدين [عبد الله بن](٢) عبد الرحمن بنَ عقِيل الشافعىّ مُوَقِّع الدَّرْج بالديار المصرية فى حادى عشرين صفر وكان معدودا من فضلاء الشافعية .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع وأربعة أصابع . مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وخمسة عشرا إصبعا .

***

السنة السابعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الأولى على مصر

وهى سنة تسعين وسبعمائة .

وفيها تُوفى قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن(٣) بن محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جَمَاعة الكنانى الشافعى قاضى قضاة مصر ثم دمشق بها وهو على قضائها فى ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان . ومولده فى ســنة خمس وعشرين وسبعمائة . وسمع الكثير بمصر والشام وبرع فى الفقه والعربية وولى خطابة المسجد الأقصى . ثم ولى القضاء بديار مصر ثم بالشام .

---

(١) تكملة عن السلوك (ج ٣ ص ٤٨٤) .

(٢) تكملة عن السلوك المصدر المتقدم .

(٣) فى السلوك (ج ٤ ص ٤٩٦) : « ابن عبد الرحيم » .

قلت : وهو خلاف قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة وهو جدّ عبد الرحمن والد صاحب الترجمة .

وتوفّى الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأميوطى[(1)] الشافعى بمكة المشرفة فى ثانى شهر رجب بعد أن عُمّر وأسمع صحيح مسلم وغيره . وكان فقيها بارعا أفتى ودرّس وأشغل سنين .

وتوفّى الشيخ المُعتَقد إسماعيل بن يوسف الإنبابى بزاويته بناحية منبابة[(2)] فى سلخ شعبان . وكان شيخا معتقدا وله كرامات . وللناس فيه اعتقاد وظنون حسنة . ترجمه الشيخ تقىّ الدين المقريزى وقد رآه وحضر عنده وذكر عن الوقت الذى كان يعمله بزاويته (— أعنى المولد — قبائح كان الإضراب عن ذكرها أليق) وإن كان هو كما قال : مما يقع به من الفساد من المنفرجين والمترددين، غير أن السكات فى مثل هذا أحسن، كونه رجلا منسوبا إلى الصلاح ومن ذريّة الصالحين، على أننى أيضا أُنكِر هذا الوقت الذى يُعمل بالزاوية المذكورة إلى الآن وإبطالُه من أعظم معروف يُعمل، لِمَا ترتكب العامّةُ فيه من الفسق وصار عندهم هذا الوقت من جملة التُّره ويتواعدون عليه من قبل عمله بأيام ويتوجّهون إليه أفواجا . ومنهم من له سنين على ذلك وهو لا يعرف باب الزاوية ، غيرَ أنه صار ذلك عنده عادة، يتّزه بها هو ومن يُريد هو وأمثاله ممّن لا خلاق لهم، فلا قوّة إلا بالله ما شاء الله كان .

(١) فى السلوك (ج ٤ ص ٤٩٦) : « محمد بن عبد الرحيم الأسيوطى » .

(٢) هذه الزاوية هى اليوم مسجد جامع بكفر الشيخ إسماعيل (الإمبابى) أحد أقسام بلدة امبابة قاعدة مركز إمبابة بمديرية الجيزة بمصر وهو جامع عامر بالشعائر الدينية . وأما منبابة وهى إمبابة فسبق التعليق عليها فى الاستدراك المدرج فى صفحة ٣٨٠ بالجزء السادس من هذه الطبعة وفى الحاشية رقم ٢ ص ١٢٧ بالجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتُوفِّى الأمير سيف الدين بهادُر بن عبد الله المَنْجَكِىّ الأستادار وأحد أمراء الألوف بالديار المصرية فى أوّل جُمادى الآخرة . وأصله من مماليك الأمير منجك اليوسُفِى الناصرىّ . وكان الملك الظاهر برقوق لمّـا صار بخدمة منجك المذكور بقى بينهما أَنَسَةٌ وصحبة ، فلمّا تسلطن برقوق عرف له ذلك ورقّاه حتى ولاه الأستدارية العالية إلى أن مات وتولّى محمود بن على الاستدارية بعده . وكان بهادُر عنده معرفة وعقل وسياسة وتدبير ، ومات ولم ينتكب كونه كان فيــه إحسان للفقراء والصلحاء والغر باء وكان له صدقات كثيرة وبِرٌّ وافر . وكان أصله روميًّا وقيل إفرنجيا وأخذه الأمير منجك .

قلت : وهو أعظم أستدار ولى الأستدارية فى دولة الملك الظاهر برقوق إلى يومنا هذا وأوفرهم حرمة وأوقرهم فى الدول . ـــ رحمه الله ـــ .

وتُوفّى الوزير الصاحب علم الدين بن القسّيس الأسلمى القبطىّ المعروف بكاتب سيدى فى آخر ذى الحجة ، بعد أن باشر عِدّة وظائف أعظمهم الوَزَر .

وتُوفّى الرئيس أمين الدين عبد الله بن المجد فضــل الله بن أمين الدين عبد الله أبن ريشة القِبْطى الأسلمىّ ناظر الدولة فى ليلة الأربعاء سادس جُمادَى الأولى . وكان معدودا من أعيان الأقباط بالديار المصرية .

وتُوفّى الأمير سيف الدين سـيرج بن عبد الله الكمشبُغاوىّ نائب قلعة الجبل ، فى تاسع عشرين شهر ربيع الآخر وكان من جملة أمراء الطبلخانات وكان وَقُورا وله وجاهة .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة علاء الدين أحمد بن محمــد المعروف بالعلاء السِّيرامِىّ العجمىّ الحنفىّ شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية البرقوقية فى ثالث جُمادَى

الأولى وكان إماما عالما مقدّما مفتنًّا أعجوبة زمانه فى الفقه وفروعه وعِلمَى المعانى والبيان والأصول. وكان أدرك المشايخ وأخذ عنهم العلوم العقلية والنقلية وبَرَع ودرّس وأفتى فى بلاد العجم بمدينة هَرَاة وخُوَارَزْم وسَرَاى وقِرَم وتِبْرِيز، حتى شاع ذكره وبَعُد صيتُه ولمّا بنى الملك الظاهر مدرسته بين القصرين أرسل يطلبه على البريد حتى قَدِم فولّاه شيخ شيوخ مدرسته فدام بها إلى أن أدركته المنية ودُفِن بتربة[1] الملك الظاهر برقوق بالصحراء . وهو أحد من أوصى الملك الظاهر أن يُدْفَن تحت رجليه ويُبْنى عليه مدرسة ففعل ذلك وكان دَيِّنًا خيِّرًا عابدا صالحا . ولمّا مات طلب السلطان الشيخ سيف الدين السِّيرامى من حلب وولّاه عوضه شيخ الظاهرية وهو والد الشيخ نظام الدين يحيى وجدّ الشيخ عَضُد الدين عبدالرحمن شيخ الظاهرية المذكورة الآن .

وتُوُفّى القاضى تقىّ الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس المالكى أحد أعيان موقِّعى الدست بالديار المصرية فى سابع عشر شعبان. وكان كاتبا فاضلا عُيِّن لكتابة السرّ بديار مصر غير مرّة .

وتُوفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج[2] والى الفيّوم فى هذه السنة. كان أبوه من أمراء الألوف بالديار المصرية وكذلك جَدُّه وكان هو من جملة أمراء الطبلخانات . رحمه الله تعالى .

وتُوفّى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قطلوبُغَا المحمدى المعروف بقشقلندق أحد أمراء العشرات فى ثانى جمادى الآخرة وكان له وجاهة وعنده فروسية .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وافيا لهذه التربة .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٤٩٧) : « ابن مفلح » .

وتُوفّى القـاضى عز الدين أبو ايمن محمـد بن عبد اللطيف بن الكويك الرّبعى الشافعى فى ثالث[1] عشر جمادى الأولى عن خمس وستين سنة وكان له سماع ورواية ولديه فضيلة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستة أذرع وثمانية أصابع . مبلغ الزيادة تسـعة عشر ذرعا وأربعة أصابع . وكانـ الوفاء سابع عشر مسرى أحد شهور القبط .

(١) فى السلوك (ج ٣ ص ٤٩٨) : « فى ثانى عشر... الخ » .

ذكر سلطنة الملك المنصور حاجى الثانية على مصر

السلطان الملك الصالح ثم المنصور حاجى ابن السلطان الملك الأشرف شعبان ابن الأمير الملك الأمجد حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد ابن السلطان الملك المنصور قلاوون .

وقد تقدّم ذكرُ نسبه أيضا فى سلطنته الأولى .

وكان سبب عوده للملك أنه لمّا وقع ما حكيناه من خروج الأمير يلبغا الناصرى وتمربغا الأفضلى المدعو منطاش بمن معهما على الملك الظاهر برقوق ووقع ما حكيناه من الحروب بينهم إلى أن ضَعُف أمر الملك الظاهر واختفى وترك ملك مصر واستولى الأمير الكبير يلبغا الناصرى على قلعة الجبل وكلّمه أصحابه على أنه يتسلطن فلم يفعل وأشار بعود الملك الصالح هذا وقال : إن الملك الظاهر برقوقا خلعه بغير سبب وطلب أكابر الأمراء من أصحابه مثل الأمير منطاش المقدم ذكره والأمير بُزْلا العُمَرى الناصرى والأمير قرادمرداش الأحمدى وغيرهم ، وكلّمهم فى عوْد الملك الصالح الى السلطنة ثانيا فأجاب الجميع وطلعوا من الإسطبل[1] السلطانى إلى الحوش من قلعة الجبل وجلس الأتابك يلبغا الناصرى به وطلب الملك الصالح هذا من عند أهله وقد حضر الخليفة والقضاة وبايعوه بالسلطنة وألبسوه خِلْعتها وركب من الحوش بأبّهة المُلك وشعار السلطنة إلى الإيوان[2] بقلعة الجبل والأمراء المذكورون مشاة بين يديه وأجلسوه على تخت الملك وغيّروا لقبه بالملك المنصور ولم نعلم بسلطان تغيّر لقبه قبله ولا بعده ، فإنّه كان لقبه أولا الصالح وصار الآن فى سلطنته

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

الثانية المنصور وقلده الخليفة أمور الرعيــة على العادة وقبّــل الأمراء الأرض بين يديه ودقّت النواقيس والكوسات ونودى باسمه بالقاهرة ومصر وبالأمان والدعاء للملك المنصور ثم للأتابك يلبغا وتهديد من نهب فاطمأنت الناس .

ثم قام الملك المنصور إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه وآستقرّ الأمير الكبير يلبغا النـاصرى أتابك العساكر الديار المصرية ومدبّر المملكة وصاحب حلّها وعقْدها، ففى الحال أمر الناصرى الأمير أَلْطُنْبغا الأشرفى والأمير أرسلان اللفاف وقراكسك والأمير أَرْدُبُغا العثمانى أن يسكنوا عند السلطان الملك المنصور بالقصر، وأن يمنعوا من يدخل عليه من التركمان وغيرهم . ونزل الأتابك يلبغا الناصرى إلى الإسـطبل السلطانى حيث هو سكنه وخلع على الأمير حسام الدين حسين بن على ابن الكُورانى بولاية القاهرة على عادته أولا فسرّ الناس بولايته . وتعيّن الصاحب كريم الدين بن عبد الكريم بن عبد الرزّاق بن إبراهيم بن مكانس مُشير الدولة وأخوه فخـر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته وأخوهما زين الدين لنظر الجهات، وأعاد جميع المكوس التى أبطلها الملك الظاهر برقوق .

ثم نُودى بالأمان للماليك الجراكسة وأن جميـع المماليك والأجناد على حالهم وأن الأمير الكبير لا يُغيِّر على أحد منهم شيئا مما كان فيه ولا يُخْرِج عنه إقطاعه .

ثم فى يوم الأربعاء سادس الشهر قدم الأمير أَلْطُنْبغا الجوبانى نائب الشام كان والأمير الطنبغا المعلم أمير سـلاح كان والأمير قردم الحسنى رأس نَوْبة النُّوب كان من سجن الإسكندرية وطلعوا إلى السلطان وترحّب بهم الأمير الكبير يلبغا الناصرى .

ثم نُودى ثانيا بالقاهرة بأن مَنْ ظهر من المماليك الظاهرية فهو على حاله باقٍ على إقطاعه ومن آختفى منهم بعد النداء حَل مالُه ودمُه للسلطان .

ثم رسم الأمير الكبير للأمير سودون الفخرى الشيخونى نائب السلطان للديار المصرية بلزوم بيته ، وأما محمد الأستادار فإنه توجه إلى كريم الدين بن مكانس وترامى عليه فتكلم ابن مكانس فى أمره مع الأمير الكبير وأصلح شأنه معه على مال يحمله للأمير الكبير يلبغا الناصرى وجمع بينهما فآمنه الناصرى ونزل الى داره .

ثم فى ثامن جمادى الآخرة المذكورة اجتمع الأمراء فى الخدمة السلطانية على العادة ، فأُغْلِق بابُ القلعة وقُبض على تسعة من الأمراء المقدّمين وهم : الأمير سودون الفخرى الشيخونى النائب المقدم ذكره وسُودُون باق وسُودون طُرُنْطاى وشيخ الصفوى وقجماس الصالحى ابن عم الملك الظاهر برقوق وأبو بكر بن سنقر وآقبغا المارديني حاجب الحجاب وبجاس النَّوروزى ومحمود بن على الأستدار المقدم ذكره أيضا وقُبض أيضا على جماعة من أمراء الطبلخانات وهم : عبد الرحمن بن منكلى بُغا الشمسى وبُورى الأحمدى وتمربغا المنجكى ومنكلى الشمسى الطرخانى ومحمد بن جُمَق بن أيتمش البجاسى وجرجى وقرمان المنجكى وحسن خجا وبيبرس التمان تمرى وأحمد الأرغونى وأسنبغا الأرغونى وشادى وقنق باى اللّالَا السيفى أَلجاى وجرباش الشيخى الظاهرى وبغداد الأحمدى ويونس الرّماح وبَرَشْبُغا الخليلى وبُطّا الطُّولُوتَمُرى الظاهرى ونُوص المحمدى وتَنكِز العثمانى وأرسلان اللّفّاف وتَنكِز بغا السيفى وألطنبغا شادى وآقبغا اللاجينى وبلاط المنجكى وبَجْمان المحمدى وألطُنبُغا العثمانى وعلىّ بن آقتمر من عبد الغنى وإبراهيم بن طشتمر الدوادار وخليل بن تنكز بغا ومحمد بن الدوادارى وحُسام الدين حسين بن على الكورانى والى القاهرة وبلبل الرومى الطويل والطواشى صواب السعدى المعروف بشَنْكل مقدّم المماليك والطواشى مقبل الزمام الرومى الدوادارى .

ثم قُبض على نيّف وثلاثين أمير عشرة وهم: أزدمر الجركانى وقُـارِى الجمالى وجُلْبان أخو مامق وقَرَطاى السيفى ألجاى اليوسفى وآقبغـا بو رى الشيخونى وصـلاح الدين محمد بن تنْكز بغا وعبـدوق العلائى وطُولُو بُغا الأحمـدى ومحمد بن أرْغُون شاه الأحمدى و إبْراهيم ابن الشيخ على بن قرا وغريب بن حاجى وأسَنْبُغا السيفى

٥ وأحمد بن حاجّبك بن شادى وآقبغا الجمالى الميـدانى الظاهرى وأميرزه بن مَلِك الكَرَج وجُلْبان الكَشْبُغَاوى الظاهرى قَرَاسُقل وموسى بن أبى بكر بن رَسْلان أمير طَبَر وقُنُـق باى الأحمـدى وأمير حاج بن أيتمش وكَشْبُغا اليوسفى ومحمد بن آقتمر الصاحبى الحنبلى النائب وآقبغا الناصرى حطب ومحمد بن سُنْقر المحمدى وبهادر الفخرى ومحمد بن طُغاى تمر النظامى ويُونُس العثمانى وعمر بن يعقوب شاه وعلى بن

١٠ بلاط الكبير ومحمد بن أحمد بن أرغون النائب ومحمـد بن بكتمر الشمسى وألْجيبغا الدوادر ومحمـد بن يُونُس الدوادار وخليل بن قرطاى شاد العمائر ومحمـد بن قرطاى نقيب الجيش وقطلوبك أميرجاندار وعلى جماعة كبيرة من المماليك الظاهرية .

ثم شَفَعَ فيه جمـاعةٌ من الأمراء فأفْرِج عنهم : منهم صواب مقـدّم المماليك المعروف بشنكل، والطواشى مقبل الدواداری الزِّمام، وحسين بن الكورانى الوالى

١٥ و جماعة أخر، وأخرج بجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق على البريد إلى طرابلُس.

وفيـه نودى بالقاهرة ومصر : مَنْ أحضَر السلطان الملك الظاهر برقوق إلى الأمير الكبير يلبغا الناصرى ، إن كان عامّيًا خُلِـع عليـه وأُعطِى ألف دينار، وإن كان جنديًّا أُعطِى إمرة عشرة بالديار المصرية ، وإن كان أمير عشرة أُعطِى طبلخاناه ، وإن كان طبلخاناه أُعْطِى تقدمة ألف . ومن أخفاه بعـد ذلك شُنِق

٢٠ وحُلّ مالُه ودَمُه للسلطان .

ثم فى ليلة الجمعة حُمِلوا الأمراء المسجونون بقلعة الجبل إلى ثغر الإسكندريه ما خلا الأمير محمود الأستدار وبَقيت المماليك الظاهرية فى الأبراج متفرقةً بقلعة الجبل ، ثم أُطلق الأمير آقبغا الماردينى حاجب الحجّاب، وأخرِج من الحَـرّاقة[1] لشفاعة صهره الأمير أحمد بن يلبُغا العمرى أمير مجلس فيه فردّ معه أرسلان اللفّاف ومحمد بن تنكز شَفَعَ فيهما أيضا بعضُ الأمراء .

وفيه أيضا نُودِى على الملك الظاهر برقوق وهُدِّد مَنْ أخفاه فكثُر الدعاء من العامة للملك الظاهر برقوق وكثُر الأسف على فقده ، وثَقُلت أصحاب الناصرى على الناس ونَفَروا منهم، فصارت العامّة تقول :

راح برقوق وغِزلانه، وجاء الناصرى وتيرانه .

ثم قَبض الناصرى على الطواشى بهادُر الشهابى مِقدّم المماليك، كان الذى كان الملك الظاهر عزله من التقدمة ونفاه إلى طرابُلس ، فحضر مع الناصرى من جملة أصحابه، فاتُّهم أنه أخفى الملك الظاهر برقوقا، فنُفِى إلى المرقب[2] وخُتِم على حواصله ونفى معه أسنبغا المجنون .

وفى ثانى عشره سُجِن محمود الأستدار وهو مقيَّدٌ بالزردخاناه .

وفيه أَلزم الأميرُ الكبيرُ يلبُغا الناصرى حسين بن الكُورانى الوالى بطلب الملك الظاهر برقوق وخشّن عليه فى الكلام بسببه ، فنزل ٱبن الكورانى من وقته وكرر النداء عليه بالقاهرة ومصر وهَدّد من أخفاه بأنواع العذاب والنّكال .

هذا وقد كثُر فساد التركمان أصحاب الناصرى بالقاهرة، وأخذوا النساء من الطرقات ومن الحمامات، ولم يتجاسر أحد على منعهم .

---

(١) الحرّاقة : ضرب من السفن . فيها مرامى نيران يرمى بها العدو فى البحر .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفيه قلع العسكرُ السلاح من عليهم ومن على خيولهم ، وكانوا منذ دخولهم وهم بالسلاح إلى هذا اليوم .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة غُمِز على الملك الظاهر برقوق من بيت أبي يزيد، وأمْرُه : أنه لمّا نزل بالإسطبل بالليل سار على قدميه حتى وصل إلى بيت أبي يزيد أحدِ أمراء العشرات واختفى بداره ولم يُعرف له خبر ، وكثر الفحص عليه من قِبَل الناصرى وغيره وهُجِم في مدّة اختفائه على بيوت كثيرة فلم يقف له أحد على خبر وتكرّر النداء عليه والتهديد على من أخفاه ، فخاف الملك الظاهر من أن يُدَلّ عليه فيُؤخذ غصبا باليد فلا يُبقَى عليه ، فأرسل أعلم الأمير ألْطُنْبغا الجوباني بمكانه فتوجّه إليه الجوباني واجتمع به وأخذه وطلع به إلى الناصرى على ما سنذكره .

وقيل غير ذلك، وهو أنه لما نزل الملك من الإسطبل السلطاني ومعه أبو يزيد المذكور لا غيرُ، تبعه نُعمانُ مِهْتار الطشتخاناه إلى الرُّمَيْلة ، فردّه الملك الظاهر ، ومضى هو وأبو يزيد حتى قرُبا من دار أبي يزيد ، فتوجّه أبو يزيد قبله ، وأخلى له دارا ، ثم عاد إليه وأخفاه فيها .

ثم أخذ الناصرىّ يتتبع أثر الملك الظاهر برقوق حتى سأل المهتار نعمانَ عنه ، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد ، وأنه لمّا تبعه ردّه الملك الظاهر ، فعند ذلك أمر الناصرى حسين بن الكورانيّ بإحضار أبي يزيد المذكور ، فشدّد في طلبه ، وهجم بيوتا كثيرة ، فلم يقف له على خبر ، فقبَض على جماعة من أصحاب أبي يزيد وغلمانه وقرّرهم فلم يجد عندهم علما[1] به ، وما زال يفحص على ذلك حتى دلّه بعضُ الناس على مملوك أبي يزيد ، فقبَض عليه ، وقبض ابن الكوراني على امرأة المملوك وعاقبها

---

(١) في ف : « خبرا به » .

فدلّته على موضع أبى يزيد وعلى الملك الظاهر، وأنهما فى بيت رجل خيّاط بجوار بيت أبى يزيد ، فمضى آبن الكُورانيّ إلى البيت ، وبعث إلى النـاصريّ يُعلِمه ، فأرسل إليه الأمراء .

وقيـل غيرُ ذلك وجه آخر ، وهـو أن السلطان الملك الظاهر لمّا نزل من الإسطبل كان ذلك وقت نصف الليل من ليـلة الآثنين المقدّم ذكرُها ، فسار إلى بحر النيل، وعدّى إلى برّ الجيزة ونزل عند الأهرام، وأقام هناك ثلاثة أيام، ثمّ عاد إلى بيت أبى يزيد المذكور، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة، فحضر مملوك أبى يزيد إلى الناصرى وأعلمه أن الملك الظاهر فى بيت أستاذه، فأحضر الناصريّ فى الحال أبا يزيد ، وسأله عن الملك الظاهر فاعترف أنه عنده ، فأخذه أَلْطُنْبُغا الجوبانى وسار به إلى البيت الذى فيه الملك الظاهر برقوق، فأوقف أبو يزيد الجوبانى بمن معـه ، وطلع هو وحده إلى الملك الظاهر وحدّثه الخبر، ثم أذن أبو يزيد للجوبانى ، فطلع فلما رآه الملك الظاهر برقوق قام له وهمّ بتقبيل يديه فآستعاذ بالله الجوبانى من ذلك، وقال له : ياخَوَند ، أنت أستاذنا ونحن مماليكك، وأخذ يُسكّن رَوْعه، حتى سكن ما به .

ثم ألبسه عمامة وطَيْلَسانا وأنزله من الدار المذكورة، وأركبه،وأخذه وسار من صليبة[(1)] آبن طولون نهارا، وشقّ به بين الملأ من الناس إلى أن طلع به إلى الإسطبل السلطانى بباب السلسلة حيث هو سكنُ الأمير [الكبير] يلبغا الناصرى ، فأُجلِس بقاعة الفضة من القلعة وأُلزِم أبو يزيد بمال الملك الظاهر الذى كان معه ، فأحضر كيسا وفيه ألفُ دينـار ، فأنعم به الناصرى عليه ، وأخلع عليه ، ورتّب الناصرى

---

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

فى خدمة الملك الظاهر مملوكين وغلامَه المهتار نُعْمان ، وقُيِّـد بقَيْد ثقيل ، وأجرَى عليه من سِماطه طعاماً بكرة وعشيا ، ثم خلع الناصرىّ على الأمير حُسام الدين حسن الكَجْكَنِىّ باستقراره فى نيابة الكَرَك عوضا عن مأمور القَلَمْطاوِىّ .

ورسم بعزل مأمور ، وقُدُومه إلى مصر أميرَ مائة ومقدّم ألف بها .

هذا بعد أن جمع الناصرى الأمراء من أصحابه وشاورهم فى أمر الملك الظاهر برقوق بعــد القبض عليه ، فآختلفت آراء الأمراء فيه ، فمنهم من صَوَّب قَتله ، وهم الأكثر ، وكبيرُهم منطاش ، ومنهم مَنْ أشار بحبسه وهم الأقل ، وأكبرهم الجوبانىّ فيما قيل ، فمــال الناصرىّ إلى حبسه لأمر يُريده الله تعالى ، وأوصى حُسام الدِّين الكَجْكَنِى به وصايا كثيرة حسب ما يأتى ذكرُه فى محلّه ، فأقام الكجكنى بالقاهرة فى عمــل مصالحه إلى يوم تاســع عشر جمادى الآخرة ، وسافر إلى محــل كفالته بمدينة الكَرَك .

وعند خروجه قَدِم الخــبر على الناصرى بأن الأمير آقبغا الصغير وآقبغا أستدار آقْتَمُر ، اجتمع عليهما نحو أربعمائة مملوك من المماليك الظاهرية ليركبوا على جنتمر نائب الشام ويملكوا منه البــلد ، فلمّا بلغ جنتمر ذلك رَكب بمماليكه وكبسهم على حين غفلة ، فلم يُفْلِت منهم إلا اليسيرُ وفيهم آقبغا الصغير المذكور ، فسرّ الناصرى بذلك ، وخلع على القاصد .

ولـمّا وصل هذا الخبر إلى مصر رَكِبَ منطاش وجماعةٌ من أصحابه إلى الناصرىّ وكلّموه بسبب إبقاء الملك الظاهر ، وخَوّفوه عاقبةَ ذلك ، ولا زالوا به حتى وافقهم على قتله ، بعد أن يصل إلى الكَرَك ويُحْبَس بها ، وآعتذر إليهم بأنه إلى الآن لم يُفَرِّق الاقطاعات والوظائف لآضطراب المملكة ، وأنّه ثَمّ مَنْ له ميلٌ للظاهر فى الباطن ،

وربّما يثور بعضهم عند قتله ، وهذا شيء يُدْرَكُ في أيّ وقت كان ، حتى قاموا عنه ونزلوا إلى دورهم .

ثم أخذ الناصري في اليوم المذكور يخلع على الأمراء باستقرارهم في الإمريات والإقطاعيات ، فاستقرّ بالأمير بُزْلار العُمَري الناصري حسن في نيابة دِمَشق ، والأمير كَمَشْبُغا الحموي اليلبُغاوي في نيابة حلَب ، وبالأمير صَنْجَق الحسنيّ في نيابة ٥ طرابُلس ، وبالأمير شهاب الدين أحمد بن محمد الهيدَبانيّ في حجوبية طرابلس الكبرى .

ثم في حادي عشرينه عَرَض الأمير الكبير يلبغا الناصري المماليكَ الظاهريّة وأفرد من المستَجَدّين مائتين وثلاثين مملوكا لخدمة السلطان الملك المنصور حاجيّ صاحب الترجمة وسبعين من المشتروات أنزلهم بالأطباق وفرّق مَن بقِي على الأمراء، ١٠ وكان العَرْض بالإسطبل ، وأنعم على كلٍّ من آقبغا الجمالي الهيدبانيّ أمير آخور ويلبغا السُّودُونيّ وتَنْبَك اليَحْياوي وسُودون اليحياوي بإمرة عشرة في حلب ، وهؤلاء الأربعة ظاهريّة من خواصّ مماليك الملك الظاهر برقوق، ورسم بسفرهم مع الأمير كَمشبُغا الحمويّ نائب حلب .

١٥ ثم في ليلة الخميس ثاني عشرين جُمادَى الآخرة رسم الناصري بسفر الملك الظاهر برقوق إلى الكَرَك ، فأُخرِج من قاعة الفِضّة في ثلث الليل من باب القرافة أحد أبواب القلعة ومعه الأمير أَلْطُنْبُغا الجُوبانِي ، فأركبوه هجيناً ومعه من مماليكه أربعة مماليك صِغار على هُجُن، وهم قُطْلُوبغَا الكَرَكي وبَيْغان الكركي وآقباي الكَرَكي وسودون الكَرَكي ، والجميع صاروا في سلطنة الملك الظاهر الثانيــة بعد خروجه من الكرك أمراء ، وسافر معه أيضا مهتارُه نُعْمان ، وسار به الجوباني إلى قبــة النصر خارج ٢٠

القاهرة ، وأسلمه إلى الأمير سيف الدين محمـد بن عيسى العائدى ؛ فتوجه به إلى الكرك من على تجْرُود[(١)] حتى وصل به إلى الكرك ، وسلّمه إلى نائبها الأمير حسام الدين الكُجْكَنى وعاد بالجواب ، فأنزل الكجكنى الملكَ الظاهر بقاعة النحاس من قلعة الكرك ، وكانت آبنــة الأتابَك يلبغا العُمَرى الخاصّكى. أستاذ الملك الظاهر برقوق زوجة مأمور المعزول عن نيـابة الكرك هناك ، فقامت للـلك الظاهر برقوق بكلّ ما يحتاج ، كونه مملوك أبيها يلبغا ، مع أن الناصرى أيضا مملوك أبيها ، غير أنها حُبّب إليهـا خدمة الملك الظاهر ، ومَدّت له سِماطا يَليق به ، وآستمرّت على ذلك أياما كثيرة ، وفَعَلت معه أفعالا ، كان آعتادها أيام سلطنته .

ثم إن الكَجكنىّ أيضا آعتنى بخدمته لمــا كان أوصاه الناصرىّ به قبل خروجه من مصر ، ومن جملة ما كان أوصاه الناصرىّ وقرّره معــه أنّه متى حَصَل له أمر من مِنْطاش أو غيره فَليُفْرِج عن الملك الظاهر برقوق من حبس الكَرَك ، فآعتمد الكُجْكَنى على ذلك ، وصار يدخل إليه فى كل يوم ويتلطّف به ويَعِده أنه يتوجّه معه إلى التُّركمان ، فإنّه له فيهم معارف ، وحَصّن قلعــة الكرك وصار لا يبرح من عنده نهارَه كُلّه ، ويأكل معه طَرَق النهار سِماطَه ، ولا زال على ذلك حتى أنِس به الملك الظاهر ورَكَن له حسب ما يأتى ذكْرُه .

وأما الناصرىّ فإنه بعــد ذلك خلع على جماعة من الأمراء ، فآستقرّ بالأمير قُطْلُوبغا الصَّفَوِىّ فى نيابة صفد ، وبالأمير بُغَاجق فى نيابة مَلَطْية ، ثم رَسَم فنودى بالقاهرة بأن المماليك الظاهريّة يخدمون مع نُوّاب البلاد الشامية ، ولا يقيم أحد منهم بالقاهرة ، ومن تأخّر بعد النــداء حلّ مالُه ودمُه للسلطان ، ثم نُودى بذلك من الغد ثانيا .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٤ من هذا الجزء .

وفى رابع عشرينه برز النوّابُ إلى الرَّيْدَانيّة للسفر بعد أن أُخلع الناصرى على الجميع خِلَع السفر .

ثم فى سادس عشرينه خَلَع السلطان الملك المنصور على الأمير يلبغا الناصرى بآستقراره أتابَك العساكر بالديار المصرية وأن يكون مدبّرَ المملكة ، وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى بآستقراره رأس نَوْبة الأمراء وظيفة بركة الجوبانى وعلى الأمير قرا دِمِرْداش الأحمدى وآستقرّ أميرسلاح ، وعلى الأمير أحمد بن يلبغا وآستقرّ أمير مجلس على عادته أوّلا ، وعلى الأمير تَمُرْ باى الحسنى، وآستقرّ حاجب الحجاب ، وخَلَع على القضاة الثلاثة بآستمرارهم، وهم : القاضى شمس الدين محمد الطَّرَابُلسى والقاضى جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى والقاضى ناصر الدين نصر الله الحنبلى، ولم يَخلع على قاضى القضاة ناصر الدين ابن بنت ميلق الشافعى، لتوعّكه ، ثم خلع على القاضى صدر الدين المُناوِى مفتى دار العدل[1] ، وعلى القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر الجميع بآستمرارهم .

وفى هذا اليوم سافر نُوّابُ البلاد الشامية ، وسافر معهم كثيرٌ من التُّركُمَان واجناد الشام وأمرائها ، وفيه نُودِى أيضا بألّا يتأخر أحد من مماليك الملك الظاهر برقوق إلّا من يكون بخدمة السلطان ممّن عُيّن، ومن تأخر بعد ذلك شُنِقَ ، ثم نُودِى على التركمان والشاميين والغرباء بخروجهم من الديار المصرية إلى بلادهم .

وفى يوم الخميس خلع الناصرى على الأمير آقبغا الجوهرى بآستقراره أستادارا ، وعلى الأمير آلابغا العثمانى دوادارا كبيرا ، وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الأشرفىّ رأس نوبة ثانيا ، وهى الآن وظيفة رأس نوبة النُّوَب ، وعلى الأمير جُلبان العلائى حاجبا ، وعلى الأمير بلاط العلائى أميرَ جاندار ، وعلى شَهْرِى نائب دوركى باستمراره .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

ثمّ فى سلخ جُمادَى الآخرة فرّق الناصرى المِثَالاتِ[(١)] على الأمراء، وجعلهم أربعةً وعشرين تقدمة على العـادة القديمة ، أراد بذلك أن يُظْهِر للناس ما أفسده الملك الظاهر برقوق فى أيام سلطنته من قوانين مصر، فشكره الناس على ذلك .

ثم نُودِى بالقاهرة بالأمان : ومن ظُلِم من مدّة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير يلبغا الناصرىّ، ليأخذ حقّه .

ثم فى يوم السبت أوّل شهر رجب وقف أوّل النهار زامرٌ على باب السلسلة تحت الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرىّ، وزَعق فى زَمْرِه؛ فلما سمعه الناس آجتمع الأمراء والمماليك فى الحال، وطَلَعوا إلى خِدْمة الناصرىّ، ولم يُعْهَد هذا الزَّمْر بمصر قبل ذلك على هـذه الصورة، وذكروا أنها عادة ملوك التتار إذا ركبوا يَزْعقُ هذا الزامرُ بين يديه ، وهو عادة أيضا فى بلاد حلب ، فآستغرب أهلُ مصر ذلك وآستمرّ فى كلّ يوم مَوْكب .

وفيه أيضـا رَسَمَ الناصرىُّ أن يكون رُءوس نُوَب السِّلاحدارِيّة والسُّـقَاة والجَمَدَارِيّة سِتّة لكلّ طائفة على ما كانوا أوّلا قبل سلطنة الملك الأشرف شعبان بن حسين ، فإن الأشرف هو الذى آستقرّ بهم ثمـانية ، وخلع الناصرى على قطلوبغا الفخرى بآستقراره نائب قلعة الجبل عوضا عن الأمير بجَاس .

وفى خامسه قَدِم الأمير نُعَيْر بن حَيّار بن مُهنّا ملِك العرب إلى الديار المصرية، ولم يحضرُ قطّ فى أيام الملك الظاهر برقوق، وقَصَـد بحضوره رؤيةَ الملك المنصور

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عـ[ـنـ]ـد الكلام على الروك الناصرى (ص ٨٧ ج ١) أن المثالات جمع مفرده مثال ، وهو عبارة عن ورقة [و]ثيقة رسمية تصدر من ديوان الخراج إلى كل جندى أو مملوك مبينا فيها مقدار ما خصه بالفدان من الأ[رض] الزراعية التى يستغلها وحدودها وآسم الإقليم والقرية والقبالة أى الحوض الكائن فيه الأرض التى خصصت له .

وتقبيل الأرض بين يديه ، فخلع السلطان عليه ، ونزل بالميدان الكبير من تحت القلعة ، وأجرى عليه الرواتب .

وفيه خلع على الأمير آلابغا العثماني الدوادار الكبير باستقراره في نظر الأحباس مضافا لوظيفته ، وقرقماس الطشتمري واستمر خازندارا .

٥ وفي ثامنه خلع على الأمير نعير خلعة السفر وأنعم على الطواشي صواب السعدي شنكل بإمرة عشرة ، واسترجعت منه إمرة طبلخاناه ، ولم يقع مثل ذلك أن يكون مقدم المماليك أمير عشرة .

وفيه خلع السلطان الملك المنصور على شخص وعمله خياط السلطان ، فطلبه الناصري وأخذ منه الخلعة ، وضربه ضربا مبرحا ، وأسلمه لشاد الدواوين ، ثم أفرج ١٠ عنه بشفاعة الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس ، فشق ذلك على الملك المنصور ، فقال : إذا لم ينفذ مرسومي في خياط فما هذه السلطنة ؟ ثم سكت على مضض .

وفي أول شعبان أمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا في الأذان ، إلا أذان المغرب : الصلاة والسلام عليك يارسول الله عدة مرات ، وسبب ذلك أن رجلا من الفقراء المعتقدين سمع في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء : الصلاة على النبي صلى الله ١٥ عليه وسلم ، وكان العادة في ليلة الجمعة بعد أذان العشاء يصلي المؤذنون على النبي صلى الله عليه وسلم مرارا على المئذنة ، فلما سمع الفقير ذلك قال لأصحابه الفقراء : أتحبون أن تسمعوا هذا في كل أذان ؟ قالوا : نعم ، فبات تلك الليلة ، وأصبح وقد زعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه يأمره أن يقول لمحتسب القاهرة نجم الدين الطنبدي أن يأمر المؤذنين أن يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ٢٠ عقيب كل أذان ، فمشى الشيخ إلى المحتسب المذكور وقص عليه ما رآه ، فسره ذلك ، وأمر به فبقي إلى يومنا هذا .

ثم إن الناصرى أنزل السبعين الذين نزوهم بالأطباق من مماليك برقوق وفرّقهم على الأمراء، ورسم أيضا بإبطال المقدّمين والسوّاقين من الطّواشيّة، ونحوهم، وأنزلهم من عند الملك المنصور، فآتضع أمرُ السلطان الملك المنصور، وعرف كلُّ أحد أنه ليس له أمرٌ ولا نَهْى فى المملكة .

* * *

ذكرُ آبتداء الفتنة بين الأمير الكبير يلبغا الناصرى و بين الأمير تَمُربُغا الأفضلى المدعو مِنْطاش :

ولمّا كان سادس عشر شعبان أُشِيع فى القاهرة بتنكُّر منطاش على الناصرىّ ، وآنقطع منطاش عن الخدمة، وأظهر أنه مريض، ففَطِن الناصرى بأنه يُريد يعمل مَكِيدة ، فلم ينزل لعيادته ، و بعث إليه الأمير أُلْطُنبغــا الجُوبانى رأس نَوْبة كبيرا فى يوم الآثنين سادس عشر شعبان المذكور ليعوده فى مرضه ، فدخل عليه ، وسلّم عليــه، وقضى حَقّ العيادة ، وهمّ بالقيام، فقَبَض عليــه منطاش وعلى عشرين من مماليكه ، وضرب قَرْقَماس دوادار الجو بانى ضربًا مُبرِّحا، مات منه بعد أيام .

ثم ركب منطاش حال مَسْكه للجوبانى فى أصحابه إلى باب السلسلة وأخذ جميع الخيول التى كانت واقفةً على باب السلسلة وأراد آقتحام الباب ليأخذ الناصرى على حين غَفْلة، فلم يتمكّن من ذلك، وأغلق الباب، ورَمَى عليــه مماليك الناصرى من أعلى السور بالنُّشّاب والحجارة، فعاد إلى بيته ومعه الخيول، وكانت دارُه دارَ منْجك[1] اليوسفىّ التى آشتراها تَمُر بغا الظاهرى الدوادار وجدّدها بالقرب من مدرسة السلطان[2] حسن، ونَهب منطاش فى عَوْده بيتَ الأمير آقْبُغا الجوهرىّ الأُستدار وأخذ خيوله وقماشه .

(١) هذه الدار سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٤ ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

ثم رسم منطاش فى الوقت لمماليكه وأصحابه بالطلوع إلى مدرسة السلطان حسن، فطلعوا إليها وملكوها ، وكان الذى طلع إليها الأمير تنكز بغا رأس نوبة والأمير أزدمر الجوكندار دوادار الملك الظاهر برقوق فى عدة من المماليك ، وحمل إليها منطاش النشاب والحجارة، ورموا على من كان بالرميلة(١) من أصحاب الناصرى من أعلى المئذنتين ومن حول القبة ، فعند ذلك أمر الناصرى مماليكه وأصحابه بلبس السلاح وهو يتعجب من أمر منطاش كيف يقع منه ذلك وهو فى غاية من قلة المماليك وأصحابه، وبلغ الأمراء ذلك، فطلع كل واحد بمماليكه وطلبه إلى الناصرى .

وأما منطاش فإنه أيضا تلاحقت به المماليك الأشرفية خشدا شيته والمماليك الظاهرية، فعظم بهم أمره، وقوى جأشه، فأما مجيء الظاهرية إليه فرجاء لخلاص أستاذهم الملك الظاهر برقوق والأشرفية، فهم خشدا شيته، لأن منطاش كان أشرفيا ويلبغا الناصرى يلبغاويا خشداشا لبرقوق، وانضمت اليلبغاوية على الناصرى وهم يوم ذاك أكابر الأمراء وغالب العسكر المصرى، وتجمعت المماليك على منطاش حتى صار فى نحو خمسمائة فارس معه، بعدما كان سبعون فارسا فى أول ركوبه ، ثم أتاه من العامة عالم كبير، فترامى الفريقان واقتتلا .

ونزل الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى القاهرة والأمير مأمور حاجب الحجاب من عند الناصرى، ونودى فى الناس بنهب مماليك منطاش، والقبض على من قدروا عليه منهم، وإحضاره إلى الناصرى فخرج عليهما طائفة من المنطاشية فضربوهما وهزموهما، فعادوا إلى الناصرى، وسار الوالى إلى القاهرة ، وأغلق أبوابها : واشتد الحرب، وخرج منطاش فى أصحابه، وتقرب من العامة، ولاطفهم

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

وأعطاهم الذهب ، فتعصّبوا له وتزاحموا على التقاط النُّشّاب الذى يُرْمى به من أصحاب الناصرىّ على منطاش وأتَوْه به ، وبالغوا فى الخدمة لمنطاش ، حتى خرجوا عن الحدّ ، فكان الواحدُ منهـم يَثب فى الهواء حتى يَخْطَف السهمَ قبـل أن يأخذه غيرهُ ، ويأتى به منطاش وطائفةٌ منهم تنقُـل الحجارة إلى أعلى المدرسة الحسَنيّة (١) ، وآستمرّوا على ذلك إلى الليل ، فبات منطاش ليلة الثلاثاء سابع عشر شعبان على باب مدرسة السلطان حسن المذكورة والرمىُ يأتيه من القلعة من أعوان الناصرى ، .

هذا والمماليك الظاهريّة تأتيه من كلّ فجّ ، وهو يَعِدُهم ويُمَنّيهم حتى أصبح يوم الثلاثاء وقـد زادت أصحابه على ألف فارس ، كلُّ ذلك والناصرى لا يكترث بأمر منطاش ، ويُصلح أمَره على التراخى آستخفافا بمنطاش وحواشيه ، يُحرّضه على سرعة قتال منطاش ويحذّرونه التهاون فى أمره .

ثمّ أتى منطاش طوائفُ من مماليك الأمراء والبطّالة وغيرهم شيئاً بعد شىء ، فحسُن حالُه بهم ، وآشتدّ بأسـه ، وعظُمت شـوكتُه بالنسبة لمـا كان فيه أوّلا ، لا بالنسبة لحواشى الناصرىّ ومماليكه ، فعند ذلك نَدَب النـاصرىُّ الأمير بَجْمان والأمير قرابُغا الأبو بكرى فى طائفة كبيرة ومعهم المعلّم شهاب الدين أحمـد بن الطُّولونى المهندس وجماعة كبيرة من النجّارين والنقّابين لينقبُوا بيت منطاش من ظَهْره حتى يدخلوا منه إلى منطاش ويقاتلوه من خَلْفه والناصرى من أمامه ، ففَطِن منطاش بهم ، فأرسل إليهم فى الحال عِدّةً من جماعته قاتلوهم حتى هزموهم ، وأخذوا قَرابُغـا وأتَوْا به إلى منطاش ، فرتّب عِدّة رماة على الطبلخاناه السلطانيـة ، وعلى المدرسـة الأشرفيّة التى هدمها الملك الناصر فرج ، وجعـل الملك المؤيّد مكانهـا

(١) راجع الحاشية رقم ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بيمارستانا فى الصوة ، فرموا على منطاش بالمدافع والنشّاب ، فقُتل عدّة من العوامّ ، وجُرح كثير من المنطاشية ، هذا وقد آنزعج الناصرى وقام بنفسه وهيّأ أصحابه لقتال منطاش ، وندب من أصحابه من أكابر الأمراء جماعةً لقتاله ، وهم الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس ، والأمير جُمَق آبن الأتابك أيتمش البجاسى فى جمع كبير من المماليك ، فنزلوا وطردوا العامّة من الرُّمَيْلة ، فحملت العامّة من أصحاب منطاش عليهم حَمْلةً واحدة هزموهم فيها أقبح هزيمة .

ثم عاد أحمد بن يلبغا المذكور غير مرّة ، وآستمرّ القتال بينهما إلى آخر النهار والرّمْى والقتال عمّال من القلعة على المدرسة الحسنيّة ومن المدرسة على القلعة وبينما هم فى ذلك خرج من عسكر الناصرى الأمير آقبغا المارديني بطُلْبه وصار إلى منطاش فتسلّل الأمراء عند ذلك واحدا بعد واحد ، وكلّ من يأتى منطاش من الأمراء يُوكّل به واحد يحفظه ويُبعث به إلى داره ، ويأخذ مماليكه فيقاتل الناصرى بهم .

فلمّا رأى حُسين بن الكُورانى الوالى جانبَ الناصرى قد آتضع خاف على نفسه من منطاش وآختفى ، فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلى نائب حسين آبن الكورانى وولّاه ولاية القاهرة ، وألزمه بتحصيل النُّشّاب ، فنزل فى الحال إلى القاهرة ، وحمل إليه كثيرا من النشاب .

ثم أمره منطاش فنادى بالقاهرة بالأمان والآطمئنان وإبطال المكس والدعاء للأمير الكبير منطاش بالنصر .

هذا وقد أخذ أمرُ الناصرى فى إدبار ، وتوجّه جماعةٌ كبيرة من أصحابه الى منطاش ، فلمّا رأى الناصرى عسكرَه فى قِلّة وقد نفر عنه غالبُ أصحابه ، بعث الخليفة المتوكّل على الله إلى منطاش يسأله فى الصلح وإخماد الفتنة ، فنزل الخليفة

إليه وكلّمه فى ذلك ، فقال له منطاش : أنا فى طاعة السلطان ، وهو أستاذى وآبنُ أستاذى ، والأمراءُ إخوتى وما غريمى إلا الناصرىّ ، لأنّه حلَف لى وأنا بسيواس[1] ثم بحلب ودِمَشق أيضا بأننا نكون شيئا واحدا ، وأن السلطان يحكم فى مملكته بما شاء ، فلمّا حصل لنا النصر وصار هو أتابك العساكر ، آستبد بالأمر ، ومنع السلطان من التّحكّم ، وحَجَر عليه ، وقرّب خشداشيتَه اليلبُغاوية وأبعدنى أنا وخشداشيتى الأشرفية ، ثم ما كَفَاه ذلك حتى بعثنى لقتال الفلّاحين ، وكان الناصرى أرسله من جملة الأمراء إلى جهة الشرقية لقتال العُرْبان ، لمّا عَظُم فسادُ فلّاحيها.

ثم قال منطاش : ولم يُعطِنى الناصرى شيئا من المال سوى مائة ألف درهم ، وأخذ لنفسه أحسنَ الإقطاعات وأعطانِى أضعفَها ، والإقطاع الذى قرّره لى يَعْمَل فى السنة ستمائة ألف درهم ، والله ما أَرْجِع عنه حتى أَقْتُلَه أو يَقْتُلَنِى ، ويتسلطن ويَستبِدّ بالأمر وحدَه من غير شريك ، فأخذ الخليفةُ يلاطفُه فلم يَرْجِع له ، وقام الخليفة من عنده وهو مصمّم على مقالته ، وطلع إلى الناصرى وأعاد عليه الجواب .

فعند ذلك رَكِب الناصرىّ بسائر مماليكه وأصحابه ، ونزل بجَمْع كبير لقتال منطاش وصَفّ عساكِرَهُ تُجاه باب السلسلة[2] ، وبَرَزَ إليه منطاش أيضا بأصحابه وتصادما وآقتتلا قتالا شديدا ، وثبت كلٌّ من الطائفتين ثباتًا عظيما ، فخرج من عسكر الناصرى الأميرُ عبدالرحمن آبن الأتابك منكلىبغا الشمسى صهر الملك الظاهر برقوق بمماليكه ، والأمير صلاح الدين محمد بن تَنْكِز نائب الشام ، وكان أيضا من خواصّ الملك الظاهر برقوق ، وسار صلاح الدين المذكور إلى منطاش ومعه خمسة أحمال نُشّاب وثمانون حِمْلَ مأكل وعشرة آلاف درهم وآنكسر الناصرى وأصحابه وطلع إلى باب السلسلة ،

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

فتراجع أمره، وانضم عليه من بقى من خشداشيته اليلبغاوية، وندب لقتال منطاش الأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس ثانيا، والأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح، والأمير ألطنبغا المعلم، والأمير مأمور القلمطاوى حاجب الحجاب، والجميع يلبغاوية، ونزلوا في جمع موفور من العسكر وصدموا منطاش صدمة هائلة، وأحمى أظهرهم من في القلعة بالرمى على منطاش وأصحابه، فأخذ أصحاب منطاش عند ذلك في الرمى من أعلى المدرسة بالنشاب والنفط، والتحم القتال، من فوق ومن أسفل، فانكسر عسكر الناصرى ثانيا، وانهزموا إلى باب السلسلة.

هذا والعامة تأخذ النشاب من على الأرض وتأتى به منطاش وهو يتقرب منهم ويترفق لهم، ويقول لهم: أنا واحد منكم وأنتم إخواننا وأصحابنا، وأشياء كثيرة من هذه المقولة، هذا وهم يبذلون نفوسهم في خدمته ويتلاقطون النشاب من الرميلة مع شدة رمى الناصرى عليهم من القلعة.

ثم ظفر منطاش بحاصل للأمير جركس الخليلى الأمير آخور وفيه سلاح كثير ومال، وبحاصل آخر لبكلمش العلائى، فأخذ منطاش منهما شيئا كثيرا، فقوى به، فإنه كان أمره قد ضعف من قلة السلاح لا من قلة المقاتلة، لأن غالب من أتاه بغير سلاح.

ثم ندب الناصرى لقتاله الأمير مأمورا حاجب الحجاب والأمير جمق بن أيتمش والأمير قرا كسك في عدة كبيرة من اليلبغاوية وقد لاح لهم زوال دولة اليلبغاوية بحبس الملك الظاهر برقوق، ثم بكسرة الناصرى من منطاش إن تم ذلك، فنزلوا إلى منطاش وقد بذلوا أرواحهم، فبرز لهم العامة أمام المنطاشية، وأكثروا من رميهم بالحجارة في وجوههم ووجوه خيولهم حتى كسروهم، وعادوا إلى باب السلسلة.

كلّ ذلك والرمى من القلعة بالنُّشّاب والنفوط والمدافع متواصل على المنطاشية، وعلى مَنْ بأعلى المدرسة الحسنية، حتى أصاب حجر من حجارة المدفع القبةَ الحسنية فخرقها، وقتل مملوكا من المنطاشية، فلما رأى منطاش شدّة الرمى عليه من القلعة أرسل أحضر المعلّم ناصر الدين محمد بن الطُّرابُلُسى وكان أستاذا فى الرمى بمدافع النّفط، فلما حضر عنده جرّده من ثيابه ليوسّطه من تأخّره عنه فآعتذر إليه بأعذار مقبولة، ومضى ناصر الدين فى طائفة من الفرسان وأحضر آلات النفط وطلع على المدرسة ورمى على الإسطبل السلطانى، حيث هو سكن الناصرى حتى أحرق جانبا من خيمة الناصرى وفرّق جمعَهم، وقام الناصرىُّ والسلطانُ الملك المنصور من مجلسهما ومضَيا إلى موضع آخر آمتنعا فيه، ولم يَمْضِ النهار حتى بلغت عِدّة فرسان منطاش نحو الألفى مقاتل.

و بات الفريقان فى تلك الليلة لا يُبْطِلان الرّمى حتى أصبحا يوم الأربعاء وقد جاء كثير من مماليك الأمراء إلى منطاش، ثم خرج من عسكر الناصرى الأمير تُمُرباى الحَسَنىّ حاجب الحُجّاب، والأمير قردم الحسنى رأس نوبة النُّوَب فى جماعة كبيرة من الأمراء، وصاروا إلى منطاش من جملة عسكره، وغالب هؤلاء الأمراء من اليلبُغاوية.

ثم ندب الناصرىّ لقتال منطاش الأميرَ أحمدَ بن يلبغا أميرَ مجلس، والأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح، وعيّن منهم جماعة كبيرة، فنزلوا وصدموا المنطاشية صدمة هائلة انكسروا فيها غيرَ مرّة، وآبن يلبغا يعود بهم إلى أن ضعف أمره، وآنهزم وطلع إلى باب السلسلة، هذا والقوم يتسللون من الناصرى إلى منطاش والعامه تُمْسِك مَنْ وجدوه من التُّرك ويقولون له : ناصرىّ، أم منطاشىّ فإن قال : ناصرى أنزلوه من على فرسه وأخذوا جميع ما عليه وأتوا به إلى منطاش.

ثم تكاثرت العامة على بيت الأمير أَيْدكار حتى أخذوه بعد قتال كبير وأتوا به إلى منطاش ، فأكرمه منطاش ، وبينما هو فى ذلك جاءه الأمير أَلْطُنْبُغا المعلّم بطُلْبِه ومماليكه ، وكان من أجل خُشْداشية الناصرى وأصحابه ، وصار من جملة المنطاشية ، فسُرَّ به منطاش .

ثم عَيّن له ولأيدكار موضعاً يقفان فيه ويُقاتلان الناصرى منه ، وبينما منطاش فى ذلك أرسل إليه الأمير قرا دمرداش الأحمدى أمير سلاح يسأله فى الحضور إليه طائعا فلم يأذن له ، ثم أتاه الأميرُ بلُوط الصرغتمشى بعد ما قاتله عِدّة مرار وكان من أعظم أصحاب الناصرى .

ثم حضر إلى منطاش جُمَق بن أيتمش واعتذر إليه ، فقَبِل عذرَه ، وعظُم أمر منطاش ، وضعُف أمر الناصرى ، واختل أمره وصار فى باب السلسلة بعدد يسير من مماليكه وأصحابه ، ونَدِم الناصرى على خَلْع الملك الظاهر برقوق ، وحبسه لمّا عَلِم أن الأمر خرج من اليلبُغاوية وصار فى الأشرفية حيث لا ينفعه الندم .

فلمّا أُذّن العصر قام الناصرى هو وقرا دِمرداش الأحمدى أمير سلاح وأحمد ابن يلبغا أمير مجلس وآقبغا الجوهرى الأستادار وآلابغا العثمانى الدوادار والأمير قراكسك فى عدّة من المماليك وصَعِدَ إلى قلعة الجبل ونزل من باب القرافة ، وعندما قام الناصرى من باب السلسلة وطلَع القلعة ونزل من باب القرافة أعلم أهلَ القلعة منطاش فركِبَ فى الحال بمن معه وطَلع إلى الإسطبل السلطانى وملَكه ووقع النهبُ فيه فأخذ من الخيل والقُماش شيئا كثيرا وتفرق الدُّعْرُ والعامّة إلى بيوت المنهزمين ، فنهبوا وأخذوا ما قدَروا عليه ومنعهم الناسُ من عِدّة مواضع وبات منطاش بالإسطبل .

وأصبح من الغـد وهو يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، وطلع إلى القلعة إلى السلطان الملك المنصور حاجى وأعلمه بأنه فى طاعته وأنه هـو أحقّ بخدمته لكونه من جملة المماليك الذين لأبيه الأشرف شعبان ، وأنه يَمتثل مرسومَه فيما يأمره به وأنه يريد بمـا فعـله عِمارةَ بيت الملك الأشرف ـ رحمـه الله ـ فسُرّ المنصورُ بذلك هو وجماعةَ الأشرفية ، فإنهم كانوا فى غاية ما يكون من الضّيق مع اليلبُغاوية من مدّة سنين .

ثم تقدّم الأمير منطاش إلى رُءوس النُّوَب بجمع من المماليك و إنزالهم بالأطباق من قلعة الجبل على العـادة ، ثم قام من عند السلطان ونزل إلى الإسـطبل بباب السلسلة ، وكان ندَب جماعة للفَحْص على الناصرى ورُفقته ، ففى حال نزوله أحضر إليه الأمير أحمـد بن يلبغا أمير مجلس ، والأمير مأمور القلمطاوى ، فأمر بحبسهما بقاعة الفِضّة من القلعة وحَبَس معهما أيضا الأمير بجْمان المحمّدىّ ، وكَتَب منطاش بإحضار الأمير سُـودون الفخرىّ الشيخونىّ النائب من ثغر الإسكندرية ، ثم قَدِم عليه الخبرُ بأنّ الأمراء الذين توجّهوا فى أثر الناصرىّ أدركوه بِسْرياقُوس وقبضوا عليه ، و بعد ساعة أُحْضَر الأمير يلبغا الناصرىّ بين يديه فأمَر به فقُيِّد وحُبِس أيضا بقاعة الفِضّة ، ثم حُمِل هو والجُوبانِىّ فى آخرين إلى سجن الإسكندرية فحَبسوهما[1] ، وأخذ الأميرُ منطاش يتتبّع أصحابَ الناصرىّ وحواشيه من الأمراء والمماليك .

فلمّـا كان يوم عشرين شعبان قَبَضَ على الأمير قَرادِمِرْداش الأحمـدى أمير سلاح فأمَر به منطاش فقُيِّد وحُبِس ثم قَبَض منطاش على جماعة كبيرة من الأمراء ، وهم : الأمير أَلْطُنْبُغا المعلِّم ، والأمير كشلى القَلَمْطَاوى ، وآقبُغا الجوهرىّ ، وأَلْطُنْبُغا

(١) السياق يقتضى « فحبسوهم » .

الأشرفيّ ، وآقبغا العثمانى ، وفارس الصرغتمشى ، وكشبغا ، وشيخ اليوسفيّ ، وعَبدوق العلائى ، وقُيِّد الجميع وبَعث بهم إلى ثغر الإسكندريّة ، فحُبِسُوا بها .

ثم فى حادى عشرينــه أنعم منطاش على الأمير إبراهيم بن قُطْلُقْتَمُر الخازندار[1] بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وآستقرّ أمير مجلس عوضًا عن أحمد بن يلبغا دَفْعةً واحدةً من إمرة عشرة ، ثم أخلع السلطانُ الملك المنصور على الأمير منطاش بآستقراره أتَابَك العسكر ومدبِّر الممالك عوضا عن يَلْبُغَا الناصرى المقبوض عليــه ، ثم كتب منطاش أيضا بإحضار قُطْلُوبُغَا الصَّفَوِيّ نائب صَــفَد ، والأمير أَسَنْدَمُر الشرفيّ ، ويعقوب شاه وتمــان تمر الأشرفيّ ، وعيّن لكل منهم إمرة مائة وتقــدمة ألف بالديار المصرية .

ثم فى ثانى عشرينــه قَبَض على الأمير تمــرباى الحسنى حاجب الحُجّاب بديار مصر ، وعلى الأمير يلبغا المنجكيّ ، وعلى إبراهيم بن قُطْلُقْتَمُر أمير مجلس الذى ولّاه فى أمسه ، ثم أطلقه وأخرجه على إمرة مائة وتقدمة ألف بحلب لأمر آقتضى ذلك .

ثم فى ثالث عشرين شعبان المذكور قَبَض منطاش على أَرْسلان اللَّفّاف ، وعلى قراكســك السيفيّ ، وأَيدَكَار العُمَرىّ حاجب الحجّاب ، وقَرْدَم الحسنيّ ، وآقبغا المَـارِدِينيّ وعدّة من أعيان المــاليك اليَلْبُغاوية وغيرهم .

ثم قَبَض على الطواشى مُقْبِــل الزُّومى الدّواداري الزّمام ، وجَوْهر اليلبُغاوى لالا السلطان الملك المنصور ، ثم قَبَض منطاش على الطواشى صَنْدل الرومىّ المَنْجَكِى خازندار الملك الظاهر برقوق وعذّبه على ذخائر برقوق وعَصَره مِرارا حــتّى دلّ على شىء كثير ، فأخذها منطاش وتَقَوّى بها .

---

(١) كذا فى (ف) وفى (م) الجامدار .

وفى ثامن[1] عشرينه وصــل سُودون الشيخونى النـائب من سجن الإسكندريّة فأمره منطاش بلزوم بيته .

ثم أنفق منطاش على مَن قاتل معه من الأمراء والممـاليك بالتدريج ، فأعطى لمـائة واحد منهم لكل واحد ألف دينـار ، وأعطى لجماعة أُخَر لكلّ واحد عشرة آلاف درهم ، ودُونَهم لكل واحد خمسة آلاف درهم ، ودُونهم لكل واحد ألف درهم ، ودُونهم لكلّ واحد خمسمائة درهم . وظهر على منطاش الملل من الممـاليك الظاهرية والتخوُّف منهم ، فإنه كان قد وعدهم بأنه يُخْرِج أستاذَهم الملك الظاهر برقوق من سجن الكَرَك إذا آنتصر على الناصرىّ ، فلم يفعــل ذلك ، ولا أنعم على واحد منهم بإمرة ولا إقطاع ، وإنمـا أخذ يُقَرِّب خُشداشيته وممـاليكه وأولاد الناس ، فَعَزّ عليهم ذلك فى الباطن ، وفَطِن منطاش بذلك ، فعاجلَهم بأن عمل عليهم مكيدةً ، وهى :

أنه لَمّـا كان يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة المذكورة طلب سائرَ الممـاليك الظاهريّة على أنّه ينظـر فى أمرهم ويُنْفِق عليهـم ويترضّاهم ، فلمّا طلعوا إلى القلعة أَمَر منطاش فأَغْلَق عليهم بابَ القلعة ، وقُبِض على نحو المـائتين منهم .

حدّثنى السّيفى إينال المحمودى الظاهرى قال : كنت من جُملتهم ، فلمّا وقفنا بين يَدَى منطاش ونحن فى طَمْعة النَّفقَة والإقطاعات ، ظهرَ لِى من وجه منطاش الغَدْر ، فتأخّرتُ خلفَ خشداشيتى ، فلَمّـا وقع القبضُ عليهم رميتُ بنفسى إلى الميدان ، ثم منه إلى جهة باب القرافة ، وآختفيتُ بالقاهرة . انتهى .

(١) فى (ف) : «ثانى» والسياق يقتضى ما أثبتناه كما فى (م) .

ثم بعث منطاش بالأمير جُلْبان الحاجب، وبَلاط الحاجب، فقبض على كثير من المماليك الظاهريّة، وسُجنوا بالأبراج من قلعة الجبل .

قلت : لا جرم، لأنه مَنْ أعان ظالمـًا سُلِّط عليه، وفى الجملة أن الناصرىّ كان لحواشى برقوق خيرًا من منطاش، غير أنّه لكل شىء سبب، وكانت حركةُ منطاش سببا لخلاص الملك الظاهر برقوق، وعَوْده إلى مُلكه على ما سيأتى ذكرهُ، ثم أمر منطاش فنُودى بالقاهرة أن مَنْ أحضر مملوكا من مماليك برقوق فله كذا وكذا ، وهدّد مَن أَخْفَى واحدًا منهم .

قلت : وما فعله منطاش هو الحزم ، فإنّه أزال من يخشاه ، وقرّب مماليكَه وأصحابه، وكاد أمره أن يتمّ بذلك لو ساعدتْه المقاديرُ، وكيف تساعده المقاديرُ وقد قُدِّر بعَوْد برقوق إلى ملكه بحركة منطاش وبركوبه على الناصرىّ .

ثم فى ثالث شهر رمضان قَبَضَ منطاش على سُودون النائب وألزمه بمال يحمله إلى خزانته . وفيه شـدّد الطلب على المماليك الظاهريّة ، وألزمَ سـودون النائب المتقدّم ذكره بحمل ستمائة ألف درهم كان أنعم عليه بها الملك الظاهر برقوق فى أيام سلطنته .

ثم خَلَع على حسين ابن الكورانى بعوده إلى ولاية القاهرة ، وحرّضه منطاش على المماليك الظاهريّة .

ثم قَدِمت الأمراء المطلوبون من البلاد الشاميّة، وخَلَع منطاش عليهم، وأنعم على كلّ منهم بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية دَفْعـة، ولم يَسْبِق لهم قبل ذلك أخذُ إمرة عشرة بديار [مصر][1] .

(١) زيادة عن : « ف » يقتضيها السياق .

وفيه ظَفِر منطاش بذخيرة كانت للملك الظاهر برقوق بجوار جامع الأزهر .

وفيه أفرج منطاش عن الأمير محمود بنِ على الأستادار بعـد ما أخذ منه جملةً كبيرة من المـال، ثم أمسك منطاش جماعةً من أعيان المماليك الظاهرية ممّن كانوا ركبوا معه فى أوائل أَمْره، وبهم كان آستفحلَ أمرُه، وأضافهم إلى مَنْ تقدّم من خشداشيّتِهم ، وحبس الجميعَ بأبراج قلعة الجبل، ولم يَرِقّ لأحد منهم .

قلت : لعله تَمثَّل بأبيات المتنبى : (الكامل)

لا يخدَعَنّك من عدوّك دمعـهُ * وآرحَمْ شـبابك من عدو تَرْحَمُ

لا يَسلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى * حتى يُراقَ على جوانبـه الدمُ

وبينما منطاش فى ذلك ورد عليـه البريد بخروج الأمير نُعَيْر عن الطاعة غضبا للناصرى، وأنه آتفق هو وسولى بن دُلْغادِر ونهبا بلادًا كثيرة من الأعمال الحلبيّة، فلم يَلْتفت منطاش إلى ذلك وكَتَب لهما يستعطفهما على دخولهما تحت الطاعة .

ثم بعد أيام ورد البريدُ أيضا بخروج الأمير بُزْلار العُمَرى الناصرى حسن نائب الشام عن طاعة منطاش غَضَبًا للأمير يلبغا الناصرى ، فكَتَبَ إليه أيضا مكاتبة خَشَّنَ له فيها .

ثم أخذ منطاش فيما يفعله فى أمر دِمَشق وغيرها — على ما سيأتى ذكره — بعد أن يُقَعِّدَ له قواعدَ بمصر، فبدأ منطاش فى اليوم المذكور بالقبض على الطواشى صواب السّعدى المعروف بشُنْكُل مقدّم الممـاليك السلطانية .

وخلعَ على الطواشى جَوْهر، وأعاده لتقدمة المماليك، ثم أنعم على جماعة من حواشيه ومماليكه بإقطاعات كثيرة، وأنعم على جماعة منهم بتقدمة ألف، وهم : ولده الأمير ناصر الدين محمـد بن منطاش، وهى أحسن التقادم ، والأمير قطلوبُغا الصّفَوى ،

وأسندمر بن يعقوب شاه وتمان تمر الأشرفي وأيدكار العمري وأسندمر الشرفي رأس نوبة منطاش وجنتمر الأشرفي، ومنكلي باي الأشرفي، وتكا الأشرفي، ومنكلي بغا خازندار منطاش وصراي تمر دوادار منطاش وتمربغا الكريمي، وألطنبغا الحلبي ومبارك شاه .

ثم أنعم على جماعة كبيرة بإمرة طبلخاناه، وعشرينات وعشرات، فمن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه : الشريف بكتمر الحسني، وأبو بكر بن سنقر الجمالي، ودمرداش القشتمري وعبد الرحمن بن منكلي بغا الشمسي على عادته أولا، وجلبان السعدي، وآروس بغا صلغيه وإبراهيم بن طشتمر الدوادار وسربغا الناصري، وتنكز الأعور الأشرفي، وصراي تمر الأشرفي، وآقبغا المنجكي، وملكتمر[1] المحمدي، وقرابغا السيفي، وقطلوبغا الزيني، وتمربغا المنجكي وأرغون شاه السيفي ومقبل السيفي منطاش أمير سلاح وطيبرس السيفي رأس نوبة، وبيرم خجا الأشرفي، وألطنبغا الجوبغاوي، ومنجك الزيني، وبزلار الخليلي، ومحمد بن أسندمر العلائي، وطشبغا السيفي منطاش، وإلياس الأشرفي، وقطلوبغا السيفي، وشيخون الصرغتمشي، وجلبان السيفي، وألطنبغا الطازي، وإسماعيل السيفي، وحسين بن الكوراني .

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرين[2]، وهم : غريب الخطائي وبايجي الأشرفي، ومنكلي بغا الجوباني، وقرابغا الأحمدي، وآق كبك[3] السيفي، وفرج شاد الدواوين، ورمضان السيفي، ومحمد بن مغلطاي المسعودي والي مصر .

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة[4] : صلاح الدين محمد بن تنكز، زيادة على ما بيده، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقي، ومحمد بن يونس الدوادار، وعلي

(١) رواية «ف» : «تلكتمر» . (٢) في «ف» بإمرة عشرة . وما أثبتناه عن «م» .
(٣) كذا في «م» والذي في «ف» «كتك» . (٤) كذا في «م» ورواية «ف» : «بإمرة عشرين» .

الجَرَكْتَمُرى ، ومحمد بن رجب بن محمـد التركمانى ، ومحمد بن رجب بن جنتمر من عبد الغنى وجوهر الصـلاحى ، وإبراهيم بن يوسف بن برلغى ولؤلؤ العـلائى الطواشى ، وتَنْكِز العثمانى وصراى تَمُر الشرفى الصغير ، ومنكلى بُغا المنجكى ، وآق سنقر الأشرفى ، رأيت أنا المذكور فى دولة الملك الأشرف برسباى فى حدود سنة ثلاثين وثمانمائة وقدشاخ وجاركس القرابغاوى ، وأسنبغا التاجى ، وسنقر السيفى ، وكزل الجوبانى ، وقرابغا الشهابى ، وبك بلاط الأشرفى ، ويلبغا التركمانى ، وأرنبغا الأشرفى ، وحاجى اليلبغاوى ، وأرغون الزينى ، ويلبغا الزينى وتمر الأشرفى وجنبغا الشرفى ، وجقمق السيفى ، وأرغون شاه البكلمشى ، وأَلْطُنْبغا الأشقر ، وصراى السيفى ، وألطنبغا الإبراهيمى ، وآقبغا الأشرفى وأُلْجيبغا السيفى . انتهى .

ثم فى خامس عشر شهر رمضان نودى على الزُّعْر بالقاهرة ومصر مَن حمل منهم سيفا أو سكِّينا أو شالق بحجر وُسِّط وحَرَّض الموالى عليهم ، فقطع أيدى ستة منهم فى يوم واحد .

وفى يوم عشرين شهر رمضان ورد البريد بأن بُزْلَار نائب الشـام بسكه الأمير جَنْتَمُر أخوطاز فكاد منطاش أن يَطيرَ من الفرح بذلك ، لأن بزلار كان من عظماء الملوك[1] ممن كان الملك الظاهر برقوق يخافه ، ونفاه إلى الشـام ، فوافق الناصرى ، فولاه الناصرى نيـابة الشام دفعة واحدة مخافةً من شرّه ، وكان من الشجعان حسب ما يأتى ذكره فى الوفيات .

ولمـّا أن بلغ منطاش هـذا الخبرُ قلع السلاح عنه وأمر أمراءه ومماليكه بقلع السلاح ، فإنهم كانوا فى هذه المدّة الطويلة لا يبسين السلاح فى كلّ يوم .

ثمّ فى الحـال قبض منطاش على جُمَـق بن أَيْتَمِش البجاسى وعلى بيرم العلابى رأس نوبة أيتمش .

(١) هكذا ورد فى « ف » و « م » .

وفيه قدِم سيف الأمير بُزْلار المقدّم ذكره ، وكان من خبره أن منطاش لمّا انتصر على الناصرىّ وملك مصر أرسل إلى الأمير بُزْلار المذكور بحضوره إلى مصر فى ثلاثة سُروج لا غيرُ على البريد، فأجابه بزلار : لا أحضر اليه إلا فى ثلاثين ألف مقاتل ، وخاشنه فى ردّ الجواب ، وخرج عن طاعته ، فخادعه منطاش حسب ماتقدّم ذكره، وكتب فى الباطن للأمير جنتمر أخى طاز أتابك دِمَشق بنيابة دمشق ٥ إن قبَض على بزلار المذكور ثم سيّر ، إليه التشريف بذلك ، وكتب إليه أن محمد ابن بَيْدَمر يكون أتابك دمشق عِوضَه ، وجبريل حاجب حُجّاب دِمَشق، فلمّا بلغ جنتمر ذلك عرّف الأمراء المذكورين الخبر، واتّفق مع جماعة أُخَر من أكابر أمراء دمشق وركبوا على بزلار المذكور على حين غفلة وواقعوه ، فلم يثبت لهم ، وانكسر ومُسِك وحُبِس بقلعة دمشق ، وأرسل جنتمر سيفه إلى منطاش ، واستقرّ عوضَه ١٠ فى نيابة دمشق، فسرّ منطاش بذلك غايةَ السرور .

فلم يتمّ سرُورُه، وقَدِم عليه الخبر بما هو أدهى وأمرّ،وهو خروجُ الملك الظاهر برقوق من سجن الكرك ، وأنه استولى على مدينتها ووافقه نائبها الأمير حسام الدين حسن الكجكنى، وقام بخدمته وقد حضر إلى الملك الظاهر برقوق ابنُ خاطر أمير بنى عُقبة من عرب الكرك ودخل فى طاعته، وقَدِم هذا الخبر من ابن باكيش نائب ١٥ غزة، فلمّا سمع منطاش ذلك كاد يهلك واضطربت الديار المصرية، وكثُرت القالةُ بين النـاس ، واختلفت الأقاويل ، وتشعّب الذهن وكان من خبر الملك الظاهر برقوق أن منطاش لمّـا وثب على الأمير وأقهر الأتابك يلبغا الناصرى وحبسه وحبس عدّة من أكابر الأمراء ، عاجَلَ فى أمر الملك الظاهر برقوق بأن بعث إليه شخصا يُعـرف بالشهاب البريدى ومعه كتبٌ للأمير حُسام الدين الكجكنى نائب الكرك ٢٠ وغيره بقتل الملك الظاهر برقوق من غير مراجعة، ووعده بأشياء غير نيابة الكرك،

وكان الشهاب البريدىّ أصله من الكرك ، وتزوج ببنت قاضى الكرك القاضى عماد الدين أحمـد بن عيسى المقيّرىّ الكركى ، ثم وقع بين الشهاب المذكور وبين زوجته ، فقام أبوها عليـه حتى طلّقها منه ، وزوجها بغيره، وكان الشهاب مغرما بها ، فشقّ ذلك عليـه، وخرج من الكرك وقدم مصر وصار بريديًّا وضرب الدهر ضَرَباته حتى كان من أمر منطاش ما كان ، فاتصـل به الشهاب المذكور ووعده أنه يتوجّه لقتـل الملك الظاهر برقوق ، فجهزه منطاش لذلك سرًّا وكتب على يده إلى الأمير حسام الدين الكجكنى نائب الكرك كتبا بذلك وحثّه على القيام مع الشهاب المذكور على قتل برقوق وأنه يُنزله بقلعة الكرك ويُسكنه بها حتى يتوصّل لقتل الملك الظاهر برقوق .

وخرج الشهاب من مصر ومضى إلى نحو الكرك على البريد حتى وصـل قرية المقيّر[1] بلد صهره القاضى عماد الدين قاضى الكرك الذى أصله منها، فنزل بها الشهاب ولم يكتُم ما فى نفسه من الحقـد على القاضى عمـاد الدين ، وقال : والله لأُخْرِبن دياره وأزيد فى أحكار أملاكه وأملاك أقاربه بهـذه القرية وغيرها ، فاستوحش قلوبُ الناس وأقاربُ عماد الدين من هذه الكلام وأرسلوا عرّفوه بقصد الشهاب وما جاء بسببه قبل أن يصل الشهاب إلى الكرك ، ثم ركب الشهاب من المقيّر وسار إلى الكرك حتى وصلها فى الليـل ، وبعث للنائب مَنْ يصيح به من تحت السور ، فمنعوه من ذلك ، وأحسّ الكجكنى بالأمر ، فلمّا أصبح أحضره إلى دار السعادة ، وقرأ كتاب السلطان الذى على يده ، وكتاب منطاش ومضمونهما أمور أُخَر غير قتل الظاهر برقوق ؛ فامتثل النائب ذلك بالسمع والطاعة .

---

(١) موضع معروف (انظر تاج العروس مادة قير) .

فلمّا آنفضّ الناس أخرج الشهاب إليه كتابَ منطاش الذى بقتل برقوق ، فأخذه الكجكنى منه ليكون له حُجّة عند قتله السلطان برقوق ، ووعده بقضاء الشغل، وأنزل الشهاب بمكان قلعة الكرك قريبا من الموضع الذى فيه الملك الظاهر برقوق ، بعد أن آستأنس به ، ثم قام الكجكنى من فوره ودخل إلى الملك الظاهر برقوق ومعه كتاب منطاش الذى بقتله ، فأوقفه على الكتاب ، فلمّا سمعه الملك الظاهر كاد أن يهلك من الجزع ، فحلف له الكجكنى بكل يمين أنه لا يسلّمه لأحد ولو مات ، وأنه يُطْلِقه ويقوم معه ، وما زال به حتى هدأ ما به ، وطابت نفسه ، وآطمأنّ خاطرُه .

هذا وقد آشتهر فى مدينة الكَرَك بمجىء الشهاب بقتل الملك الظاهر برقوق لخفّة كانت فى الشهاب المذكور ، وأخذ القاضى عماد الدين يخوِّف أهلَ الكرك عاقبةَ قتل الملك الظاهر برقوق وينفِّرهم عن الشهاب حتى خافوه وأبغضوه ، وكان عماد الدين مطاعا فى أهل بلده ، مسموع الكلمة عندهم لِمَا كانوا يعهدون من عقله وحسن رأيه ، وثَقُل الشهاب على أهل الكرك إلى الغاية، وأخذ الشهاب يُلِحّ على الأمير حُسام الدين نائب الكرك فى قتل الملك الظاهر برقوق ، وبقى النائب يُسوِّف به من وقت إلى وقت ، ويُدافعه عن ذلك بكلّ حجّة وعُذر فزاد الشهاب فى القول حتى خاشنه فى اللفظ ، فعند ذلك قال له الكجكنى : هذا شىء لا أفعله بوجه من الوجوه حتى أكتبَ إلى مصر بما أعرفه وأسأل عن ذلك ممّن أثِق به من أصحابى من الأمراء .

ثم أرسل البريد إلى مصر أنه لا يدخل فى هذا الأمر، ولكن يُحْضِر إليه مَن يتسلّمه منه ويفعل فيه ما يُرسَمُ له به، وكان فى خدمة الملك الظاهر غلامٌ من أهل الكرك يُقَال له : عبدالرحمن، فنزل إلى جماعة فى المدينة وأعلمهم أن الشهاب قد حضر،

لقتل أستاذه الملك الظاهر ، فلمّا سمعوا ذلك آجتمعوا فى الحال ، وقصدوا القلعة وهجموها حتى دخلوا إلى الشهاب المـذكور وهو بسكنه من قلعة الكرك ، ووثبوا عليه وقتلوه، ثم جرّوه برجله إلى الباب الذى فيه الملك الظاهر برقوق، وكان نائب الكرك الكجكنى عند الملك الظاهر، وقد آبتدءوا فى الإفطار بعد آذان المغرب ، وهى ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان من سـنة إحدى وتسعين وسبعمائة المقـدّم ذكُرها ، فلم يشعرُ الملك الظاهر والكجكنى إلا وجماعة قد هجموا عليهم وهم يدعون للملك الظاهر بالنصر، وأخذوا الملك الظاهر بيده حتى أخرجوه من البُرْج الذى هو فيه ، وقالوا له : دُسْ بقدمك عند رأس عدوك ، وأَرَوْه الشهاب مقتولا ، ثم نزلوا به إلى المدينة فدُهِش النائب ممّـا رأى ، ولم يجـد بُدًّا من القيام فى خدمة الملك الظاهر وتجهيزه ، وآنضمّ على الملك الظاهر أقـوامُ الكرك وأجنادها ، وتسامع به أهلُ البلاد، فأتَوْه من كلّ فجّ بالتقادم والخيول ، كلٌّ واحد بحسب حاله ، وأخذ أمرُ الملك الظاهر برقوق من يوم ذلك فى آستظهار على ما سيأتى ذكُره .

وأمّا أمر منطاش فإنه لمّـا سمع هذا الخبر وتحقّقه عَلِم أنه وقع فى أمر عظيم ، فأخذ فى تدبير أحواله ، فأوّل ما آبتدأ بمسك الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار، وأحد أمراء الألوف بديار مصر ، و بمسك الأمير شاهين الصرغتمشى أمير آخور، و بمسك قطلوبك أستادار الأتابك أيتمش البجاسىّ ، وعلى جماعة كبيرة من المماليك الظاهريّة ، وتداول ذلك منه أياما .

ثم أنعم منطاش على جماعة من الأمراء بأموال كثيرة، ورسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى مدينـة غزّة صحبة أربعة أمراء من مقـدّمى الألوف بالديار المصرية ، وهم : أسـندمر اليوسفى ، وقطلوبغا الصفوى ، ومنكلى باى الأشرفىّ ، وتمربغا الكريمى ، وأنفق فى كلّ أمير منهم مائة ألف درهم فِضّة ،ثم عيّن منطاش مائة مملوك

للسفر صحبة أمير الركب إلى الحجاز ، وآستمر منطاش في عمل مصالحه إلى أن كان يوم سابع شوّال خلع السلطان الملك المنصور على الأمير منطاش المذكور، وفوّض إليه تدبير الأمور ، وصار أتابك العساكر كما كان يلبغا، أراد منطاش بذلك إعلام الناس أنه ليس له غرض في السلطنة ، وأنه في طاعة الملك المنصور آبن أستاذه .

ثمّ خلع الملك المنصور أيضا على الأمير قطلوبغا الصّفوى المقدّم ذكرهُ في الأربعة أمراء المعينين للسفر بآستقراره أمير سلاح، وعلى تمان تمر الأشرفيّ باستقراره رأس نوبة النوب، وعلى أسندمر بن يعقوب شاه أمير مجلس، وعلى ألْطُنبغا الحلبي دوادارا كبيرا ، وعلى تُكَا الأشرفيّ رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف وعلى إلياس الأشرفيّ أمير آخور بإمرة طبلخاناه ، وعلى أرغون شاه السيفي رأس نوبة ثالثا بإمرة طبلخاناه ، وعلى تمربغا المنجكي رأس نوبة ، رابعا بإمرة طبلخاناه ، وعلى قطلوبغا الأَرْغُوني أستدارا ، وعلى جَقْمق شادّ الشراب خاناه ، ثم خلع على تمان تمر رأس نوبة بنظر البيمارستان المنصوري ، وعلى ألْطُنبغا الحلبي الدوادار الكبير بنظر الأحباس ، ثم بطل أمر التجريدة المعيّنة إلى غزة خوفا من المماليك لئلا يذهبوا للملك الظاهر برقوق .

ثم في تاسع شوّال خَلَع على الأمير أيْدكار بآستقراره حاجب الحُجّاب وعلى أمير حاج بن مغلطاى حاجبا ثانيا بتقدمة ألف .

وفيه سَمّر منطاش أربعةً من الأمراء ، وهم : سودُون الرمّاح أمير عشرة ، وراس نوبة ، والطنبغا أمير عشرة أيضا ، وأميران من الشام ، ووُسّطوا بسوق الخيل في عاشره لميلهم إلى الملك الظاهر برقوق .

ثم أخلع منطاش على تَنْكِز الأعور بآستقراره في نيابة حماة عوضا عن طُغاى تمر القبلاوى، وفيه حُمل جهاز خَوَنْد بنت الملك الأشرف شعبان أخت الملك المنصور،

هــذا لتُزَفّ على الأمير الكبير منطاش، وكان على خمسمائة جمل وعشرة قُطُر بغال، ومشى الحجاب وغالب الأمراء أمام الجهاز، فخلع عليهم منطاش الخِلَع السَّنِيّة، وبنى بها من ليلته، بعد أن آهتمّ بالعُرس آهتماما زائدا، وعند ما زُفّت إليه علّق منطاش على شَرْبوشها دينارًا زنتُه مائتا مِثقال، ثم ثانى مرّة دينارا زنته مائةُ مثقال وفتح للقصر بابا من الإسطبل بسبب ذلك بجوار باب السرّ، هــذا مع ما كان منطاش فيه من شُغل السرّ من آضطراب المملكة بعد مَسْكه الناصرىّ وغيره .

وفيه أَخْرَج عدّةً من المماليك الظاهريّة إلى قُوص[1]، وبينما منطاش فى ذلك قدم عليه الخبر بأن الأمراء المقيمين بمدينة قُوص من المنفيّين قبـل تاريخه خرجوا عن الطاعة، وقبضوا على والى قُوص، وحبسوه وآستولَوْا على مدينـة قوص، وآنضم عليهم جماعة كبيرة من عُصاة العُربان، فندَبَ منطاش لقتالهم تمربُغَا الناصرى، وبيرم خجا، وآروس بُغا من أمراء الطبلخاناة فى عدّة مماليك .

ثم قَدِم عليه الخــبرُ بأن الأمير كَشْبغا الحموى اليلبُغَاوى نائب حلب خرج عن الطاعة، وأنه قبض على جماعة من أمراء حلب بعد أن حارب إبراهيم بن قُطْلُقْتَمر الخازندار، وقبَضَ عليه ووسَّطه هو وشهاب الدين أحمد بن أبى الرضا قاضى قضاة حلب الشافعى بعد أن قاتلوه ومعهم أهلُ بانقوسا[2]، فلمّا ظَفِر بهم كشبغا المذكور قَتَل منهم عِدّة كبيرة .

(١) كانت مدينة قوص قاعدة لإقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة الى قوص من عهد الدولة الفاطمية الى آخر أيام حكم المماليك . وفى أيام الحكم العثمانى آندمجت الأعمال القوصية كلها بما فيها مدينة قوص فى ولاية جرجا التى كانت تمتد فى ذاك الوقت على جانبى النيل من مدينة أسيوط شمالا الى وادى حلفا عند الشلال الثانى جنوبا ، ولما أنشئت مديرية قنا فى سنة ١٨٨٣ م تبعت لها مدينة قوص وجعلت قاعدة لأحد أقسام هذه المديرية ، ولا تزال قوص قاعدة لمركز قوص بمديرية قنا الى اليوم .

(٢) هى قرية من قرى حلب ، سميت باسم جبـل بانقوسا ؛ وهو فى ظاهر حلب من جهـة الشمال (انظر ياقوت ج ١ ص ٤٨٢ و ج ٢ ص ٣١١ طبع أوربا) .